



موسوعة

ألسن

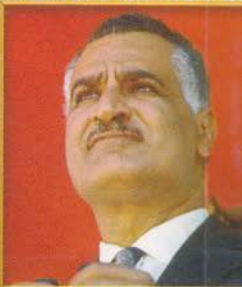
<http://arabicivilization2.blogspot.com>

/Amly

الثوار

فكري

العالم



دكتور
الحسيني الحسيني معدي



موسوعة أشهر الثوار فى العالم

إعداد
د/ الحسيني الحسيني معدّي

دار النهار

موسوعة أشهر الثوار فى العالم

د/ الحسيني الحسيني معدى

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٠٥٣
الطبعة الأولى: ٢٠١٢

كل الحقوق محفوظة

دار النهار للنشر والتوزيع
١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب - طالبيية- فيصل- الجيزة
ت: ٣٧٢٤٩١٩٢ - ٠١٠٦٧٨٣٣٠٤٤ - ٠١١١٠٣٤٤٩٤٥
E-Mail: dar-alnahaar@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بظن الطغاة والمفسدون فى الأرض أن القوة لا تتخلى عنهم، وأنهم على حق فيما يفعلون، وأن الشعب عبيد لهم، وأنه لا حد لما يصنعون، ونسوا أن لكل طاغية نهاية. ويسعدنا أن نقدم للقارئ العربى هذا الكتاب: (أشهر الثوار فى العالم) إيماناً منا بعظمة ومكانة هؤلاء الأحرار الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل تحرير أوطانهم من الطغيان والاستبداد. وأخلصوا فى خدمة بلادهم فحاربوا واستشهدوا فى سبيل عقيدة يؤمنون بها.

فتحية إجلال وتقدير من كل شعوب الأرض للثائرين الشرفاء الشهداء فى العالم الذين ثاروا على الأنظمة المستبدة، وحطموا قيود الظلم والاستبداد والاستعباد كى تشرق شمس الحرية فى بلادهم، وتسود روح العدالة والحرية والكرامة والرفعة لأبناء شعوبهم. . فطوبى لمن غيروا وجه التاريخ وصنعوا المجد والفخر والعزة لأوطانهم، وصاروا نموذجاً يحتذى به كل الأجيال عبر الزمن.

د. الحسينى الحسينى معدى



أبراهام لنكولن

أبراهام لنكولن Abraham Lincoln الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولد عام ١٨٠٩م فى محافظة هاردن Hardin التى تعرف اليوم بـ La-rue فى ولاية كنتاكي Kentucky . فى كوخ من جذوع الأشجار، كان يقيم فيه والده توماس Thomas الذى كان يعمل نجاراً بالولاية نفسها، أمه نانسى هانكس Nancy Hanks . لا يعرف عنها كثير. عرف أبراهام فيما بعد بألقاب عدة «أبيه لنكولن» Abe Lincoln و «أبيه الأمين» Abe Honest و «ناشر قضبان الأسبجة الخشبية» Rail - Splitter ، و «المحرر العظيم» Great Emancipator .

انتقل مع أسرته سنة ١٨١٦ إلى إنديانا Indiana، حيث أقامت فى مقاطعة ليتل بيجون كريك Little pigeon Creek التى تعرف اليوم باسم سبنسر Spencer، ولما كانت تلك الأسرة من أتباع الكنيسة المعمدانية كان لنكولن من مناصرى الدعوة إلى تحرير العبيد من رق العبودية، وهذا ما يعلل قوله بعد: «أنا ضد العبودية بطبعى، ولا أذكر أبداً متى لم أكن أفكر وأشعر هكذا» .

فى العام ١٨٢١ انتقل أبراهام إلى قرية نيو سالم New Salem فى مقاطعة سانغامون Sangamon قرب سبرينغفيلد Springfield، وأخذ يعمل فى التجارة ونقل البضائع من قرية نيو سالم بقوارب مسطحة إلى نيو أورلينز New Orleans .

تزوج من امرأة كنتاكية ذات حسب، هى ماري تود Mary Todd فى نوفمبر ١٨٤٢، وأنجبا أربعة أولاد، هم: روبرت تود Robert Todd وإدوارد بيكر Edward Baker، ووليام والاس William Wallace وتوماس «تاد» Thomas Tad .

بدأ حياته السياسية في العام ١٨٣٢ بترشيح نفسه لعضوية الجمعية العمومية لولاية إلينوى Illinois عن حزب الهويغيين Whigs الذى تحول فيما بعد إلى الحزب الجمهورى، وهو حزب مناهض للحزب الديمقراطى.

خدم برتبة نقيب فى ميليشيا إلينوى فى أثناء حرب الصقور السود Black Hawk War، ثم درس القانون بتشجيع من عضو المجلس التشريعى الهويغى جون تود ستوارت John Todd Stuart، وأصبح محامياً سنة ١٨٣٦، وغادر إلى سبرينغفيلد، وشرع فى ممارسة المحاماة مع ستيفن ت. لوغان Stephen T. Logan فذاع صيته وأثرى.

مثل مقاطعة سانغامون فى مجلس نواب إلينوى لدورات متتالية عدة، وفى عام ١٨٥٦ التحق بالحزب الجمهورى الناشئ حديثاً. ومن أبرز آرائه أنه عد العبودية شراً لا بد من التخلص منه، وفى عام ١٨٥٨ رشح نفسه لعضوية مجلس الشيوخ، وألقى خطابه الانتخابى الافتتاحى فى تموز / يوليو من العام نفسه، لخص فيه مستقبل أمريكا لسنوات عديدة قادمة، إذ قال:

«البيت الذى ينقسم على نفسه لا يستطيع البقاء، وأعتقد أن هذه الحكومة لا تستطيع أن تتحمل إلى الأبد أن يكون نصفها عبيداً ونصفها أحراراً، ولا أتوقع أن يفرط عقد الاتحاد، ولا أتوقع أن ينهار البيت، ولكنى أتوقع أن انقسامه سوف يتوقف».

رشح الحزب الجمهورى أبراهام لنكولن لمنصب الرئاسة فى انتخابات العام ١٨٦٠، ففاز بـ ٣٩٪ من الأصوات الشعبية، وبـ ١٨٠ صوتاً انتخابياً، وقد أثار نجاحه الجنوبيين المؤيدين للعبودية، وهى إحدى عشرة ولاية أعلنت انفصالها عن الحكومة

الاتحادية، وهذه الولايات هي فرجينيا، كارولينا الجنوبية، كارولينا الشمالية، جورجيا، المسيسيبي، فلوريدا، لويزيانا، تكساس، أركنساس تينيسى، ألاباما، وقررت إقامة اتحاد كونفدرالى فيما بينها، وكونت حكومة مؤقتة أطلق عليها اسم (الولايات الأمريكية المتحالفة).

غير أن أبراهام لنكولن أعلن فى خطاب الولاية الافتتاحى الذى ألقاه فى مارس ١٨٦١ أنه لا يعترف بانفصال تلك الولايات، وعد إعلانها لدستورها ملغى وباطلاً، ودعا إلى إعادة اللحمة بين الولايات الأمريكية كلها، ولكن الانفصاليين صموا آذانهم عن دعوته هذه، واندلعت نيران الحرب الأهلية فى أبريل من العام نفسه. وكان القائد العسكرى للجنوبيين المناصرين للعبودية الجنرال لى Lee والقائد العسكرى للشماليين المناهضين لها الجنرال غرانت Grant.

وبعد انتصار الشماليين أصدر أبراهام لنكولن إعلانه القاضى بتحرير العبيد فى الولايات المتحدة قاطبة بدءاً من عام ١٨٦٣، وفى العام نفسه دشن الرئيس لنكولن المقبرة القومية فى غيتسبورغ Gettysburg حيث ألقى خطابه الشهير الذى قال فيه: «لقد عقدنا العزم على أن هؤلاء الموتى لم يموتوا عبثاً وأن هذه الأمة سوف تتمخض عن ولادة حرية جديدة بعون الله، وأن حكومة الشعب التى أقامها الشعب لمصلحة الشعب لن تزول عن وجه الأرض أبداً».

وفى العام التالى فاز لنكولن بمنصب الرئاسة للولاية الثانية، وقد جاء فى خطابه الافتتاحى ما يأتى: «بفضل نبد الحقد تجاه أى أحد، وبالإحسان للمجتمع، وبالخزم فى الحق، كما أرانا إياه الله، هلموا جميعاً ننجز العمل الذى نقوم به لتضميد جراح الأمة، والعناية بمن تحمل عبء الحرب، وأرملته وابنه اليتيم، لنعمل كل ما يحقق السلام العادل والدائم، ورعايته فيما بيننا وبين الأمم قاطبة».

فى أبريل من العام ١٨٦٥ وضعت الحرب الأهلية أوزارها باستسلام قائد الانفصاليين الجنرال لى . وصرح الجنرال المنتصر غرانت أمام جنوده المبتهجين بالنصر قائلاً: «يظل المتمردون أبناء وطننا» فهدأ حماس الجنود للانتقام من أعدائهم الجنوبيين، وتحول لنكون فى نظر الشماليين ليصبح البطل الأعظم، أعاد للأمة الأمريكية لحمتها الوطنية . وبعد يومين من استسلام الجنرال (لى) ألقى لنكون خطابه العام الأخير الذى كشف فيه عن سياسته الهادفة إلى إعادة بناء الوطن .

فى أبريل حضر وزوجته مسرحية «ابن العم الأمريكى» The American Cousin فى مسرح فورد، وبينما كان جالساً فى قمرته تسلل إليه ممثل من فرجينيا اسمه جون ويلكس بوث John Wilkes Booth، وأطلق النار على رأسه وهو يصيح: «هذه هى نهاية الطغاة... لقد انتقم الجنوب». قبض على القاتل وشركائه ونفذ فيهم حكم الإعدام بعد بضعة أيام .

إرنستو تشى غيفارا

إرنستو تشى غيفارا Ernesto Che Guevara (تشى لقب يعنى الرفيق) أحد أشهر مناضلى أمريكا اللاتينية والمفكرين الثوريين فى القرن العشرين، وهو من أصل أرجنتينى، ولد فى مدينة روزاريو فى الأرجنتين عام ١٩٢٨م. وهو ابن عائلة من الطبقة المتوسطة فى المجتمع، والده مهندس معمارى ذو نزعات إصلاحية وطوباوية رومانية فى التفكير السياسى، كانت والدته سيدة مثقفة ذات اتجاه يسارى، وهو الأخ الأكبر لإخوته الخمسة، أصيب بالربو وهو فى الثانية من عمره، وبقي يعانى هذا المرض طوال حياته، ومع ذلك استمر فى تأدية جميع المهمات التى اختارها بوصفة ثورياً مناضلاً.

تلقى معظم تعليمه الابتدائى على يد والدته، وقد أتاحت له مكتبة والده الاطلاع على أعمال هيغل Hegel وماركس Marx وإنغلز Engels وفرويد Freud، وكان من المعجبين بالشاعر التشيلى الشيوعى بابلو نيرودا P. Neruda، كل ذلك جعله يحظى بفكر متميز، وكان من الممكن أن يصبح رجل أعمال ناجحاً، ولكنه تحول من رجل ثروة إلى رجل ثورة.

التحق بالدرسة الثانوية عام ١٩٤١. وعاش الأزمات السياسية الخائفة فى الأرجنتين إلى جانب الظلم الاجتماعى الذى كانت تعانىه شعوب أمريكا اللاتينية، مما جعله يضممر أشد الحقد والاحتقار للإمبريالية، وفى عام ١٩٥١ قام برحلة مع أحد أصدقائه إلى عديد من دول القارة الأمريكية الجنوبية، واطلع عن كثب على أوضاع

الشعوب المساوية التي جعلته أكثر إصراراً على التزام الدفاع عن قضايا الشعوب المضطهدة وتحريرها من الظلم والاستعباد.

تخرج في كلية الطب في عام ١٩٥٣م، وبدأ مرحلة جديدة في حياته، فقد غادر بوليفيا وغواتيمالا والتحق بالمناصرين للنظام الشيوعي بقيادة «جاكوبو أربنز غوزمان» Jacobo Arbenz Guzman، وبعد إسقاط غوزمان ارتحل إلى المكسيك حيث التقى بالشقيقين فيديل وراؤول كاسترو.

توطدت عرى الصداقة بين غيفارا وكاسترو، وقرر أن يخوض إلى جانبه معركة تحرير كوبا من الدكتاتور «باتيستا» الموالي للولايات المتحدة، وترأس مجموعة من المقاتلين وكان قائداً موهوباً ومقاتلاً شرساً يتمتع بصلافة فريدة ومعنويات قل نظيرها، وقد انتهت حرب التحرير الكوبية بالنجاح، وتم إسقاط النظام الدكتاتوري عام ١٩٥٩.

وبعد انتصار الثورة منح الجنسية الكوبية، وعين رئيساً للبنك الوطني في كوبا، ثم عهد إليه بمنصب وزير الصناعة، وكان يدعو باستمرار إلى قطع كل العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعل الولايات المتحدة تصنفه بأنه ألد أعدائها وأحد أهدافها.

وفي عام ١٩٦١م قام بزيارة معظم الدول الاشتراكية، بما فيها الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية، والتقى الرئيس جمال عبد الناصر، ومثل بلاده في عدد من المؤتمرات الاقتصادية والسياسية التي عقدت في ذلك العام.

كان غيفارا من أبرز دعاة الخط الاشتراكي الشيوعي في الثورة الكوبية، ويؤمن بوحدة أمريكا اللاتينية وتحرير شعوبها، ولا سيما بلده الأرجنتين، ومن أجل هذا الهدف غادر كوبا وتخلي عن جميع مناصبه وعن الجنسية الكوبية، وكان إيمانه كبيراً بخلق أكثر من فيتنام، كما كانت لديه قناعة كاملة بتنظيم الفلاحين وقيادتهم لبلوغ

أهدافهم الكبيرة، وعلى هذا الأساس غادر كوبا عام ١٩٦٥م، ووجه رسالة إلى صديقه كاسترو ويخبره فيها أن مهمته الثورية في الجزيرة قد أنجزت، وأن بلاداً أخرى في حاجة إليه، وإن من أقدس واجباته النضال ضد الإمبريالية ورموزها في القارة الأمريكية.

قاتل في الكونغو مع الثوار، ثم غادرها بعد شهور عدة، وفي عام ١٩٦٦م انتقل إلى بوليفيا متخفياً لقيادة الثورة فيها، ولكن مجموعته الصغيرة لم تنجح، فقد وقع في كمين نصبته له القوات البوليفية، وعلى الرغم من شجاعة مقاتليه واستبسالهم فلم يستطيعوا الإفلات، وأصيب غيفارا في فخذه ثم قبض عليه حياً بالقرب من مدينة سانتا كروز، وقد شاركت أطراف عديدة في مؤامرة القبض عليه وعلى رأسها المخابرات المركزية الأمريكية. وتم إعدام غيفارا بالقرب من قرية جبلية تبعد ٧٧٠ كم جنوب العاصمة لاباز، ودفن في نهاية مدرج قديم لهبوط الطائرات، وبقيت الساعات الأخيرة من حياته غامضة، وقد كشف عن هذا الأمر في عام ١٩٩٧م في إحياء ذكرى استشهاده الثلاثين.

نقلت رفاته إلى العاصمة الكوبية هافانا، حيث دفن باحتفال جماهيري حاشد. ولا تزال شخصية غيفارا مثاراً للجدل، فقد عده جان بول سارتر «أكمل إنسان في عصرنا»، ووصفه رفيق دربه «بوريجو» بأنه: «شخصية صريحة وصارمة وقاسية ولكنها محبة للناس، حمل كل صفات المناضل والمثقف الثوري، وكان أبعد ما يكون عن التطرف والانتهازية، ويكره المناصب والمال».

رأت فيه الملايين من شعوب العالم بطلاً ورمزاً للتضحية والعطاء. من مؤلفاته: «حرب المليشيات» ١٩٥٩، و«الاشتراكية والإنسان في كوبا» ١٩٦٦.

تدل كتاباته على أصالة فكره السياسي. كانت ماركسيته ثورية بروليتارية وعالمية، وكان هدف الاشتراكية عنده خلق إنسان جديد متحرر من جميع أشكال الاغتراب.

أدولف هتلر

٣٠ نيسان / أبريل ١٩٤٥ .

قائد حزب العمال الوطني الاشتراكي وزعيم ألمانيا النازية من الفترة ١٩٣٣ إلى ١٩٤٥ ، فى الفترة المذكورة كان يشغل منصب (مستشار ألمانيا) ورئيس الحكومة والدولة .

كان هتلر خطيباً مفوهاً ويحظى بجاذبية قوية وحضور شخصى لا يخفى عن العيان . ويوصف الرجل كأحد الشخصيات اللامعة فى القرن العشرين ، ويعزى له الفضل فى انتشار ألمانيا من ديون الحرب العالمية الأولى ، وتسييد الآلة العسكرية الألمانية التى قهرت أوروبا . فقادت سياسة هتلر التوسعية العالم إلى الحرب العالمية الثانية ودمار أوروبا بعد أن أشعل فتيلها بغزوه لبولندا .

ويسقوط العاصمة برلين فى نهاية الحرب العالمية الثانية أقدم هتلر على قتل نفسه وعشيقتة أيفا براون فى قبو من أقبية برلين ، بينما كانت برلين غريقة فى بحر من الخراب والدمار .

مولده ونشأته:

بمغيب شمس الـ ٢٠ نيسان / أبريل ١٨٨٩ وضعت كلارا هتلر وليدها أدولف الذى سيغير وجه الكرة الأرضية عندما يشتد عظمه ، كان أبوه (الويس) موظف جمارك صغيراً وهو بالأصل لقيط غير معروف الأب والأم . وكان لأدولف ٥ أشقاء وشقيقات ، ولم تكتب الحياة من بين الستة إلا لأدولف وشقيقته «بولا» .

كان أدولف مستعلقاً بوالدته وشديد الخلاف مع أبيه، مع العلم أنه ذكر في كتابه «كفاحي» أنه كان يكن الاحترام لوالده الذي كان يعارض بشدة انخراط ولده أدولف في مدرسة الفنون الجميلة، إذ كان أبوه يتمنى على أدولف أن يصبح موظف قطاع عام.

تمتع أدولف بالذكاء في صباه، إلا أنه كان مزاجي الطبع، وقد تأثر كثيراً بالمحاضرات التي كان يلقيها البروفسور (ليبولد بوتش) المعادية للسامية والممجدة للقومية الألمانية.

فيينا وميونخ:

في كانون الثاني/يناير ١٩٠٣ مات أبوه ولحقته والدته في كانون الأول/ديسمبر ١٩٠٧، وغدا أدولف ابن الـ ١٨ ربيعاً بلا معيل، وقرر الرحيل إلى فيينا أملاً في أن يصبح رساماً.

عكف على رسم المناظر الطبيعية والبيوت مقابل أجر يسير، وكانت الحكومة تصرف له راتباً كونه صغيراً بالسن وبلا معيل، وتم رفضه من قبل مدرسة فيينا للفنون الجميلة مرتين وتوقفت إعانته المالية من الحكومة.

وفي فيينا تأثر أدولف كثيراً بالفكر المعادي للسامية نتيجة تواجده اليهود بكثرة في تلك المدينة، وتنامى الحقد والكراهية لهم، وقد دون أدولف في مذكراته مقدار مقتته وامتعاضه من التواجد اليهودي واليهود بشكل عام.

وفي عام ١٩٠٣ انقل أدولف إلى مدينة ميونخ لتفادي التجنيد الإلزامي، وكان الرجل يتوق للاستقرار في ألمانيا عوضاً عن الإقامة في الإمبراطورية المجرية النمساوية لعدم وجود أعراق متعددة كما هو الحال في الإمبراطورية النمساوية، وقد تم إلقاء

القبض عليه من قبل الجيش النمساوى، وبعد إجراء الفحوصات الطبية لاختبار لياقته البدنية للخدمة العسكرية تبين أنه غير لائق صحياً.

فى الحرب العالمية الأولى:

وباندلاع الحرب العالمية الأولى تطوع الرجل فى صفوف الجيش البافارى وعمل كساعى بريد عسكرى، بينما كان الكل يتهرب من هذه المهنة، ويفضل الجنود البقاء فى خنادقهم بدلاً من التعرض لنيران العدو عند نقل المراسلات العسكرية.

وبالرغم من أداء أدولف المتميز والشجاع فى العسكرية، إلا أنه لم يرتق المراتب العليا فى الجيش، وتروى الشائعات أن تحليلاً نفسياً عمل له ويقول التقرير أنه مضطرب عقلياً وغير مؤهل لقيادة جمع من الجنود.

وخلال الحرب كون هتلر إحساساً وطنياً عارماً تجاه ألمانيا رغم أوراقه الثبوتية النمساوية، وصعق أيما صعقة عندما استسلم الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الأولى لاعتقاد هتلر باستحالة هزيمة هذا الجيش، وألقى باللائمة على الساسة المدنيين فى تكبد الهزيمة.

الحزب النازى:

بنهاية الحرب العالمية الأولى استمر هتلر فى الجيش والذى اقتصر عمله على قمع الثورات الاشتراكية فى ألمانيا، وانضم الرجل إلى دورات معدة من «إدارة التعليم والدعاية السياسية» هدفها إيجاد كبش الفداء لهزيمة ألمانيا فى الحرب، بالإضافة إلى سبب اندلاعها، وتمخضت تلك الاجتماعات عن إلقاء اللائمة على اليهود والشيوعيين والساسة بشكل عام.

لم يحتج هتلر لأى سبب للاقتناع بالسبب الأول لهزيمة الألمان فى الحرب لكرهه لليهود وأصبح من النشطين للترويج لأسباب هزيمة الألمان فى الحرب. ولقدرة هتلر

الكلامية، فقد تم اختياره للقيام بعملية الخطابة بين الجنود ومحاولة استمالتهم لرايه الداعى لبغض اليهود.

وفى أيلول/ سبتمبر ١٩١٩ التحق هتلر بحزب «العمال الألمان الوطنى»، وفى مذكرة كتبها لرئيسه فى الحزب يقول فيها: «يجب أن نقضى على الحقوق المتاحة لليهود بصورة قانونية، مما سيؤدى إلى إزالتهم من حولنا بلا رجعة».

وفى عام ١٩٢٠م تم تسريح هتلر من الجيش وتفرغ للعمل الحزبى بصورة تامة إلى أن تزعم الحزب وغير اسمه إلى حزب «العمال الألمان الاشتراكى الوطنى»، أو «نازى» بصورة مختصرة، واتخذ الحزب الصليب المعقوف شعاراً له وتبنى التحية الرومانية التى تتمثل فى مد الذراع إلى الأمام.

الحزب الحاكم:

بتبوء هتلر أعلى المراتب السياسية فى أمانيا بلا دعم شعبى عارم عمل الرجل على كسب الود الشعبى الألمانى من خلال وسائل الإعلام التى كانت تحت السيطرة المباشرة للحزب النازى الحاكم، وخصوصاً الدكتور جوزيف غوبلز. فقد روجت أجهزة غوبلز الإعلامية لهتلر على أنه المنقذ لأمانيا من الكساد الاقتصادى والحركات الشيوعية، إضافة إلى الخطر اليهودى.

ومن لم تنفع معه الوسائل «السلمية» فى الإقناع بأهلية هتلر فى قيادة هذه الأمة، فقد كان البوليس السرى «جيستابو» ومعسكرات الإبادة والتهجير القسرى كفيلاً بإقناعه، وبتنامى الأصوات المعارضة لأفكار هتلر السياسية عمد هتلر إلى التصفيات السياسية للأصوات التى تخالفه الرأى، وأناط بهذه المهمة للملازم «هملر».

وبموت رئيس الدولة «هيندينبيرغ» فى ٢ آب/ أغسطس ١٩٣٤ دمج هتلر مهامه السياسية كمستشار لألمانيا ورئيس الدولة، وتمت المصادقة عليه من برلمان جمهورية ويمر، وندم اليهود أيما ندم لعدم مغادرتهم ألمانيا قبل ١٩٣٥ عندما صدر قانون يحرم أى يهودى ألماني حق المواطنة الألمانية عوضاً عن فصلهم من أعمالهم الحكومية ومحالهم التجارية، وتحتّم على كل يهودى ارتداء نجمة صفراء على ملابسه، وغادر ١٨٠.٠٠٠ يهودى ألمانيا جراء هذه الإجراءات.

وشهدت فترة حكم الحزب النازى لألمانيا انتعاشاً اقتصادياً مقطوع النظير، وانتعشت الصناعة الألمانية انتعاشاً لم يترك مواطناً ألمانيا بلا عمل. وتم تحديث السكك الحديدية والشوارع وعشرات الجسور مما جعل شعبية الزعيم النازى هتلر ترتفع إلى السماء. وفى آذار / مارس ١٩٣٢ تنصل هتلر من «معاهدة فرساي» التى حسمت الحرب العالمية الأولى، وعمل على إحياء العمل بالتجنيد الإلزامى، وكان يرمى إلى تشييد جيش قوى مسنود بطيران وبحرية يعتد بها، وفى الوقت نفسه إيجاد فرص عمل للشبيبة الألمانية.

وعاود هتلر خرق اتفاقية فرساي مرة أخرى عندما احتل المنطقة المنزوعة السلاح «أرض الراين»، ولم يتحرك الإنكليز ولا الفرنسيون تجاه انتهاكات هتلر. ولعل الحرب الأهلية الإسبانية كانت المحك للآلة العسكرية الألمانية الحديثة عندما خرق هتلر اتفاقية فرساي مراراً وتكراراً، وقام بإرسال قوات ألمانية لأسبانيا لمناصرة «فرانسيكو فرانكو» الثائر على الحكومة الأسبانية.

وفى ٢٥ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٦ تحالف هتلر مع الفاشى موسوليني الزعيم الإيطالى، واتسع التحالف ليشمل اليابان، هنغاريا، رومانيا، وبلغاريا بما يعرف

بحلفاء المحور، وفي ٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٣٧ عقد هتلر اجتماعاً سرياً في مستشارية الرايخ، وأفصح عن خطته السرية في توسيع رقعة الأمة الألمانية الجغرافية. وقام هتلر بالضغط على النمسا للاتحاد معه، وسار في شوارع فيينا بعد الاتحاد كالتاوس مزهواً بالنصر، وعقب فيينا عمل هتلر على تصعيد الأمور بصدد مقاطعة «ساديتلاند» التشيكية والتي كان أهلها يتلقون بالألمانية، ورضخ الإنكليز والفرنسيون لمطالبه لتجنب افتعال حرب.

وبتخاذل الإنكليز والفرنسيين استطاع هتلر أن يصل إلى العاصمة التشيكية براغ في ١٠ آذار/ مارس ١٩٣٩ وببلوغ السيل الألماني الزبي قرر الإنكليز والفرنسيون تسجيل موقف بعدم التنازل عن الأراضي التي منحت لبولندا بموجب معاهدة فرساي، ولكن القوى الغربية فشلت في التحالف مع الاتحاد السوفياتي، واختطف هتلر الخلاف الغربي السوفياتي وأبرم معاهدة «عدم اعتداء» بين ألمانيا والاتحاد السوفياتي مع ستالين في ٢٣ آب / أغسطس ١٩٣٩، وفي ١ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٩ غزا هتلر بولندا ولم يجد الإنكليز والفرنسيون بداً من إعلان الحرب على ألمانيا.

الانتصارات الخاطفة:

في السنوات الثلاث اللاحقة للغزو البولندي وتقاسم بولندا مع الاتحاد السوفيات، كانت الآلة العسكرية الألمانية لا تقهر ففي نيسان / أبريل ١٩٤٠ غزت ألمانيا الدنمارك والنرويج، في أيار / مايو من العام نفسه هاجم الألمان كلاً من هولندا، بلجيكا، لوكسمبورغ، وفرنسا، وانهارت الأخيرة في غضون ٦ أسابيع وفي نيسان/ أبريل ١٩٤١ غزا الألمان يوغسلافيا واليونان، وفي الوقت نفسه كانت القوات الألمانية في طريقها إلى شمال إفريقيا وتحديدًا مصر.

وفى تحول مفاجئ اتجهت القوات الألمانية صوب الغرب وغزت روسيا فى نقض صريح لاتفاقية عدم الاعتداء، واحتلت ثلث الأراضى الروسية من القارة الأوروبية، وبدأت تشكل تهديداً قوياً للعاصمة الروسية موسكو، وبتدنى درجات الحرارة فى فصل الشتاء، توقفت القوات الألمانية عن القيام بعمليات عسكرية فى الأراضى الروسية، ومعاودة العمليات العسكرية فى فصل الصيف فى موقعة «ستالينغراد» التى كانت أول هزيمة يتكبدها الألمان فى الحرب العالمية الثانية، وعلى صعيد شمال أفريقيا هزم الإنكليز القوات الألمانية فى معركة العلمين، وحالت بين قوات هتلر وبين السيطرة على قناة السويس والشرق الأوسط ككل.

إسدال الستار:

الانتصارات الخاطفة التى حصدها هتلر فى بداية الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد الفترة الممتدة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢ جعلت منه رجل الاستراتيجية الأوحى فى ألمانيا وأصابته بدء الغرور، وامتناعه عن الإنصات إلى آراء الآخرين، أو حتى تقبل الأخبار السيئة وإن كانت صحيحة، فخسارة ألمانيا فى معركة ستالينغراد والعلمين وتردى الأوضاع الاقتصادية الألمانية وإعلانه الحرب على الولايات المتحدة فى ١١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤١ وضعت النقاط على الحروف، ولم تترك مجالاً للشك من بداية النهاية لألمانيا هتلر.

فمجابهة أعظم إمبراطورية (الإمبراطورية البريطانية) وأكبر أمة (الاتحاد السوفياتى) وأضخم آلة صناعية واقتصادية (الولايات المتحدة) لا شك تأتى من قرار فردى لا يعبأ بلغة العقل والخرائط السياسية.

فى ١٩٤٣ تمت الإطاحة بحليف هتلر الأوروبى (موسوليسى)، واشتدت شراسة الروس فى تحرير أراضيهام المغتصبة، وراهن هتلر على بقاء أوروبا الغربية فى قبضته،

ولم يعبأ بالتقدم الروسى الشرقى، وفى ٦ حزيران / يونيو ١٩٤٤ تمكن الحلفاء من الوصول إلى الشواطئ الشمالية الفرنسية، وبحلول كانون الأول/ ديسمبر تمكن الحلفاء من الوصول إلى نهر الراين وإخلاء الأراضى الروسية من آخر جندى ألمانى.

عسكريًا، سقط الرايخ الثالث نتيجة الانتصارات الغربية، ولكن عناد هتلر أطال من أمد الحرب لرغبته فى خوضها لآخر جندى ألمانى، وفى نزاعه الأخير رفض هتلر العقل وإصرار معاونه على الفرار إلى بافاريا أو النمسا.

وأصر على الموت فى العاصمة برلين، وفى ١٩ آذار / مارس ١٩٤٥ أمر هتلر أن تدمر المصانع والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات والاتصالات، وتعيين هينريك هيملر مستشاراً لألمانيا فى وصيته.

انتحاره:

وبقدوم القوات الروسية إلى بوابة برلين أقدم هتلر على الانتحار وانتحرت معه عشيقته أيضا براون فى ١ أيار/ مايو ١٩٤٥، وأسدل الستار على كابوس الحرب العالمية الثانية.

سبارتاكوس

سبارتاكوس Spartacus هو قائد أشهر ثورات العبيد وأشدها خطراً في العصور القديمة، أصله من إقليم تراقية، ولعله كان سليل أحد البيوت الملكية التراقية المعروفة باسم سبارتي Sparti التي كانت تحكم مملكة بوسبورانوم على البحر الأسود، ويروى المؤرخ أبيانوس أن سبارتاكوس حارب الرومان ووقع في أسرهم، ويبدو أن ذلك قد حدث في أثناء الحروب الميثريداتية (٨٩ - ٨٢ ق.م) التي ثار فيها التراقيون لنيل حريتهم، بيع سبارتاكوس في أسواق النخاسة واقتيد إلى إيطاليا حيث أدخل مدرسة المجالدين الشهيرة في مدينة كابوه (على خليج نابولي) بسبب قوته الجسدية الخارقة، وفيها تعلم فنون المبارزة والقتال للترفيه عن الطبقة الأرستقراطية الرومانية في حلبات السيرك الدموية.

تمكن سبارتاكوس في صيف عام ٧٤ ق.م مع ٧٠ تقريباً من رفاقه المجالدين من الفرار من كابوه والالتجاء إلى جبل فيزوف القريب وتحصنوا فيه، وبدأوا يغيرون على المناطق المجاورة، وانضم إليهم عدد كبير من العبيد الفارين.

تزعّم سبارتاكوس أولئك الشائرين، واختير اثنان من العبيد الكلتيين هما كريكسوس Krixus وأوينوماوس Oinomaos لمعاونته في القيادة، وتمكنوا من دحر أول جيش روماني أرسل للتصدي لهم، ثم هزموا جيشاً ثانياً بقيادة البراياتور فارينوس واستولوا على أسلحته.

وبدأت حركته تتسع وتأخذ أبعاداً خطيرة، وسقطت مناطق واسعة في جنوبي إيطاليا في أيدي الثائرين الذين انضمت إليهم أعداد كبيرة من الأحرار البروليتاريين والذين تم تدريبهم وتسليحهم، وهكذا تشكلت تحت قيادة سبارتاكوس جيش كبير ضم عشرات الألوف من الثائرين المتعطشين للحرية والانتقام من أسيادهم الذين كانوا يسمونهم شتى أنواع العذاب والظلم والاستغلال، وبعد أن تفاقم الوضع كثيراً ودب الدعر والهلع في قلوب أثرياء الرومان قرر مجلس الشيوخ الروماني إرسال قوات كبيرة بقيادة القنصلين للقضاء على التمرد، وفي الوقت ذاته نشب خلاف في معسكر الثائرين، وانفصل كريكسوس مع أتباعه الغالبيين، ولكنه لقي هزيمة كاسحة على أيدي القوات الرومانية، وقتل في موقع غرغانوس في منطقة أبوليا.

أما سبارتاكوس الذي أراد أن يقود الثائرين إلى أوطانهم الأصلية فقد شق طريقه إلى شمالي إيطاليا عبر جبال الأبنين، وتمكن من الانتصار على القنصلين الواحد تلو الآخر، ثم هزمهما في معركة ثالثة، وأقام احتفالاً جنازياً لرفاقه الذين سقطوا في المعارك ضحى فيه بـ ٣٠٠ أسير روماني تصارعوا فيما بينهم حتى الموت، وجهاز سبارتاكوس قوات لعبور جبال الألب، وهزم آخر جيش روماني اعترض طريقه عند مدينة موتينا Mutina، ولكن أتباعه رفضوا مغادرة إيطاليا وطلبوا إليه التوجه ثانية إلى الجنوب والزحف على روما، غير أن سبارتاكوس كان يدرك استحالة مهاجمة روما وسار إلى منطقة لوكانيا، وحيال هذا الوضع قرر مجلس الشيوخ تكليف ماركوس كراسوس M. Licinius Crassus بالقضاء على ثورة المجالدين، ووضع تحت إمرته كل القوات والإمكانات المتاحة، كان كراسوس أحد أشهر الأرسقراطيين الرومان وأغنى أغنياء روما في ذلك الحين، جمع ثروة طائلة نتيجة استغلاله ظروف الحرب

الاهلية الرومانية، وكان بذلك الرجل المؤهل للقضاء على ثورة اجتماعية تسعى إلى انتزاع الملكية والثروات من الأسياد الرومان.

وسار كراسوس على رأس ست فرق رومانية، إضافة إلى بقايا القوات المهزومة، كما انضم كثير من أثرياء الرومان وأتباعهم الذين كانوا يخشون على ممتلكاتهم وثرواتهم وحياتهم، واستعمل كراسوس منتهى الشدة والقسوة مع جنوده لإعدادهم للمعركة المقبلة مع المجالدين الثائرين الذين بثوا الرعب في قلوبهم، ولما تم له ذلك سار على رأس هذا الجيش الهائل المدرب على فنون القتال والمسلح بأقصى الأسلحة زاحفًا ضد سبارتاكوس وقواته، وتمكن من تطويقهم في أقصى جنوبي إيطاليا بالتحصينات والخنادق.

وحاول سبارتاكوس المحاصر الاتفاق مع القراصنة ليقوموا بنقل قواته إلى جزيرة صقلية موطن ثورات العبيد السابقة التي تعج بأعداد كبيرة منهم، ولكن الرومان قاموا برشوة القراصنة الذين خذلوه وتخلوا عنه، ونجح سبارتاكوس أخيراً في اختراق الحصار المفروض عليه وسار باتجاه ميناء برونديزيوم بهدف الإبحار منه إلى بلاد اليونان، ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليه بسبب وصول قوات رومانية من مقدونية. وجرت معركة مع قوات كراسوس خرج منها سبارتاكوس منتصراً، ولكن جيشه انقسم مرة أخرى ولقى العبيد الكلتيون والجرمان الذين انفصلوا عنه هزيمة منكرة وتم القضاء عليهم، وطلب كراسوس إلى مجلس الشيوخ إرسال المزيد من القوات التي جاءت من إسبانيا بقيادة بومبيوس.

وهكذا تم تطويق الثائرين، وأيقن سبارتاكوس أن لا أمل له في الانتصار على هذه الجيوش الجرارة، وجرت معركة رهيبه قاتل فيها سبارتاكوس قتال الأبطال حتى سقط

هو ومعظم أتباعه صرعى فى ساحة القتال، ولم يتمكن الرومان من العثور على جثته للتمثيل بها، وانفرد عقد الثائرين وتفرقوا مجموعات تناثرت هنا وهناك، وحاولت الالتجاء إلى المناطق الجبلية، ولكن تم القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى، وقام القائد المنتصر كراسوس بتعليق ستة آلاف من العبيد الثائرين على الصلبان التى نصبت على طول الطريق الممتد من روما إلى كابوه ليكونوا عبءة لكل من يفكر بخلع نير العبودية والثورة على أسياده الرومان. وتمكن بومبيوس العائد من إسبانيا من القضاء على آخر هلول الثائرين، وأعلن نهاية ثورة سبارتاكوس وعاد إلى روما عام ٧٠ ق.م ليتقلد مع كراسوس القنصلية مكافأة لهما على تخليصها من ذلك الكابوس الرهيب.

وانتهت بذلك أخطر ثورات العبيد الكبرى وآخرها فى التاريخ الرومانى بعد ثلاث سنوات (٧٤ - ٧١ ق.م) من صراع مرير سقط فيه عشرات الألوف من القتلى، ولقد سبقتها ثورات أخرى كان أشهرها تلك التى جرت فى صقلية (١٣٩ - ١٣١ ق.م) بقيادة أحد السوريين المدعو أونوس Eunus الذى تزعم العبيد الثائرين، وأعلن نفسه ملكاً عليهم وقاوم الجيوش الرومانية سنوات عديدة حتى تم القضاء عليه.

كان سبارتاكوس بلا شك من أشهر الشخصيات فى التاريخ القديم، تصفه المصادر التاريخية بصفات نبيلة، فهو شهيم وشجاع ويملك قوة بدنية خارقة ومواهب عسكرية وتنظيمية فذة، تمكن مع جيشه الهش التسليح والقليل التدريب والمؤلف من عناصر متباينة متنافرة من إلحاق الهزيمة بالجيوش الرومانية فى سبع معارك مختلفة، كان هدفه الأساسى تحرير العبيد وعودتهم إلى بلادهم الأصلية، ولكن انتصاراته شجعت أتباعه على البقاء فى إيطاليا، كما أن انقسامهم واختلاف أهدافهم أضعف شوكتهم وسهل أخيراً القضاء عليهم.



بقى سبارتاكوس حيًا في ذاكرة الأجيال التالية بوصفه رمزاً للشورة على الظلم ومحرراً للأرقاء من نير العبودية، وكانت شخصيته موضوعاً لعدد كبير من الأعمال الأدبية والفنية في العصر الحديث، وتسمى باسمه عدد من الحركات الاشتراكية في القرن العشرين، كما عرفت الشورة التي اندلعت في برلين عام ١٩١٩ في أعقاب الحرب العالمية الأولى بزعامة ليبكنخت Liebcknecht وروزا لوكسمبورغ R . Luxumburg باسم انتفاضة سبارتاكوس .

* * * *

جورج واشنطن

جورج واشنطن George Washington قائد عسكري وزعيم سياسي أمريكي، أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في فرجينيا Virginia في ٢٢ فبراير عام ١٧٣٢م لأبوين يعملان في الزراعة (أوغسطين وماري)، وبعد ثلاث سنوات من ولادته انتقل مع أسرته إلى مزرعة ماونت فرنون Monut Vernon.

تلقى علومه الأولى على يد كاهن الرعية المحلي، فحصل على قسط ضئيل من التعليم، لكنه انتسب إلى مدرسة المساحة فأتَمَّ تعليمه، وتخرج فيها بصفة مساح وهو في السادسة عشرة من عمره، وفي فترة شبابه تعرف جورج واشنطن اللورد توماس فيرفاكس Lord Thomas Fairfax أحد كبار ملاكي الأراضي في ولاية فرجينيا، فكان موضع ثقته، وهذه الثقة أتاحت له أن يشغل وظيفة مساح رسمي لمقاطعة كولبير.

وبعد ثلاث سنوات التحق بإحدى الجماعات العسكرية التابعة للجيش البريطاني في فرجينيا، وتمرس في فنون الحرب والقتال، وتدرج في المراتب العسكرية إلى أن أصبح برتبة مقدم، وحينما اشتد التنافس بين الفرنسيين والإنكليز عام ١٧٥٣م حول بعض المستعمرات خرج جورج واشنطن بإشارة من حاكم فرجينيا على رأس فصيل عسكري، ووجه إنذاراً بتسويق حاكم فرجينيا للقوات الفرنسية والمتعاونين معها من الهنود بوقف الاعتداءات على سكان المنطقة، ولكن الفرنسيين رفضوا الاستجابة لمطلبه، وجرت بين الطرفين معارك على مقربة من أوهايو Ohio سنة ١٧٥٨م انتهت بهزيمة القوات الفرنسية وأسر قائدها، وذلك بمساعدة القوات الإنكليزية، فزاد هذا النصر من شعبيته وكان له أبلغ الأثر في مستقبله العسكري والسياسي، وفي عام

١٧٥٩م عاد واشنطن إلى مزرعته في ماونت فرنون، وتزوج سيدة ثرية، وأخذ يعمل على توسيع ممتلكاته حتى أصبح من كبار ملاكى الأراضى وذا نفوذ واسع أهله ليصبح عضواً فى مجلس نواب الولاية.

بعد هزيمة الفرنسيين عند أوهايو أخذت القوات الإنكليزية تكثف من وجودها فى المنطقة، وكانت تتعرض للأهالى بالأذية فى كثير من المناسبات، فأخذ جورج واشنطن يندد بالممارسات الاستعمارية التى قامت بها القوات الإنكليزية، وزاد الأمر سوءاً حين أقدم البريطانيون على إصدار قانون فرضوا بموجبه رسوماً على الشاي والورق والزجاج، فكان الرد من جانب التجار وكبار الشخصيات فى المجتمع الأمريكى مقاطعة السلع البريطانية، وفى هذا السياق حرم واشنطن شرب الشاي على جميع العاملين فى ممتلكاته، وجاهر بمعاداته الاستعمار الإنكليزى، وبدأت المصادمات الدموية تتسع لتشمل معظم المستعمرات الإنكليزية وعلى وجه الخصوص فى بوسطن Boston ، وفى عام ١٧٧٥م اختاره الكونغرس Congress الذى اجتمع فى فيلادلفيا Philadelphia قائداً عاماً لقوات المقاطعات الأمريكية الثلاث عشرة، فقام واشنطن بتشكيل جيش قوامه ١٦ ألف جندى تمكن بواسطته من طرد البريطانيين من بوسطن سنة ١٧٧٦م، ومع أنه منى ببعض الهزائم فإنه انتصر أخيراً على القوات البريطانية فى كل من ترنتون وبيوركتاون Trenton and Yorktown .

وبعد الاستقلال تحول جورج واشنطن الجندى إلى السياسة حينما دعا المؤتمر الدستورى إلى الاجتماع، وبعد المداولات وضع المؤتمر برئاسة دستور الولايات المتحدة الذى أصبح نافذاً فى جميع المستعمرات الأمريكية المحررة، وفى عام ١٧٨٩م انتخب جورج واشنطن ليكون أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ مهمته بتشكيل حكومة كانت تنتظرها مهام شاقة لا تقل عن تلك التى واجهتها قيادته فى

أثناء حرب الاستقلال، فاختر اثنين من كبار أعوانه الأقوياء، الأول هاملتون Hamilton ليكون وزيراً للمالية، والثاني جيفرسون Jefferson لوزارة الخارجية، وقد اعتمد على هذين الرجلين طوال أيام حكمه يستشيرهما في جميع الأمور، ومع أن مصاعب جمة واجهت جورج واشنطن وحكومته كمسألة الديون والعجز المالي فقد تمكن من معالجتها، وعمل على تدعيم البنية الاقتصادية لبلاده، وشجع النهضة الصناعية والأنشطة التجارية، وعمل على إنشاء بنك الولايات المتحدة على غرار البنك المركزي البريطاني، وتولى إصدار عملة ورقية موحدة لكل الولايات وسط معارضة شديدة من خصومه السياسيين، ومنذ بداية عهده تصدى بحزم لبعض الناقمين على سياساته فقمع تمرد الفلاحين في ولاية بنسلفانيا Pennsylvania سنة ١٧٩١ حينما امتنعوا عن دفع الضرائب المقررة، وقضى على ثورة قام بها الهنود (سكان أمريكا الأصليين) في أوهايو ضد المستوطنين الجدد سنة ١٧٩٤، أما سياسته الخارجية فلم تكن علاقته حسنة مع بريطانيا لأن البريطانيين كانوا لا يزالون يحتفظون ببعض المواقع في الشمال الغربي من البلاد، ويعمدون بين الحين والآخر إلى تحريض الهنود ضد المستوطنين الجدد، على عكس علاقته الودية مع فرنسا التي تزامن قيام ثورتها مع اعتلاء جورج واشنطن سدة الرئاسة، ويعود الفضل في تعزيز العلاقة مع الفرنسيين إلى القائد لافاييت Lafayette أحد زعماء الثورة الفرنسية، وكان من قبل قائداً للقوات الفرنسية التي أسهمت في الثورة الأمريكية ضد النفوذ البريطاني. استمر جورج واشنطن في منصبه فترتين رئاسيتين، رفض بعدها بإصرار إعادة انتخابه فترة ثالثة، وتوجه إلى ناخبه بخطاب الوداع في ١٧ سبتمبر ١٧٩٦، فوضع بذلك سابقة تقضى بعدم جواز بقاء الرئيس في منصبه أكثر من ولايتين، واعتزل واشنطن العمل السياسي ليقيم في مزرعته في ماونت فرنون حتى وفاته.

جواهر لال نهرو

ولد جواهر لال نهرو Jawaharlal Nehru سنة ١٨٨٩ لأسرة ميسورة تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية المتميزة عند الهندوس، والده المحامي موتيلال نهرو رئيس المؤتمر الوطنى الهندى، كانت إقامته مع عائلته فى مدينة الله آباد، حيث كان الأب يعمل محامياً، وكان مكتبه مزدهراً، مما مكن العائلة من التمتع بعيش رغيد ومرفه.

تلقى جواهر دروسه الأولى بين عامى ١٩٠٢ - ١٩٠٤ على يد مدرس خاص. ثم أرسله والده فى عام ١٩٠٥ إلى بريطانيا للالتحاق بمدرسة «هارو» Haro انتقل بعدها إلى كامبردج، ليحصل على إجازة فى العلوم الطبيعية وأخرى فى الحقوق من جامعتها.

شغف الشاب الهندى بالقراءة فى أثناء دراسته الجامعية، وعمل على تشقيف نفسه منكباً على مطالعة الكتب الأدبية والتاريخية والعلمية والفلسفية والاقتصادية، مما مكنته من تحصيل زاد غنى من الأفكار والآراء العصرية المتقدمة، تأثر بالفكر الاشتراكى ومفاهيمه للتنمية الاقتصادية. راسل من بريطانيا صحيفة تايمز التى كانت تصدر فى الهند، وركز فى مقالاته على حزب المؤتمر الذى مثل الحركة الوطنية الهندية فى تلك الفترة. وفى الجامعة تعرف نهرو بعض قادة حركة «الجمهوريين الأيرلنديين» وأفاد من تجربتهم فى المطالبة باستقلال أيرلندا عن التاج البريطانى.

تخرج فى الجامعة عام ١٩١٢ ليصبح محامياً لدى المحاكم العليا، ثم عاد إلى الهند وبدأ العمل فى الإدارات الحكومية وهو مفعم بالأفكار الوطنية، ثم ما لبث أن التحق بحزب المؤتمر الهندى الذى أسسه غاندى Gandhi.

وفى عام ١٩٢٠ ترك نهرو ووالده مهنة المحاماة وما تدره من أرباح، وباعا ممتلكاتهما وأثرا العيش البسيط والمتقشف على طريقة غاندى، وتفرغا للعمل بالحركة الوطنية، الأمر الذى زاد من إعجاب الهنود بهما. ثم ظهر نشاطهما جلياً بعد «مذبحة امريستار» Amrista Massacre التى ارتكبتها جنود الاحتلال البريطانى فى الهند عام ١٩١٩، وشاركاً بفاعلية فى تأسيس «حركة اللاتعاون» وهى الحركة التى دعت الهنود إلى عدم التعاون مع المحتل البريطانى ومقاطعته.

ومنذ أن انضم المحامى الشاب إلى الحملة الوطنية التى يقودها المهاتما غاندى صار وثيق الصلة معه وشديد التأثير برسائله وآرائه ومواقفه، وامتد تأثير غاندى داخل أسرة نهرو ليشمل أخته فيجايا لا كشمى بانديت التى انخرطت معه بالعمل الوطنى من أجل الهند.

وعلى الرغم من الاختلافات العديدة التى حصلت بين الرجلين فقد بقيا شديدى الإخلاص والوفاء لبعضهما منذ اللقاء الأول بينهما عام ١٩١٦.

ونتيجة للعمل الحماسى فى الوطن الهندى تعرض نهرو للسجن من قبل قوات الاحتلال البريطانى ثمانى مرات، مما أكسبه شهرة واسعة فى جميع أنحاء البلاد، وبدأ لمحمة يسطع أحد قادة التحرر فى مواجهة الاحتلال البريطانى ومن أجل الاستقلال الوطنى للهند.

سافر نهرو عام ١٩٢٦ إلى أوروبا بصحبة زوجته وابنته أنديرا غاندى -Indira Gan-dhi، وهناك اتصل بحركة (الاشتراكية الدولية) التى كان يرى فى أهدافها وسيلة لتحقيق بعض رؤاه الإصلاحية، وفى أحد مؤتمرات هذه الحركة انتخب عضواً فى هيئتها العليا.

وحيثما عاد إلى الهند مجدداً انخرط في المعارضة السلمية للاستعمار فاعتقلته قوات الشرطة من جديد عام ١٩٢٨ ، وتعرض للضرب ولاعتقالات عديدة ومتكرره، لم تنته إلا مع حصول الاستقلال، انتخب نهرو عام ١٩٢٩ رئيساً لحزب المؤتمر في عموم الهند، وقد تكرر ذلك في الأعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٨ - ١٩٤٦ .

عشية نشوب الحرب العالمية الثانية كان نهرو قد تبوأ موقعاً مهماً في حركات الاحتجاج السلمى الطويل من أجل الاستقلال ، وحين غدا في عام ١٩٣٩ رئيساً للمؤتمر الشعبى لعموم الهند صار فى أفضل وضع للتفاوض مع الاحتلال البريطانى من أجل الاستقلال، وفى عام ١٩٤٦ وصل إلى موقع نائب رئيس الحكومة المؤقتة التى تدير الهند باسم التاج البريطانى، واختير كبيراً للمفاوضين فى المفاوضات التى عرفت بمفاوضات «انتقال السلطة» من الإنكليز، وبعد نجاح تلك المفاوضات أصبح نهرو رئيساً للحكومة الانتقالية التى شكلت آنذاك، وفى عام ١٩٤٧ أعلن استقلال الهند، وعندما قسمت شبه القارة الهندية إلى دولتين (الهند والباكستان)، كان نهرو زعيماً لحزب المؤتمر الهندى مما وفر له الفرصة لزعامة البلاد ودخول التاريخ أول رئيس وزراء للهند المستقلة فى ١٥ آب / أغسطس ١٩٤٧ .

كانت جهود نهرو بارزة فى وضع الدستور الديمقراطى للدولة الهندية الجديدة، فقد ظهر فيه تأثيره الكبير بالديمقراطية الإنكليزية التى درسها بعمق وعاش فى كنفها ردهاً طويلاً من الزمن .

تركزت هموم نهرو الهندية بعد الاستقلال على بناء أمة جديدة، تخرج من تخلفها التاريخى لتدخل إلى رحاب العصر الحديث بحيث تتمكن من إعالة وإطعام عدد السكان الكبير وإطعامه، وكان يزيد على ٥٠٠ مليون، فاهتم بإقامة التنمية على

أسس إنسانية، واعتمد التخطيط المركزي وفق خطط خمسية متتالية، بدأت بالخطبة الخمسية الأولى ١٩٥١ - ١٩٥٦ التي استهدفت زيادة إنتاج الطعام والمواد الغذائية بالتركيز على تنمية الأساليب الجديدة في الزراعة وتعميقها، وقد أحرزت هذه الخطبة نجاحًا ملحوظًا في هذا المجال، في حين واجهت إجراءاتها صعوبات كبيرة وتحديات حقيقية، مثل الانتشار الواسع للأمية، وتفجر الصراعات الدينية التي استعرت بعد الاستقلال.

ومع ذلك تابع نهرو برنامج التعمير الطموح، فحقق زيادة في الدخل الوطني للبلاد، وحينما تفجر النزاع بين الهند وباكستان على منطقة كشمير أعلن نهرو أنه لا حل لمشكلة كشمير إلا بتمكين سكانها من تقرير مصيرهم عبر استفتاء حر ونزيه، غير أن المشكلة تعقدت بين الهند وباكستان، مما أدى إلى صدام مسلح بين الدولتين التوأمتين نجم عنه تقسيم هذه الولاية ذات الأغلبية المسلمة، ومع سيطرة الهند على أكثر من نصف مساحة الولاية فإن النزاع بينها وبين باكستان لم يتوقف، وفي عام ١٩٥٧ اتهم نهرو باكستان بدعم الجماعات الكشميرية المسلحة التي تتخذ من المناطق الخاضعة للسيطرة الباكستانية مقرًا لها، مما أدى إلى اندلاع حروب متتالية بين الدولتين، وما زال النزاع قائمًا.

لم يكن جواهر لال نهرو زعيمًا للهند فقط، إنما كان في الوقت نفسه زعيمًا عالميًا ترك بصماته على السياسة الدولية، فإلى جانب تأكيد حضور الهند ومكانتها في العالم ودورها في معالجة الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي واجهت البشرية حينذاك برز نهرو واحدًا من كبار قادة العالم الثالث والفاعلين في حركته من أجل الاستقلال والحياد الإيجابي وعدم الانحياز.

ومع استمرار الهند بعضوية «رابطة الشعوب البريطانية» - British Commonwealth، فقد استطاعت تحت قيادة نهرو أن تحافظ على نهجها في الاستقلال الوطني ودعم حركات التحرر في العالم، واشتهر نهرو بخطابه السياسي الراض للإمبريالية والداعى إلى محاربة الاستعمار، وهو الخطاب الذى لقي صدى طيباً لدى الشعوب الساعية إلى الخلاص من الاستعمار والراغبة فى التحرر وإنجاز الاستقلال الوطنى، ودعا إلى عدم الانضمام إلى أى من المعسكرين الشرقى أو الغربى، الأمر الذى ولد فكرة تكوين مجموعة دول عدم الانحياز التى ظهرت إلى الوجود، وعد نهرو أن هذه المجموعة الدولية يمكن أن تقيم التوازن الدولى وتسهم فى حفظ السلام العالمى، ومن أجل ذلك كان من أوائل الداعين إلى عقد مؤتمر باندونغ فى نيسان / أبريل عام ١٩٥٥ وهو أول مؤتمر دولى يعقد باقتراح الدول المستقلة حديثاً ومشاركتها، وتغييت عنه الدول الغربية، وصدرت عنه المبادئ الخاصة بالعلاقات الدولية، التى اعتمدت آنذاك من عدد كبير من الدول مبادئ جديدة لإقامة العلاقات الدولية، وسيبقى هذا المؤتمر خالداً فى ذاكرة التاريخ بوصفه حدثاً سياسياً دولياً فتح صفحة جديدة فى التاريخ المعاصر.

كان المؤتمر منطلقاً لحركة عدم الانحياز بحضور عدد كبير من أبرز زعماء العالم الثالث، مثل الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو A. Sukarno ورئيس الوزراء الهندى جواهرلال نهرو، والرئيس المصرى جمال عبد الناصر، والملك الكمبودى نوردون سيهانوك Norodom Sihanouk، وأصبحت الدول الـ ٢٩ المشاركة فيه أعضاء رئيسيين فى حركة عدم الانحياز، وقد أثار هذا المؤتمر موجة جديدة من نضال الشعوب من أجل الاستقلال، وأجج حركات التحرر الوطنى، وعجل فى انهيار المنظومة الاستعمارية فى العالم.

ظهرت حركة عدم الانحياز نتيجة للحرب الباردة التي بدأت بين المعسكرين الشرقى والغربى أواخر الأربعينات. وكان ظهورها ردًا على هذه الحرب، إذ سعت الدول التي هملت فى إطار هذه الحركة إلى اعتماد مبدأ جديد فى السياسة الخارجية هو «عدم الانحياز»، ومناهضة الاستعمار وسياسة التمييز العنصرى، ومساندة حركات التحرر فى العالم، والمحافظة على استقلاليتها عن الدول الكبرى وعن التكتلات السياسية والعسكرية على الساحة الدولية.

كان أول ظهور لمصطلح «عدم الانحياز» عندما أعلنه نهرو فى اجتماع كولومبو (عاصمة سريلانكا Srilanka حاليًا) الذى ضمه إلى جانب رئيس وزراء الصين شو إن لاي Chou En Lai عام ١٩٤٥. وتم تسيته بمحتواه السياسى فى لقاء بريونى عام ١٩٥٦ وقد اشتملت بنوده على:

- الاحترام المتبادل لحق السيادة على كامل الأراضى الوطنية للدولة.
- عدم اللجوء إلى العنف والتعايش السلمى.
- عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى.
- التعاون المتبادل المفيد بين الدول والشعوب على أساس المساواة.

انعقد أول مؤتمر لدول حركة الانحياز بحضور خمس وعشرين دولة فى بلغراد سنة ١٩٦١ إثر مبادرة من الرئيس اليوغلاسلافى تيتو Tito فكان جواهر لال نهرو الهندى وتيتو اليوغلاسلافى وجمال عبد الناصر المصرى وأحمد سوكارنو الإندونيسى من جملة هؤلاء الرؤساء الذين كان لهم دور مهم فى بلورة سياسات عدم الانحياز، وانهقد المؤتمر الثانى بالقاهرة سنة ١٩٦٤ بحضور ٥٩ دولة، وقد أوجدت هذه الحركة ابطة قوية فى العلاقات الآسيوية الأفريقية من جهة والعربية من جهة أخرى، تبادل الجميع من خلالها الدعم والتأييد والمساندة من أجل المصالح والمنافع المشتركة.

كان نهرو صديقاً للعرب، ومتعاطفاً مع قضاياهم، أيد حقوق الشعب الفلسطيني، ودعا إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بهذا الخصوص، وحل لقضية الفلسطينية حلاً سلمياً عادلاً، كما أبدى دعمه التام للنضال الفلسطيني من أجل التحرر من «الاستعمار والعنصرية» مؤكداً شرعية النضال الفلسطيني بصفته جزءاً من حركة التحرر العالمية. وعد حصول الفلسطينيين على حقوقهم شرطاً أساسياً للسلام الدائم والعدل في المنطقة.

ودعا كذلك إلى استقلال الجزائر وتحررها من نير الاستعمار الفرنسي في الوقت الذي كان ينادى فيه برحيل البريطانيين عن الخليج العربي.

بعد حياة سياسية حافلة بالنضال والعمل ودع نهرو الحياة والمسرح السياسى الهندي والعالمى وسط حزن شديد من ملايين الهنود الذين شيعوه إلى مثواه الأخير.

* * * *

باتريس لومومبا

باتريس لومومبا Patrice Lumumba زعيم إفريقي ، ولد فى قرية أونالو Onalua من إقليم كازاي Kasai فى الكونغو البلجيكية لأسرة كاثوليكية متدينة، تنتمى إلى لهلة باتيتيلا Batetela عام ١٩٢٥، كان أبوه معلماً للديانة فى المدارس وأمه عاملة رزاعية، وبعد تخرجه من الثانوية التى يشرف عليها مبشرون بلجيكيون بروتستنت عمل فى شركة كيندو بورت إمبين Kindu Oort Empain، ثم أصبح من نشطاء نادى الإفريقيين المثقفين، كتب عدة مقالات وقصائد شعرية نشرت فى الصحف والمجلات الكونغولية، وحصل على الجنسية البلجيكية الكاملة، فالتحق بمعهد البريد والهاتف فى ليوبولدفيل Léopoldville، وتعرف اليوم باسم كينشاسا Kinshasa، عين بعد التخرج محاسباً فى مكتب البريد فى ستانلى فيل Stanleyville، وهى كيسانغانى Ki-sangani حالياً وعاصمة إقليم أورياتال Orientale.

فى عام ١٩٥٥ أصبح رئيساً لنقابة موظفى الحكومة ومستخدميها التى لم تكن قد التحقت كغيرها بأى من الاتحادين النقائيين البلجيكين، وهما الاتحاد الاشتراكي، والاتحاد الكاثوليكي، وبدأ يظهر ناشطاً فى الحزب الليبرالى البلجيكى Belgian Liber- al Party فى الكونغو، وفى عام ١٩٥٦ دعى مع عدد آخر من الشباب إلى القيام بجولة دراسية فى بلجيكا برعاية وزير المستعمرات ، ولدى عودته قبض عليه بتهمة الاختلاس، لكن سرح فيما بعد.

فى أكتوبر ١٩٥٨ أسس الحركة الوطنية الكونغولية (MNC) فكانت أول حزب سياسى كونغولى على صعيد الشعب كله، وحضر أول مؤتمر شعبى إفريقى شامل فى اكرا Accra عاصمة غانا Ghana فى العام نفسه، حيث التقى عددًا من النشطاء فى الحقل الوطنى من مختلف أنحاء القارة الإفريقية، واختير عضواً فى المنظمة الدائمة المنبثقة من ذلك المؤتمر.

فى أكتوبر ١٩٥٩ جرت مصادمات دموية مع السلطات البلجيكية فى ستانلى فيل أسفرت عن مقتل ٣٠ شخصاً، اعتقل إثرها لومومبا بتهمة إثارة الشغب والتحريض عليه، وقررت حركته الوطنية MNC التى يتزعمها خوض الانتخابات عام ١٩٦٠ ففازت بأكثرية كاسحة (٩٠٪ من الأصوات) وكلف لومومبا بتشكيل أول حكومة كونغولية، على الرغم من المناورات التى حيكت للحيلولة دون ذلك، وبعد أيام من تشكيلها تمردت بعض الوحدات العسكرية على قائدها البلجيكى، فأعلن إقليم كاتانغا Katanga انفصاله عن الكونغو بزعمامة مويس تشومبى Moise Tshombé بمساعدة القوات البلجيكية التى دخلت الإقليم بذريعة حفظ النظام.

وجهت الحكومة الكونغولية نداء إلى الأمم المتحدة للمساعدة على حفظ النظام فى البلاد واستعادة إقليم كاتانغا فرفضت التدخل، فتوجه لومومبا إلى الاتحاد السوفيتى طالباً المساعدة لنقل قواته إلى كاتانغا، فى الوقت الذى دعا فيه الدول الإفريقية المستقلة إلى عقد اجتماع فى ليوبولدفيل للوقوف بجانبه، مما أزعج القوى الغربية والرئيس الكونغولى كازافوبو Kasavubu الذى كان يميل إلى منح إقليم كاتانغا استقلاله الذاتى على نقيض مشروع لومومبا القاضى بتوحيد المناطق الكونغولية فى دولة واحدة مناهضة للاستعمار، فأمر كازافوبو بإقالة لومومبا من منصبه، لكن الأخير رفض تنفيذ القرار بدعوى أنه غير شرعى، فاستولى قائد الجيش الكونغولى

«الكولونيل» جوزيف موبوتو Joseph Mobutu على السلطة، وقبض على لومومبا، لم ما لبث كازافوبو أن عاد من جديد إلى منصبه وكلف أدولا Adoula تشكيل الحكومة، وعادت الأوضاع إلى طبيعتها، وكان المقصود من هذه الحركة هو التخلص من لومومبا وحده فقط .

كان لومومبا فى البداية من أنصار اندماج الكونغوليين بالبلجيكين، شرط أن يحقق المساواة فيما بينهم، ولكن منذ أن أسس الحركة الوطنية الكونغولية عاد فبنى فكرة القومية الكونغولية متأثراً بالزعيم الغانى «نكروما» Nkrumah ويعد لومومبا من أبرز دعاة الوحدة الإفريقية والمنادين بسياسة عدم الانحياز التى عرفها أنها عودة إلى النهج الإفريقية، رافضاً أى قيم أو أيديولوجيات مستوردة، بما فيها الأيديولوجية الشيوعية .

لمكن لومومبا من السفر إلى ستانلى فيل بعد الانقلاب العسكرى بحماية دولية ولكن قوات كازافوبو قبضت عليه وسلمته إلى ألد أعدائه فى إقليم كاتانغا، وتمت نصفيته جسدياً فى ١٩٦١ بإشراف مفوضية الشرطة البلجيكية، وتحول لومومبا بعد مقتلته إلى رمز وطنى مناهض للاستعمار وداعية إلى التحرر، ليس فى إفريقيا وحدها بل فى مختلف أنحاء العالم الثالث، وتكريماً له أنشأ الاتحاد السوفيتى السابق جامعة فى موسكو تحمل اسمه، وهى خاصة بطلاب دول العالم الثالث، وفى عام ١٩٦٦ أصدر «الجنرال» موبوتو مرسوماً ينص على أن لومومبا بطل قومى من أبطال الكونغو، ومحولت الدار التى قتل فيها لتصبح محجاً للشباب الإفريقى .

بسمارك

أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck سليل أسرة من نبلاء بروسية، ولد عام ١٨١٥م، كان والده ضابطاً في الجيش، يعود بأصوله إلى أسرة من كبار الملاك المتعلمين المشتغلين بوظائف الدولة.

أتم بسمارك تعليمه الثانوي في معاهد برلين، ودرس القانون في جامعتي غوتنغن وبرلين من عام ١٨٣٢ إلى عام ١٨٣٥، وبعد وفاة والدته في عام ١٨٣٧ استقر في ممتلكات الأسرة في بوميرانى Pommern. بدأ حياته السياسية في البرلمان عام ١٨٤٧، واستمر حتى عام ١٨٥١، وكان خطيباً بارعاً. وفي أحداث ثورة ١٨٤٨ الدامية وقف إلى جانب الملك، وهذا ما عزز مركزه وساعده على المحافظة على مقعده في البرلمان، ولم تكن علاقاته جيدة مع الليبراليين ولا مع دعاة الوحدة الألمانية، ثم عين في منصب دبلوماسي، وبذلك تنقل بسمارك ما بين عامي ١٨٥١ و ١٨٦٣ سفيراً بين ثلاث عواصم هي فرانكفورت وبطرسبورغ وباريس، مات فريدريك وليم الرابع Friedrich Wilhelm IV في عام ١٨٦١، وأصبح الوصي ملكاً باسم وليم (غليوم) الأول Wilhelm I عام ١٨٦١، ثم وقع الخلاف بينه وبين مجلس النواب، فقرر التنازل عن العرش، وبناءً على نصيحة وزير الحرية آنذاك استدعى بسمارك، وكان وقتها سفيراً في باريس ليتولى رئاسة الوزارة في ٨ تشرين الأول من عام ١٨٦٢، فأنفذ هذه المهمة إلى فبراير ١٨٩٠ بجرأة وحنكة كبيرتين، فقد سعى بسمارك إلى ترسيخ الحكم الفردي لمولاه وليم الأول، وعمد منذ عام ١٨٦٣ إلى إحباط خطط النمسا المطروحة على الأمراء في اجتماعاتهم في فرانكفورت، وعندما توحدت إيطاليا

قويت رغبة الشعب البولندي في قيام دولة بولنـدة، وثار البولنديون على روسيا عام ١٨٦٣، فتدخلت فرنسا وإنكلترا لحل المشكلة، ودعنا إلى عقد مؤتمر، لكن بسمارك رفض الاقتراح وأيد روسيا، التي أسرعت وأخمدت الثورة البولندية، وبذلك كسب بسمارك صداقة روسيا، ومن تلك اللحظة أمكنه أن يشعر بالاطمئنان، إذ أراد أن يعلن الحرب على النمسا وفرنسا فيما بعد. وفي عام ١٨٦٤ استغل بسمارك قضية دوقيتي شلزفيغ وهولشتاين ليَجُرَّ النمسا إلى جانب بروسيا في حرب على الدنمارك، فغزت جيوش النمسا وبروسيا الدوقيتين في يناير ١٨٦٤، وأجبرت الدنمارك على طلب الصلح، والتنازل عن حقوقها في الدوقيتين. واتفقت بروسية والنمسا في البداية على الحكم الثانی في الدوقيتين، ولكن الخلافات بينهما ظهرت من جديد، ولذلك كان على بسمارك أن يهیی نفسه لتحطيم النمسا عسكرياً بعد أن ضمن حياد كل من روسيا وفرنسا وإيطاليا، وكذلك إنكلترا التي لا تهتم بحرب برية لا تغير ميزان القوى في أوروبا. وبدأت الحرب بين النمسا وبروسيا من دون إعلان للحرب، واحتلت القوات البروسيا هانوفر وسكسونية وكورهنس، وكانت المعركة الفاصلة في بوهيمية، حيث هزم الجيش النمساوي عند كونيك غراتز (سادوفة) Koniggraz في ٣ يوليو ١٨٦٦. وعقد السلام النهائي في براغ بين النمسا وبروسية في ٢٣ أغسطس ١٨٦٦. وهكذا أصبحت الطريق مفتوحة لإقامة ألمانيا الصغرى، وذلك بإعلان الاتحاد الألماني الشمالي بزعمارة بروسيا. وبذا نجح بسمارك مرة أخرى بعد انتصاره على الدنمارك في بناء دولة اتحادية من الإمارات الألمانية شمال ماينز، وجعل لها دستوراً وأنشأ مجلس نواب للاتحاد، سمي بالرايخستاغ Reichstag. وبدأت الخلافات بين فرنسا وبروسيا منذ انتهاء الحرب مع النمسا، وجاءت الأزمة الدبلوماسية حول ولاية العهد في إسبانيا، فاستغلها بسمارك من أجل دفع فرنسا إلى الحرب وإلقاء مسئولية إعلانها عليها.

أعلنت فرنسا الحرب على بروسيا في ١٩ يوليو ١٨٧٠، وبدأت الحرب بين الطرفين، وأظهر البروسيون تفوقًا عسكريًا، أجبر الجيش الفرنسي على التسليم في سيدان Sedan في أول سبتمبر ١٨٧٠، وأعلنت الجمهورية الفرنسية في كومونة باريس، ووقعت الهدنة التي انتهت بصلح فرانكفورت يوم ١٠ مايو ١٨٧١. وقام بسمارك في أثناء الحرب الفرنسية البروسية بمفاوضة الإمارات الألمانية الجنوبية لتدخل اتحاد إمارات الشمال، ولكنها رفضت في البداية، ثم وافقت. وفي ١٨ يناير ١٨٧١ وفي قاعة المرايا بقصر فرساي أعلن قيام الإمبراطورية الألمانية وتتويج القيصر وليم الأول إمبراطورًا على ألمانيا، وبذلك سيطر المستشار الحديدي بسمارك بوصفه الصانع الرئيسي للوحدة الألمانية وهو في سن الخامسة والستين من عمره على مقاليد الأمور في البلاد.

خاض بسمارك صراعًا قاسيًا مع الكنيسة والحزب الكاثوليكي حين أصدر بين ١٨٧١ و ١٨٧٣ جملة من القرارات تتعلق برجال الدين. وبذلك بدأ صراع بين بسمارك والكنيسة الكاثوليكية عرف باسم «الصراع الثقافي»، ولكن ذلك لم يدم طويلاً، لأن بسمارك بدأ منذ عام ١٨٨١ في تخفيف قبضته وتعديل سياسته تجاه رجال الدين، وخشى بسمارك من خطورة الحزب الاشتراكي الديمقراطي المعادي للملكية، ولا سيما بعد النجاحات التي حققتها حركة الاشتراكيين الديمقراطيين في انتخابات ١٨٧٧ فقام بخطوتين: أولاهما السعى إلى تحطيم الاشتراكيين بقانون استثنائي، والثانية إدخال بعض الإصلاحات الاشتراكية لمصلحة العمال، وتعرض الإمبراطور وليم الأول عام ١٨٧٨ لمحاولتي اغتيال، فاغتنم بسمارك الفرصة وادعى أن مدبري هاتين المحاولتين من أنصار الحزب الاشتراكي الديمقراطي، واستصدر من الرايخستاغ قانونًا بحل جميع الاتحادات الاشتراكية الديمقراطية، ولكن القانون لم

يحق فرضه، فقام ببعض الإصلاحات الاجتماعية لأحوال العمال، وأصدر قانون التأمين الصحي عام ١٨٨٣، وقانون التأمين من الحوادث ١٨٨٤، وقانوناً يلزم أصحاب العمل بدفع رواتب تقاعدية للعمال بعد عجزهم. ولكن ذلك لم يمنع الاشتراكيين الديمقراطيين من تأسيس تنظيمات سرية تروج أفكارهم عن طريق منشورات تأتيهم سرّاً من سويسرا وبلجيكا.

كان لبسمارك الفضل في التطور الاقتصادي الذي شهدته ألمانيا في تلك المرحلة، إذ اهتمد سنة ١٨٧٣ وحدة نقدية هي المارك، وتم إنشاء مصرف للإمبراطورية سنة ١٨٧٥، ولم يكن لدى بسمارك عند إنشاء الرايخ الألماني أى رغبة في تكوين مستعمرات لألمانيا، ولكن هذا تغير بحجة حماية التجارة، وكانت سياسة بسمارك قائمة على عزل فرنسا، وصرف أنظارها عن الأزراس واللورين، وكسب صداقة روسيا من غير إغضاب إنكلترا وكسب ود النمسا من دون الابتعاد عن روسيا وفي عام ١٨٧٢ عقدت روسيا وألمانيا والنمسا «اتفاق القياصرة الثلاثة» لتدعيم السلام.

وفي الحرب الروسية التركية (١٨٧٥ - ١٨٧٨) عرض بسمارك وساطته، وعقد مؤتمر برلين الذي اختير بسمارك رئيساً له. ونجح على الرغم من الصعوبات في التوصل إلى اتفاق، ولكن روسيا خرجت ناقمة عليه، فازداد التقارب بين ألمانيا والنمسا وتوج باتفاق ثنائي عام ١٨٧٩. وواصل بسمارك جهوده ونجح في تحديد معاهدة القياصرة الثلاثة عام ١٨٨٤ لمدة ثلاث سنوات، وبسبب الخلاف النمساوى الروسى فى البلقان لم تجدد المعاهدة مرة ثالثة. وعقد بسمارك معاهدة سرية مع روسيا، عرفت باسم معاهدة «تأمين الظهر» كما نجح فى ٢٠ مايو ١٨٨٢ فى عقد معاهدة دفاعية سرية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا، ثم انضمت صربيا ورومانيا إلى هذه

الاتفاقية، وحاول أن يقيم علاقات طيبة مع إنكلترا بعد التقارب الفرنسى الروسى، ولكن ذلك لم يتم.

مات القيصر وليم الأول فى فبراير ١٨٨٨ فخلفه ابنه المريض باسم القيصر فريدريك الثالث، ثم مات فريدريك بعد ٩٩ يوماً فخلفه القيصر وليم الثانى الحديث السن، ونشب الخلاف بينهما فى السياسة الخارجية، وأخيراً أجبر القيصر بسمارك على تقديم استقالته فى ٢٠ فبراير ١٨٩٠، وعاد إلى ضيعة له قرب هامبرو . بعد ٢٨ سنة من العمل السياسى غادر بسمارك الساحة الأوروبية والألمانية ، وظل فى قريته يكتب مذكراته التى صاغها فى كتابه «أفكار وذكريات» حتى موته.

* * * *

الدالاي لاما

لقب الزعيم الروحي لشعب التيبب البوذي وهو يجسد «بوذا الحى» فيما يسمى بـ «التناسخ والحلول» حسب عقيدة البوذيين، والدالاي لاما الحالى هو الرابع عشر فى سلسلة «الدالاي لامات» التى تعود إلى القرن الخامس عشر وكل «دالاي لاما» يعتبر لمسيحاً جديداً لسلفه.

هو «كينزين جياتسو» ولد فى قرية صغيرة تسمى «ناكستر» فى شمال شرق إقليم التيبب فى عائلة قروية غير معروفة، وحين بلغ عمره عامين جاءته لجنة من الزعماء الروحانيين فى باقى إقليم التيبب بناء على «إلهامات إلهية» و «رؤى نبوية» شاهدها جميعاً وأخضعوا الطفل الصغير لاختبارات تأكدوا معها أنه هو الدالاي لاما الجديد وهو «انبثاق الرحمة».

بدأ تعليمه وعمره ٦ سنوات واستقر على عرش الأسد فى قصر «بوتالا» الفخم العظيم فى «لهاسا» العاصمة وعمره ١٤ سنة، وكان القصر مظلماً وبارداً برغم أبهته وجماله، وكرس نفسه فيه لدراسة «الإلهيات البوذية» و «الفلسفة البوذية».

ورغم أنه كان تحت تصرفه آلاف الغرف فى القصر، فلم يكن يغادر جناحه، وفى الصيف كان يقيم فى دير منعزل فى قصر «نوربولنجا» خارج المدينة .

وفى سن ٢٤ سنة كان الفصل فى تاريخه حين كان عليه اجتياز ثلاثة امتحانات فى ثلاث جامعات دينية وقد أدى الامتحان بطريقة شديدة الصعوبة، ففى الصباح أدى الامتحان أمام لجنة مكونة من ثلاثين «معلمًا» فى المنطق، وبعد الظهر أدار حواراً



فلسفيًا صعبًا مع «١٥» من كبار الفلاسفة «المعلمين» من رجال الدين حول ما يسمى به الطريق الوسط وفي المساء امتحن «٣٥» أستاذًا «معلمًا» معلوماته في سر الرهينة البوذية، وفي النسك وفي تعاليم ومفاهيم فلسفة الميتافيزيقيا «أو ما وراء الطبيعة» وحصل على الدكتوراه وعمره «٢٥» سنة.

لكن حياته لم تكن بهذه السهولة والبساطة مثل سابقه من «الدالاي لامات»، ففي عام ١٩٥١م وكان عمره ١٦ سنة وقبل بلوغ السن القانونية بعامين استدعى من قبل كبار القادة في البلاد لاستلام كامل للسلطة السياسية كرئيس للدولة والحكومة حين كانت البلاد مهددة بالاجتياح الصيني، حاول «الدالاي لاما» جاهدًا التفاهم مع الصينيين للحفاظ على خصوصية التيبث لكنهم دخلوها وقتلوا الرهبان ونشروا الدبابات التي لم يكن أهل التيبث يعرفونها، كسر «الدالاي لاما» العزلة التقليدية المفروضة على منصبه فالتقى بالزعيم الصيني «ماوتسى تونج»، وبرئيس وزراء الهند «نهرو»، وحين زار الهند وقف أمام مكان «محرقة جسد غاندى» واستلهم هناك الطريقة التي عليه اتباعها لتحرير التيبث فاختر السلام.

وبرغم ما كان يرى من معاناة شعبه من نقص في المواد الغذائية والاضطهاد الدينى وإخضاعهم للعمل الإجبارى حتى الأطفال والعجائز منهم، والسجن والتعذيب والتعقيم القسرى للنساء، وإعدام آلاف الرجال بعد أن كان الإقليم منعزلًا سياسيًا واجتماعيًا بسكانه البالغ عددهم «٦» ملايين إنسان وكانوا يفضلون تجنب الغرباء، وهو ما يفسر عدم وجود حلفاء لهم فى مواجهة الصين فى البداية لكن جهود «الدالاي لاما» جعلت البرلمان الأوروبى يقرر الاعتراف بالحكومة التيبثية فى المنفى والاعتراف به كممثل شرعى لشعب التيبث وزعيمه، فى عام ١٩٨٧ قدم «الدالاي لاما» خطة سلام

من «٥٥» نقاط، وتعد من أكثر الوثائق «رقياً» في التاريخ، ومنها تحويل التيبت إلى منطقة سلام آمن في «الهمالايا» وحماية الطبيعة والإنسان فيها، لكن الصين رفضت حتى مجرد قراءتها.

حياة «الدالاي لاما» في منفاه الهندي صعبة، والوصول إلى مقره شاق وهو يستهبط في الرابعة فجراً ليصلى وينذر نفسه للحياة من أجل الآخرين، ثوبه بنى اللون وله رقع دائماً . يفطر بعد الصلاة والتزهة ثم يتابع الأخبار وبعدها يتفرغ للتأمل وممارسة الحكم واستقبال الزوار، وينسحب إلى عزلته في التاسعة مساءً. «الدالاي لاما» مثقف مبتسم دائماً، مقبل على الحياة مبهج الأسارير، يقول: «ديني الحقيقي هو الرحمة» حاز على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٨٩م حاول الصينيون اغتياله بدعوته لعرض عسكري لكن أنصاره منعه من الذهاب بالقوة . وحين غادر التيبت متنكراً والقته أمه وأخته، ولدى وصوله إلى الهند بعد رحلة شاقة وسط ثلوج في الجبال استقبله «١٠٠٠» صحفى أجنبى وأرسل إليه «نهر» يستضيفه في بلاده، وسميت المدينة التي نزل بها «دهارمسلا» باسم «لهاسا الصغيرة»، وأسس فيها عام ١٩٦٠ قرية للأطفال وجمعية للرقص والمسرح ومكتبة ومركزاً للطب والتنجيم ومعهداً لدراسة الفلسفة البوذية ومقر حكمه، وأصدر دستوراً جديداً لبلاده التيبت يتعلق بالتعليم بشكل خاص «للدالاي لاما» مؤلفات بينها : «الحرية في المنفى» و «أرضى وشعبى» و«محيط الحكمة» و «سياسة الرحمة» و «حياة طيبة . . موت طيب».

جان دارك

جان دارك Jeanne darc بطلة شعبية فرنسية ولدت في ٦ يناير عام ١٤١٢م في مدينة دومرمي Domrémy الواقعة في مقاطعة اللورين من عائلة ريفية، كانت شديدة التدين منذ صغرها، وادعت أنها تسمع أصواتاً مجهولة تحثها على التطوع من أجل إنقاذ فرنسا من الاحتلال الإنكليزي، وكانت فرنسا آنذاك مقسمة إلى ثلاث مناطق:

١ - منطقة يحتلها الإنكليز هي: النورماندى Normandie، والشمال Le nord وباريس Paris .

٢ - فرنسا البرغونية France Bourguignon .

٣ - فرنسا المخلصة لشارل السابع Charles VII الوريث الشرعي، المتلجئ إلى مدينة بوج Bourges وهي: الجنوب Le Midi، ومنطقة الأنجو L' Anjou .

حاولت جان دارك مقابلة شارل السابع عدة مرات، وأخيراً سمح لها بمقابلته في مدينة شينون Chinon، وذلك في أثناء حصار مدينة أورليان Orléans التي تقع جنوبى مدينة باريس على نهر اللوار Loire، وتم اللقاء في عام ١٤٢٩، واستطاعت جان دارك الحصول على ثقة شارل السابع وإقناعه بالمهمة المقدسة التي أوكلتها إليها «القدرة الإلهية»، فوضعت على رأس قوة عسكرية صغيرة أجبرت الإنكليز على رفع الحصار عن مدينة أورليان، وهزمتهم في باتى Patay، وعملت على تنويع شارل السابع ملكاً على فرنسا في مدينة ريمس Reims في ١٧ يوليو ١٤٢٩، لكن جان دارك أخفقت أمام مدينة باريس، ووقعت أسيرة فى أيدي البرغونيين فى ٢٣ مايو ١٤٣٠ فى بلدة كومبيين Compiègne، وقد سلمها قائدهم جان دو لوكسمبورغ

Jean de Luxembourg مقابل مبلغ من المال إلى الإنكليز الذين اتهموها بأنها ساحرة وحاكموها أمام محكمة دينية ترأسها أسقف مدينة بوفى المدعو بيير كوشون .
Pierre Cauchon .

دافعت جان دارك عن نفسها أمام المحكمة الدينية بكل ما أوتيت من براعة وتواضع وشجاعة، لكن المحكمة اتهمتها بالهرطقة وعدم الإخلاص للديانة المسيحية، وكانت هاربة هذه التهمة الحرق حية، ونفذ فيها الحكم فى ٣٠ مايو عام ١٤٣١، وأحرقت حية فى مدينة روان Rouen عاصمة منطقة النورماندى التى تقع إلى الشمال الغربى من مدينة باريس .

وفى عام ١٤٥٠ أعيدت محاكمتها لإعادة الاعتبار إليها، وصدر حكم إعادة الاعتبار إليها رسمياً فى عام ١٤٥٦، وفى عام ١٩٠٩ أصدر البابا قراراً يعدّها «من السعداء» beatifiée ومنحتها الكنيسة الكاثوليكية عام ١٩٢٠ مرتبة «القديسة» Ella été canonisée وخصص لها يوم عيد دينى فى ٣٠ مايو ، يعرف بيوم القديسة جان دارك La Fete de Ste Jeanne d'Arc من كل عام، كما خصص لها يوم عيد وطنى، يصادف الأحد الثانى من شهر مايو فى كل عام .

كانت القديسة جان دارك مصدر إلهام عدد كبير من الأدباء والفنانين الذين أصدروا عنها عدة مؤلفات أدبية مأساوية ، منها المجموعة الشعرية للشاعرة كريستين دو بيزان Christine de pisan التى تحمل عنوان Dictié de Jeanne darc ومأساة فتاة أورليان ١٨٩١ Le pucelle d'orléans للشعر الألمانى شيلر، «والقديسة جان» Saint Jeane للكاتب الأيرلندى جورج برنارد شو G . B . Shaw عام ١٩٢٣ و «جان فى المحرقة» Jeanne au bucher غناء دينى لـ ب . كلوديل Oratorio de P. Claudel، كما رسمها عدد من الفنانين فى لوحات شهيرة، وكانت حياتها وأعمالها موضوع عدد من الأفلام السينمائية المتميزة .

جميلة بوحريد

المناضلة الجزائرية جميلة بوحريد ليست رمزاً من رموز النضال الجزائري فحسب، بل علامة بارزة أيضاً في حركات التحرر التي عرفها العالم لكسر شوكة الاستعمار، فلا تكاد تذكر هذه الحركات إلا ويذكر معها جميلة بوحريد.

هذه المرأة التي كانت شوكة في خاصرة الاستعمار الفرنسي ولدت عام ١٩٣٥م بحى القصبة العتيق بالجزائر العاصمة، وترعرعت في أسرة متوسطة الحال بين أم تونسية الأصل وأب جزائري مثقف، وسبعة إخوة هي الفتاة الوحيدة بينهم، تشربت مبادئ النضال من أبيها الشائر، وأمها التي انتفضت غاضبة حينما سمعتها تردد عبارة من كتاب التاريخ تقول: أسلافنا هم الغال، أى شعب الغال الذى يتنى إليه الفرنسيون»، وزرعت فيها أولى بذور الوطنية والانتماء حينما قالت لها: «الجزائر وطنك، والعروبة هويتك، والإسلام دينك، وإفريقيا جنتك التى يجب أن تعود كاملة لأصحابها الإفريقيين»، وهو الكلام الذى انعكس بشكل جلى على حياتها التى أخذت منعطفاً ثورياً بدا واضحاً فى مخالفتها للطلاب الجزائريين الذين كانوا يرددون فى طابور الصباح «أنا» أى فرنسا، ولكنها وحدها التى كانت تغرد خارج السرب وهى تردد «الجزائر»، فأخرجها ناظر المدرسة الفرنسى وعاقبها بشدة، ولكن هذا العقاب لم يؤت أكله، بل زادها إصراراً وتشبثاً بموقفها الذى قويت شوكته بانضمامها إلى صفوف الثورة الجزائرية عام ١٩٥٦م وهى لا تزال تلميذة.

اضطلعت بالمهام الصعبة التى لا يقوى عليها إلا الرجال الأشداء، حيث كانت تقوم بنقل الأسلحة وزرع القنابل والعبوات الناسفة فى الأماكن التى يرتادها المستعمرون،

كما عملت مسئولة ارتباط مع القائد سعدى ياسف، لذلك أصبحت من أكثر المطلوبين من طرف الاستعمار الفرنسى الذى تمكن من إصابتها برصاصة فى الكتف عام ١٩٥٧م والقبض عليها.

وخلف أسوار المستشفى تعرضت لأشد أنواع التعذيب الذى تمثل فى الصعق الكهربائى ولمدة ثلاثة أيام لحملها على الاعتراف على زملائها، ولكنها ظلت مستعصمة بالصبر لثلا ينطق لسانها بكلمة تفسى أسرار إخوانها الثوار، غير أنها كلما اردادت إصراراً على موقفها ازداد زبانية الاستعمار غلاً، ونزلوا على جسدها المكودود بصعقات كهربائية مستتالية حتى تفقد وعيها، ولكن عندما تفيق تصعقهم بصعقة أكبر حينما تقول: «الجزائر أمنا»، لذلك أيقن الاستعمار الفرنسى أن انتزاع أى اعتراف منها بات أمراً مستحيلأ، فتقرر محاكمتها صوريا، وحكم عليها بالإعدام الذى تحدد له يوم ٧ آذار / مارس ١٩٥٨م، إلا أنها لم تقدم قضيتها قربانأ للاستعمار الفرنسى حتى يصفح عنها، وما ضعفت وما استكانت بل قالت لقادته: «أعرف أنكم سوف تحكمون علىّ بالإعدام، ولكن لا تنسوا أنكم بقتلى تغتالون الحرية فى بلدكم، ولكنكم لن تمنعوا الجزائر من أن تصبح حرة مستقلة».

وتذكر بعض المصادر أنها كتبت فى مذكراتها بعد أن تقرر إعدامها هذه العبارة: «كان ذلك اليوم من أجمل أيام حياتى، لأنى سأموت من أجل استقلال بلادى الجزائر».

وتضيف أنه بعد عودتها من المحكمة إلى غياهب السجن استقبلها زملاؤها السجناء من المناضلين بأغنية: «الله أكبر تضحيتنا للوطن». كانت لحظة مؤثرة تعجز الكلمات عن وصفها، ومع وحشية تلك الأيام التى قضتها فى السجن إلا أنها تصفها بأنها من الأيام الخالدة التى لا تمحى من الذاكرة.

وتضيف هذه المصادر أنها كانت تقول لأمها عندما تزورها في السجن: «لعلك لا تجدينى هنا في المرة القادمة»، فتضمها أمها وهي تبكى وتقول لها: «ما أسعدك يا جميلة أن تموتى شهيدة، وما أسعدنى أنا الأخرى أن يشار إلى بالبنان: تلك هى أم الشهيدة.

ولكن محاميتها الفرنسى «جاك فيرجيس» الذى تزوجت منه بعد خروجها من السجن وبعد اعتناقه الإسلام، كان مؤمناً أشد الإيمان بقضيتها، وحق الشعوب فى تقرير مصيرها، فكان عقبة كأداء فى وجه الاستعمار الفرنسى الذى تراجع عن حكم الإعدام تحت ضغط الرأى العام العالمى الذى حركه المحامى الفرنسى كالإعصار فى وجه «الاستعمار» الفرنسى.

وبعد أن قضت ثلاث سنوات فى السجن نقلت إلى فرنسا لتقضى ثلاث سنوات أخرى خلف جدران الزنزانة إلى أن أطلق سراحها مع الأسرى الجزائريين فى أعقاب «اتفاقية إيفيان» التى كسرت الطوق الحديدى الذى ضربته فرنسا على الجزائر منذ ١٨٣٠م، وبعد الاستقلال تولت جميلة بوحريد رئاسة اتحاد المرأة الجزائرية، وخاضت فى سبيل هذا الاتحاد نضالاً من نوع آخر لتثبيت القرارات واتخاذ الإجراءات، لأنها لم تكن على وفاق مع الرئيس الأسبق «أحمد بن بلة».

هذه هى جميلة بوحريد التى أعطت الكثير للجزائر.

جيوستى غاريبالدى

جيوستى غاريبالدى Garibaldi Giuseppe سياسى إيطالى ومناضل من أجل الحرية، بطل الوحدة الإيطالية ١٨٧٠ ، ولد فى مدينة نيس الفرنسية فى الرابع من يوليو عام ١٨٠٧م وتوفى فى جزيرة كابريرا (إحدى جزر البليار الإسبانية) فى يونيو عام ١٨٨٢م.

نشأ غاريبالدى فى مملكة البيدمونت فى أقصى الشمال الإيطالى، وعاصمتها تورينو، وملكها فيكتور عمانوئيل، وكانت إيطاليا مقسمة إلى إمارات وممالك، وفى الجنوب كانت مملكة نابولى وصقلية يحكمها آل بوربون الفرنسيون، وفى الوسط المقاطعة البابوية، أما البندقية ولومبارديا فكانتا تحت حكم النمسا المباشر، وكان الإيطاليون يتطلعون إلى الوحدة السياسية، وفى مقدمتهم ما تزينى زعيم جمعية «إيطاليا الفتاة» عمل غاريبالدى ضابطاً فى سلاح البحرية الملكى التابع لسردينيا، وانضم إلى جمعية «إيطاليا الفتاة» عام ١٨٣٣م. شارك مع ماتزينى بشورة فى البيدمونت عام ١٨٣٤م، لكن الثورة فشلت فهرب ماتزينى إلى لندن، وفر غاريبالدى إلى البرازيل، حيث عمل بالتجارة مدة، ثم اشترك فى الدفاع عن الأورغواى ضد الأرجنتين، وشكل هناك جيشاً من المهاجرين الإيطاليين أطلق عليه اسم فرقة القمصان الحمراء تحولت فيما بعد إلى ما يشبه الأسطورة ولا سيما بعد انتصارها فى معركة سان انطونيو ١٨٤٦، وقد وضع غاريبالدى لجيشه فى الأورغواى علمًا أسود فى وسطه بركان، وهو يرمز بذلك لإيطاليا الحزينة التى تضطرم فى جوفها نار الثورة. بعد عودة غاريبالدى من أمريكا اللاتينية شارك بالحرب ضد النمسا، وتولى الدفاع عن إيطاليا

ضد الفرنسيين، وما لبث هذا القائد أن جمع حوله جيشاً شعبياً مكوناً من ٥٠٠٠ خيال متمرسين في حرب الجبال، وحقق أول انتصار له في تحرير لومبارديا في شمالي ميلانو من أيدي النمساويين والفرنسيين، وضمها للملكة البيدمونت في سنة ١٨٥٩، كما قاد غاريبالدي الزحف التاريخي (مسيرة الألف رجل) ممن يلبسون القمصان الحمراء إلى صقلية في ربيع ١٨٦٠م، واستطاع الاستيلاء على بالرمو عاصمة صقلية، وانتصر على آل البوربون، وأقام في الجزيرة حكومة مؤقتة تحت شعار (فيكتور عمانوئيل هو إيطاليا) واستعد للزحف إلى نابولي، وتمكن الجيش الشعبى الذى يقوده غاريبالدي من عبور مضيق مسينا، وسار في الجنوب الإيطالى حتى احتل نابلى، وقضى على عرش آل بوربون، ونادى غاريبالدي بالملك فيكتور عمانوئيل ليكون أول ملك على إيطاليا الموحدة عام ١٨٦١ بعد ضم نابولى وصقلية رسمياً إلى مملكة إيطاليا.

خشى الملك أن يبادر الزعيم المنتصر غاريبالدي بتأثير المتطرفين من أتباع مازينى إلى إعلان جمهورية مستقلة فى جنوبى إيطاليا فعزله وحل جيشه ، فغادر غاريبالدي نابولى إلى جزيرة كابريرا من دون أن ينتظر أى مكافأة، ولكنه كان مصمماً على تحقيق هدفه، وهو تحرير روما وفينيسيا، وجرت الأحداث لمصلحة إيطاليا حينما هزمت النمسا أمام بروسيا فى حرب ١٨٦٦، فتخلت هذه عن البندقية وأعادتها لإيطاليا، وفى سنة ١٨٧٠ تغلبت بروسيا على فرنسا ونابليون الثالث، واستسلمت روما، وعادت عاصمة تاريخية لإيطاليا، وأصبحت إيطاليا موحدة.

حارب غاريبالدي من أجل إيطاليا طويلاً الأمر الذى أكسبه محبة الإيطاليين، فأطلقوا اسمه على معالم كل مدينة وقرية، ونصبوا تماثيله فى معظم المدن الإيطالية، واستحق غاريبالدي لقب (أبو إيطاليا الحديثة).

تيتو

كانت تيتو زعيمًا سياسيًا لدولة كانت إلى ذهن قريب ملء السمع والبصر، لكنها الدنيا، فكم من إمبراطوريات زالت، وكم من دول ضعيفة أصبحت دولاً عظمى، وكم من دول تفككت ولم يعد لها وجود، تلك هي الدولة التي حكمها جوزيف بروز تيتو، (يوغسلافيا) التي تحللت لتضع العالم أجمع أمام مسئوليات هو أجب من أن يتحملها، تفككت تلك الدولة التي كان يحسب لها ألف حساب إلى دولة الصرب وكرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا وكوسوفو والجبل الأسود ودولة البوسنة والهرسك بعد هرب طاحنة سقط فيها مئات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك أمام أعين العالم ولا منقذا!

إن اسم «تيتو» ليس اسمه الحقيقي، ولكنه الاسم الذي كان يتخفى به للهروب من رجال السلطة، سجن لعدة مرات بسبب نشاطاته السياسية، شارك في الحرب الأهلية الإسبانية، بدأ في قيادة قوات المقاومة للاحتلال الألماني عام ١٩٣٨ ليدخل في حرب عصابات مع مؤخرة الجيش الألماني وهو في طريقه إلى روسيا، وقد حقق نجاحًا في كثير من تلك الهجمات رغم الفارق الكبير في التسليح، فهو لا يملك سوى الأفراد المسلحين بالبنادق والأسلحة الأرضية، في حين يتميز الألمان بسلاح الطيران الرهيب، لكنه تمكن من تأخير الهجوم الألماني على روسيا عدة أسابيع أعطت الفرصة للروس للاستعداد، وقد سقط في معارك التحرير ضد الألمان قرابة ٢ مليون يوغسلافي. وباهتار تيتو رئيسًا للجنة التحرير، وقائدًا عسكريًا للجيش اليوغسلافية المحاربة فقد

شكل حكومة مؤقتة عام ١٩٤٣ ثم انتخب رئيساً لجمهورية يوغسلافيا بعد التحرير
١٩٥٣ .

واجه تيتو مثله مثل كل زعماء الدول الصغيرة تحدياً كبيراً بعد الحرب العالمية الثانية، كان ذلك التحدى يتلخص فى محاولة دول التحالف المنتصرة فرض إرادتها على الدول الصغيرة سواء بالدخول فى تحالفات سياسية أو اقتصادية أو منهجية بحيث تتلقى أوامرها من العواصم الكبرى ، لكن تيتو ورغم اعتناقه للاشتراكية فقد رفض أن يتلقى أوامره من موسكو، كما حافظ على علاقته بالحزب الشيوعى الصينى، والذى كان على خلاف مع موسكو، وقد رسم خطأً مستقلاً ليوغسلافيا تبعته فيه دول أوروبية كثيرة تنتهج الاشتراكية، كما ساهم تيتو إلى جوار نهرو، وناصر فى تأسيس وتعزيز مبدأ الحياد الإيجابى وعدم الانحياز لأى من المعسكرين الشيوعى أو الرأسمالى، كما وقف ضد غزو السوفييت لتشييكوسلوفاكيا ١٩٦٧، ولعل أشد ما استطاع تيتو تحقيقه على الصعيد الداخلى ورغم اللحاق بركب التقدم والحضارة هو أن يحافظ على وحدة يوغسلافيا حتى وفاته فى مايو ١٩٨٠، تلك الوحدة التى دمرتها الطائفية ، وأصابع المخابرات الغربية نكاية فى الرجل الذى استطاع أن يقف فى وجههم طوال حياته .



سوكارنو

إن القيادة السياسية كثيراً ما تهتز في نظر شعبها، أو أعين معجبيها إذا ما لامست بصرفات شخصية مشينة، ورغم الدفاع الدائم بأن الممارسات الشخصية والحياة الخاصة هي ملك خاص جداً للمشاهير أو القادة، إلا أن ذلك الدفاع يتحطم على صخر الواقع التي تحب أن ترى القيادة السياسية في أفضل صورة، ولا تقبل منها عيباً بشئها.

أحمد سوكارنو هو زعيم إندونيسيا وأول رئيس لجمهوريةها بعد الاستقلال، وبطل لومى ورائد من رواد حركة عدم الانحياز، قاد الحركة الوطنية من أجل الحرية والاستقلال، سجن لعدة مرات، وعندها لم يجد الهولنديون طريقة لتقييد تحركاته السياسية فقاموا بنفيه إلى جزيرة سومطرة ١٩٤٢، ومع الحرب العالمية الثانية واجتياح اليابان للهولنديين وطردهم من سومطرة وإندونيسيا قام اليابانيون بإطلاق سراح أحمد سوكارنو، لكن الحرب دارت على دول المحور واستسلم اليابانيون بعد إلقاء قنبلتي هيروشيما ونجازاكي دون قيد أو شرط، وانسحبوا من إندونيسيا فأعلن سوكارنو الاستقلال وشكل حكومة وطنية برئاسته، لكن الهولنديين اجتاحتها إندونيسيا في محاولة الاحتلال مرة أخرى، فقاد النضال لتحرير بلاده واعترفت هولندا باستقلال إندونيسيا.

كان لسوكارنو دور واضح في السياسة الخارجية، فقد برز كبطل من أبطال حركة التحرر الوطني في العالم، داعماً لنضال الوطن العربي، وواقفاً ضد التمييز العنصري في أفريقيا، وقائداً من قادة دول عدم الانحياز رافضاً للتبعية الغربية أو الشيوعية.

استطاعت المخابرات المركزية الأمريكية النجاح في صنع انقلاب عسكري ضده مستخدمة قيادات عسكرية محلية بزعامة الجنرال سوهارتو الذي أعدم كل المعارضين للسياسة الأمريكية بدون تمييز، ووصل عدد القتلى إلى ما يزيد عن نصف مليون قتيل بعدها أزاح سوهارتو الزعيم سوكارنو دافعاً إياه للاستقالة الجبرية ليرشح نفسه رئيساً، ويتولى الحكم في فبراير ١٩٦٧، وسيظل سوكارنو زعيماً مناضلاً في قلوب الصينيين والعرب وفيتنام، وكل قوى التحرر في العالم، وقبل أي شيء في قلوب شعبه فهو بطل الاستقلال.

* * * *

سيمون بوليفار

أطلقوا عليه اسم «جورج واشنطن أمريكا اللاتينية»، وذلك بسبب الدور الذي قام به في تحرير كثير من دول أمريكا اللاتينية: كولومبيا وفنزويلا وأكوادور وبيرو، وبوليفيا حررها جميعًا من الاحتلال الإسباني، ولم يحدث إلا نادرًا في التاريخ أن استطاع إنسان أن يقوم بمثل هذا في تحرير قارة بأكملها.

ولد سيمون بوليفار في كراكاس بفنزويلا سنة ١٧٨٣ من عائلة أرستقراطية إسبانية الأصل، وقد تأثر في سياسته بأفكار حركة التنوير في فرنسا، ومن بين الكتب التي قرأها مؤلفات الفيلسوف الإنجليزي جون لوم، والفلاسفة الفرنسيين روسو وفولتير ومونتسكيو، وفي شبابه زار أوروبا وفي روما سنة ١٨٠٥ وقف على تلال أفنتينا وأقسم أن يحرر بلاده من الاستعمار الإسباني. وفي سنة ١٨٠٨ غزا نابليون إسبانيا وعين أخاه ملكًا عليها، وعندما أطاح نابليون بالحكومة الإسبانية كان ذلك تصريحًا وتشجيعًا على أن يفعل غيره نفس الشيء مع الإسبان في أي مكان. وبدأت الثورة ضد إسبانيا في فنزويلا سنة ١٨١٠. وأعلنت استقلالها رسميًا سنة ١٨١١، وفي نفس السنة أصبح بوليفار ضابطًا في جيش الثورة، وفي السنة التالية استعادت إسبانيا سيطرتها على فنزويلا وألقت في السجن بزعيم الثورة فرانثيسكو ميراندا، وهرب بوليفار وشهدت السنوات التالية سلسلة من الحروب تحققت فيها انتصارات ساحقة، ووقعت هزائم مروعة، وجاءت نقطة التحول في سنة ١٨١٩ عندما قاد بوليفار جيشه الصغير عبر الأنهار والأحراش والمستنقعات وعمرات جبال الأنديز وهاجم القوات الإسبانية في كولومبيا، وانتصر على الإسبان في معركة بايوكا الشهيرة يوم ٧ أغسطس

سنة ١٨١٩ وهي نقطة تحول حقيقية في الثورة على الإسبان. وتحررت فنزويلا سنة ١٨٢١، وتحررت أكوادور سنة ١٨٢٢. ونجح الشاعر الأرجنتيني خوسيه دي سان مارتن في أن يحرر الأرجنتين وشيلي من حكم الإسبان، وتعهد بأن يحرر بيرو أيضاً. والتقى الزعميان دي مارتن وبوليفار في جايا لكيل بأكوادور في صيف سنة ١٨٢٢ ولم يتفق الاثنان على أسلوب منسق للتعاون بينهما، وأثر دي مارتن أن ينسحب من القتال نهائياً. مكتفياً بما حققه من انتصارات عظيمة. وفي سنة ١٨٢٤ أكملت جيوش بوليفار تحرير بيرو وحوصرت قوات إسبانيا في بيرو العليا (بوليفيا الآن) في سنة ١٨٢٥.

* * * *

شارل ديغول

لا يمكن أن تذكر فرنسا دون أن تذكر ذلك البطل الأسطوري شارل ديغول، ذلك القائد الشجاع الذي قاد فرنسا إلى التحرير والنصر، كانت خبرته العسكرية اللامحدودة وأفكاره الجديدة في الحرب من وراء نصر فرنسا وتحريرها، فلقد رفض استسلام فرنسا وسافر إلى لندن عام ١٩٤٠م كزعيم لفرنسا الحرة، وقد حاول كل من روزفلت وتشرشل إبعاده لكنه انتصر في النهاية، ولم يبعده سوى زعماء فرنسا المحررة، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٦، وظل بعيداً عن الحكم حتى عام ١٩٥٨ عندما أعاده الشعب الفرنسي إلى قيادة فرنسا قبل أن تغرق البلاد في حرب أهلية طاحنة، فأخذ البلاد، ووضع دستور فرنسا الذي استمرت عليه قرابة الثلاثين عاماً، وقد اهتم ديغول بعظمة فرنسا، فقد كان يؤمن بأن وحدة الفرنسيين لن تكون إلا إذا احتلت فرنسا مكائنها العالمية، ولن يكون ذلك إلا بإقامة مشروعات وطنية عملاقة تنقل فرنسا إلى الصف الأول للدول المتحضرة، فنجح في إعطاء الاستقلال لعدد كبير من دول المستعمرات الفرنسية، وإن احتفظ بأن تقيم تلك الدول علاقات خاصة مع فرنسا، لكنه ووجه بمشكلة كبيرة في الجزائر وكونوا منظمة الجيش السرية، لكنه وباعتباره رجلاً عسكرياً محنكاً استطاع أن يقضى على ذلك التمرد خاصة بعد قيام تلك المنظمة بمحاولتين لاغتياله، لكنه مضى في استكمال مفاوضات الاستقلال. كما خاض ديغول معركة سياسية واقتصادية عندما أصر على رفض فرنسا لدخول بريطانيا عضواً في السوق الأوروبية المشتركة، وأدان تورط أمريكا في فيتنام، وبدأ بناء القوة النووية الفرنسية منسحباً عسكرياً من حلف شمال الأطلسي، وقد غير

ديجول من صورة فرنسا المستعمرة في الوطن العربي فأقام علاقات صداقة قوية مع الدول العربية، وأضحت فرنسا داعمة للقضية العربية مما أكسب ديجول عداوة اليهود الفرنسيين والأمريكيين، وقد كان ذلك واضحاً في مظاهرات الطلاب والعمال ١٩٦٨، فأجرى الاستفتاء الشعبي في ٦٩ ولم يكن لصالحه فاستقال.

وتوفي ديجول عام ١٩٧١ تاركاً للفرنسيين والعالم رمزاً وطنياً ونظرية سياسية يتعلم منها قادة فرنسا حتى الآن هي «الديجولية».

* * * *

فيدل كاسترو

فيدل كاسترو روز Fidel Castro Ruz قائد الثورة الكوبية، ورئيس مجلس الدولة لى جمهورية كوبا الاشتراكية الشعبية، والأمين العام للحزب الشيوعى الكوبى.

ولد فيدل كاسترو فى بلدة مايارى Mayari بمقاطعة أورنتا Oriente بكوبا عام ١٩٢٧م كان والده أنجيل كاسترو أرغيز Angel Castro Y Arguiz مهاجرًا إسبانيًا يملك مزرعة لقصب السكر فى منطقة تسيطر عليها شركة الفواكه الأمريكية.

بدأ كاسترو دراسته الأولية فى مدرسة داخلية تابعة لكنيسة الروم الكاثوليك بمدينة سانتياغو، وتابع تعليمه فى مدرسة بيلين الثانوية، حيث اشتهر بتفوقه الرياضى. فى عام ١٩٤٥ التحق بكلية الحقوق فى جامعة هافانا، وبعد تخرجه افتتح - مع عدد من زملائه - مكتبًا للمحاماة والاستشارات القانونية، وكان فى أثناء دراسته الجامعية قد اهدى اهتمامًا كبيرًا بالسياسة وبالعمل الثورى. انضم إلى حزب الشعب الكوبى ذى الميول اليسارية، وأصبح مرشح الحزب فى ولاية هافانا فى الانتخابات التى كان مقرراً إجراؤها فى حزيران / يونيو ١٩٥٢، إلا أنه فى آذار / مارس من العام نفسه قام الجنرال فولخينسيو باتيستا Fulgencio Batista بانقلاب عسكري أطاح بحكومة الرئيس كارلوس، وألغى الانتخابات، وفرض على البلاد نظامًا عسكريًا «دكتاتوريًا».

عارض كاسترو نظام باتيستا الدكتاتورى المدعوم أمريكياً منذ البداية، ولهذا عمد منذ عام ١٩٥٣ إلى تأليف منظمة سرية مسلحة لإسقاطه. وفى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٣ هاجم كاسترو مع ١٦٠ رجلاً من أنصاره ثكنة مونكادا العسكرية فى مدينة سانتياغو

أملأ في أن يفجر الهجوم انتفاضة شعبية ضد حكم باتيستا، إلا أن الهجوم أخفق، وقتل معظم المهاجمين، واعتقل كاسترو وشقيقه راؤول Raoul وعدد من رفاقهما، وحكم على فيدل بالسجن مدة خمسة عشر عاماً.

بعد عامين من السجن أطلق سراح كاسترو ورفاقه بعفو خاص، فذهب إلى المكسيك حيث عمل على تنظيم الكوبيين المنفيين في جمعية ثورية أطلق عليها اسم «حركة ٢٦ يوليو» للإطاحة بالنظام «الدكتاتوري».

وفي أثناء وجوده في المكسيك التقى كاسترو الطبيب الأرجنتيني الأصل أرستو تشي غفيارا المعروف بميوله الثورية اليسارية والذي انضم إلى كاسترو ولازمه حتى انتصار الثورة.

في ديسمبر من عام ١٩٥٦ عاد كاسترو إلى كوبا مع واحد وثمانين رجلاً مسلحاً نزلوا على ساحل ولاية أورينت، وبعد مقتل أغلبية رجاله في مواجهة مع حرس السواحل انسحب مع من بقى منهم إلى جبال سييرا مايسترا Maestra ليبدأ من هناك حرب العصابات ضد قوات باتيستا، واستطاع كاسترو بعد ثلاث سنوات من الكفاح أن يدحر النظام «الدكتاتوري» وأن يرغم ياتيستا على الهروب من البلاد.

في الأول من يناير ١٩٥٩ دخل كاسترو إلى العاصمة هافانا Havana وأعلن انتصار الثورة في كوبا، ثم باشر بتنفيذ برنامجه الوطني الذي اشتمل على تحقيق إصلاح زراعي جذري، وتأميم الفروع الأساسية للصناعة والمصارف، كما شمل التأميم الشركات الأمريكية بما فيها مصفاة النفط. كذلك تضمن البرنامج إجراء إصلاح شامل في نظام التعليم وجعله مجانياً في جميع مراحلها، إلى جانب البدء بعملية تصفية الأمية في البلاد.

اتخذت الولايات المتحدة منذ البداية موقفًا سلبياً من الثورة الكوبية، وتحول هذا الموقف إلى عداء واضح بعد تأمين الممتلكات الأمريكية الذي ردت عليه أمريكا بوقف شراء السكر الكوبي الذي كان المصدر الأساسي للدخل الوطني، وبعد توقيع معاهدة التعاون الشاملة مع الاتحاد السوفيتي (عام ١٩٦٠) أعلنت الولايات المتحدة قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا، ومحاصرتها اقتصادياً. وفي ١٧ أبريل ١٩٦١ قام نحو ١٥٠٠ مسلح من الكوبيين اللاجئين في أمريكا بمحاولة لغزو كوبا في منطقة خليج الخنازير The Bay of Pigs بإعداد وتمويل من الولايات المتحدة في عهد الرئيس جون كينيدي، ولكن الهجوم فشل، وألقي القبض على كثيرين من المهاجمين الذين اعترفوا بدور المخابرات المركزية الأمريكية في تلك العملية.

أدرك كاسترو بعد معركة خليج الخنازير أن معركته مع الإمبريالية الأمريكية هي معركة حياة أو موت، وأن عليه اتخاذ جميع التدابير لحماية بلاده، لذلك وقع مع الاتحاد السوفيتي معاهدة دفاع مشترك أقيمت بموجبها قاعدة للصواريخ السوفيتية في كوبا، وعندما اكتشفت الولايات المتحدة وجود القاعدة قامت بحصار كوبا في ١٩٦٣، وطلبت من خروشوف - رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي آنذاك - سحب الصواريخ أو أنها ستقوم بغزو كوبا. توتر الوضع الدولي نتيجة هذه الحادثة التي كانت تهدد بتحويل الحرب الباردة بين العسكريين إلى حرب ساخنة، ولكن الحكمة تغلبت، وتم تجاوز الأزمة بالتوصل إلى اتفاق نص على سحب الاتحاد السوفيتي لصواريخه من كوبا مقابل تعهد أمريكي رسمي باحترام سيادة كوبا واستقلالها والتعهد بعدم هزوها، إضافة إلى سحب الصواريخ الأمريكية الموجهة إلى الاتحاد السوفيتي من تركيا.

فى عام ١٩٧٦ صدر دستور جديد للبلاد أعلنت كوبا بموجه جمهورية اشتراكية شعبية، ونص الدستور على تشكيل جمعية وطنية، وإنشاء مجلس الدولة الذى أصبح كاسترو رئيساً له. وفى هذه الفترة نفسها أعلن عن تأسيس الحزب الشيوعى الكوبى، وانتخب كاسترو أيضاً أميناً عاماً له.

على الصعيد العالمى دعم كاسترو حركات التحرير الوطنى فى آسيا وإفريقيا (الانتفاضة الشعبية فى بوليفيا ١٩٧٦ - حركة الجبهة الساندينية للتحرير الوطنى فى نيكاراغو - إرسال قوات كوبية إلى أنغولا وأثيوبيا لمساعدة النظامين اليساريين فيها). كما أرسل أعداداً كبيرة من الأطباء والمهندسين لمساعدة عدد من بلدان العالم الثالث، وكان أول من طالب بإلغاء ديون البلدان المتقدمة على البلدان النامية.

كذلك جعل كاسترو من كوبا دولة صديقة للبلدان العربية، كما أيد دائماً جميع القضايا العربية، وفى مقدمتها قضية الشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة، وقدم المنح الدراسية لتعليم مئات الكوادر الفلسطينية والعربية فى شتى الاختصاصات، كما أدان كاسترو الصهيونية حركة عنصرية إرهابية، وحمل إسرائيل مسئولية التوتر فى الشرق الأوسط، وما يزال يرفض إقامة علاقات معها.

منذ الثمانينيات بدأت فى دول المعسكر الاشتراكى تطورات مهمة تحت شعارات إعادة البناء والشفافية، انعكست فى تحقيق نوع من الانفراج الداخلى وتوسيع هامش الحريات. ولكن كاسترو رفض تطبيق هذه الإجراءات اقتناعاً منه بأنها جرت تحت الضغط الخارجى. . وقد أدى رفضه إلى تحركات معادية للثورة وإلى اشتداد الهجوم الإعلامى الغربى والأمريكى ضده بوجه خاص.

وكان لانهار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١ تأثير سلبى كبير على كوبا، لأنه أدى إلى وقف المساعدات السوفيتية سخية، مما أدى إلى صعوبات كبيرة شهدتها الاقتصاد

الكوبي . واضطرت كوبا فى السنوات الأخيرة إلى تطبيق بعض الإجراءات الليبرالية فى الاقتصاد لتستطيع تأمين السلع الضرورية للاستهلاك الداخلى .

تأثر كاسترو فى شبابه بأفكار خوان مارتى J. Marti وسيمون بوليفار S. Bolivar الثورين اللاتينيين اللذين وهبا حياتهما لتحرير كوبا وأمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني ، وفى أثناء دراسته الجامعية اطلع على كتاب «رأس المال» لكارل ماركس ، وأعجب بالتحليل العلمى لبنية النظام الرأسمالى ؛ إلا أن انتقاله النهائى إلى مواقع الماركسية كان مرتبطاً بالتطورات والمشكلات الملموسة التى واجهت الثورة ، والتى كان على قيادتها وضع حلول لها لم تجدها إلا لدى ماركس ولينين .

تزوج كاسترو فى عام ١٩٤٨ من زميلته دياز بالارت ، وله منها ولد واحد هو هيدلبيتو يعمل حالياً فى اللجنة الكوبية للطاقة الذرية ، وله ابنة من زواج آخر تدعى إلينا سببت له إشكالات عندما تزوجت سراً من دبلوماسى مكسيكى ، ثم هربت إلى الولايات المتحدة ، حيث شارك فى الحملات الإعلامية المعادية لكوبا .

عرف كاسترو بقدرته الكبيرة على الخطابة ، وبشخصيته الثورية الجذابة ، وبصلاته الهمة مع الجماهير وهب حياته للنضال بصلابة ضد الإمبريالية الأمريكية ومؤامراتها ، وتعرض لأكثر من عشرين محاولة اغتيال نجا منها جميعاً . وما تزال الثورة التى قادها على الرغم من الصعوبات التى تواجهها - تتخذ مثلاً لشعوب أمريكا اللاتينية ، خصوصاً بعد التحولات الأخيرة التى أوصلت إلى السلطة - عن طريق الانتخابات الديمقراطية - قوى وطنية يسارية معادية للهيمنة الأمريكية فى كل من فنزويلا ، والبرازيل والأرجنتين ، وتتعاون هذه البلدان مع كوبا لإحياء ما أسمته «الخيار البوليفارى» ، أى النضال من أجل الاستقلال والتنمية من دون أى تدخل خارجى .

قورش العظيم

هو مؤسس الإمبراطورية الفارسية، وقد بدأ حياته حاكماً صغيراً جنوب غرب «إيران» ولكنه استطاع بغزوات بارعة أن يسقط ثلاث إمبراطوريات: الإمبراطورية الميديّة، الإمبراطورية الليدية، الإمبراطورية البابلية.

واستطاع أن يوحد معظم دول العالم القديم في دولة واحدة تمتد من الهند إلى البحر المتوسط.

ولد قورش سنة ٥٩٠ ق.م في ولاية فرسيس «فارس» جنوب غرب إيران، وكانت جزءاً من إمبراطورية ميديا، وهو سليل أسرة من النبلاء، ثم جاءت الأساطير وتناولت حياة «قورش» هذا تماماً مثل حياة الملك الإغريقي «أوديب»، فقد رأى جده في المنام أن أحد أحفاده سوف يقتله، فلما ولد «قورش» قرر الجد أن يقتل الطفل وأعطاه لأحد الموظفين ليقتله، ولكن هذا الموظف لم يستطع ذلك، فسلم الطفل إلى أحد الرعاة ليقتله، ولكن الراعي لم تطاوعه نفسه وكبر الطفل واغتال جده.

وهذه القصة موجودة فيما كتبه المؤرخ الإغريقي «هيرودوت» لكنها من صنع الخيال فنحن لا نعرف شيئاً عن طفولة «قورش»، وكل ما نعرفه هو أنه ولي العرش بعد وفاة أبيه الملك «قمبيز الأول» ملك الفرس. وبدأت حروب «قورش» إلى أن أسقطت الملوك واحداً بعد واحد، واتجه «قورش» إلى الملك «قارون» إمبراطور «ليديا» تركيا وغيرها، واستولى على مجوهرات هذا الملك وكنوزه وجعله أسيراً له.

ولم تقاومه إمبراطورية «بابل» فدخلها «قورش» بلا مقاومة، وكانت تضم سوريا وفلسطين.

وانجه بعد ذلك إلى المناطق شرقى بحر «قزوين» وقاومته هذه المناطق ولم يستطع هزوها، بل إنه انهزم - أى أن أعظم إمبراطور فى ذلك الوقت قد انهزم ثم أسروه وذبحوه.

وخلفه ابنه «قمبيز الثانى» الذى هزم القبائل بالقرب من «قزوين» واسترد رفات أبيه ودفنها فى مدينة «باسارجادى»، ثم تحولت قوات «قمبيز الثانى» إلى الاستيلاء على «مصر»، وبذلك أصبح الشرق الأوسط كله جزءاً واحداً من الإمبراطورية الفارسية.

وكان «قورش» قائداً عسكرياً بارعاً ولم تكن براعته العسكرية إلا جانباً واحداً من عظمته، أما العظمة الحقيقية فهى تسامحه الدينى ، فلم يكن متعصباً إنما كان رجلاً رحيمًا، فالبابليون طردوا اليهود بالآلوف فأعادهم «قورش» إلى أرض فلسطين وأعطاهم حق الحياة والعبادة، ولولا قرار «قورش» هذا لانقرض اليهود تمامًا فى القرن الخامس قبل الميلاد.

ومن مآثره أيضًا أن الإمبراطورية قد عاشت بعده أكثر من مائتى سنة حتى جاء «الإسكندر الأكبر» فغزاها ومزقها ، ولكن البلاد التى حكمها الفرس استمعت بالهدوء والسلام.

وعظمة «قورش» لا ترجع فقط إلى معاركه الضخمة ولا إلى توحيد هذه الدول المتنافرة، إنما ترجع أهميته إلى أن إنجازاته كانت نقطة تحول فى التاريخ السياسى للعالم القديم، ولم يكن للإمبراطورية الفارسية أثر عميق كالذى تركته الإمبراطورية الرومانية أو البريطانية أو الصينية، لكن الأثر الذى تركه «قورش» نفسه كان عميقًا وكان من المستحيل أن يحدث لولاه شخصيًا ولذلك فهو واحد من الذين غيروا مجرى التاريخ.

كارل ماركس

كارل ماركس هو مؤسس «الاشتراكية العلمية» ولد في مدينة ترير سنة ١٨١٨ بألمانيا، أبوه محام، وفي السابعة عشرة من عمره دخل جامعة بون يوم الكريسمان وانتقل بعد ذلك إلى جامعة برلين، ثم حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة فيينا.

ثم اشتغل بالصحافة، وعمل رئيساً لتحرير «صحيفة الراين» في مدينة كولونيا. وبسرعة أوقعته أفكاره السياسية في مشاكل كثيرة، ولذلك انتقل إلى باريس وهناك التقى بصديق عمره فريد ريش إنجلز، وطرد من فرنسا فانتقل إلى بلجيكا، وفي بلجيكا سنة ١٨٤٧م أصدر أول مؤلفاته «إفلاس الفلسفة»، وفي السنة التالية أصدر هو وفردريش إنجلز «البيان الشيوعي»، ثم انتقل إلى كولونيا وطرد منها، فسافر إلى لندن حيث عاش فيها حتى نهاية حياته.

وأمضى ماركس معظم الوقت يدرس ويكتب، وكان صديقه إنجلز هو الذي يعوله مادياً وفي سنة ١٨٦٧م أصدر كارل ماركس الجزء الأول من كتابه الشهير «رأس المال» وصدر الجزء الأخير بعد وفاته.

ولا شك أن مؤلفات كارل ماركس والأسس التي وضعها للشيوعية تعطيه مكاناً بارزاً في قائمة المشاهير، ولكن ما هو المكان الذي يستحقه بالضبط؟ إن جانباً كبيراً من قيمة كارل ماركس يعتمد على رأيه الخاص في الشيوعية من المؤكد أنها أحدثت أثراً بالغاً في الفكر الإنساني وفي تفسير مسار التاريخ والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية.

وفي سنة ١٩٠٠م أعلنوا أن الديمقراطية البرلمانية هي الصورة المثالية العتيقة التي كتبها كارل ماركس للعلاقات بين الحاكم والمحكوم ، ولكن سرعان ما تغيرت هذه الصورة، وظهرت أشكال وعلاقات شعبية أخرى متنوعة، وحتى عندما نعترف بخطر الشيوعية في العالم فإننا يجب أن نتساءل عن أهمية كارل ماركس نفسه داخل هذا المذهب، إن الاتحاد السوفييتي قد طور الشيوعية بما جعلها تختلف تماماً عن الصورة المثالية العتيقة التي كتبها كارل ماركس. بل إنها تبعد كثيراً عن الإطارات والقواعد التي وضعها ماركس، فلا أثر لما كان يسميه ماركس: المادية الجدلية، ولا فائض القيمة، ويمكن أن نقول أن الشيوعية السوفيتية تدين بكثير من الفضل لستالين ولينين أكثر مما تدين به لكارل ماركس. كما أن الكثير من تعاليم ماركس قد سبقه إليها فلاسفة أوريون كثيرون ولكن عبقرية كارل ماركس ظهرت في أنه ربطها ربطاً حديدياً، وراح يتقرب في التاريخ القديم والحديث عما يدلل به على صحة نظريته في الماضي، وفي المستقبل أيضاً.

وقد أثبت التاريخ بعد وفاته خطأ كثير مما استنتجه ولكن زعماء الشيوعية قد أعلنوا جميعاً أنهم قرأوا ماركس وساروا وراءه وأضافوا إليه. . أعلن ذلك لينين وماوتسي تونج، تماماً كما أعلن أتباع الديانات الكبرى الإسلام والمسيحية والبوذية.

ولا شك أن فريدريش إنجلز قد شارك في تطويع أفكار كارل ماركس وخصوصاً كتاب «رأس المال»، صحيح أن إنجلز كانت له كتب خاصة به، ولكن من المؤكد أن كارل ماركس هو الأعمق والأعظم، ولكن ليس من العدل استبعاد إنجلز عن الحديث عن كارل ماركس وأثره في الفكر السياسي العالمي.

صحيح أن الكثير من تنبؤات ماركس قد جاءت خاطئة، فهو قد تنبأ بأن الطبقة العاملة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية سوف تزداد فقراً. فقد تأكد أن هذا خطأ، وتنبأ أيضاً أن الطبقة العاملة المتوسطة سوف تزول وتنهار في أحضان الطبقة العاملة إلى الأبد، ولم يحدث ذلك، وتنبأ أن استخدام الآلة الحديثة سوف يؤدي إلى إفلاس أصحاب رءوس الأموال والعكس صحيح، وأهمية الفلاسفة لا تقاس بما وقعوا فيه من أخطاء ولكن بما تركوه من أثر في الناس، وهنا يصبح ماركس من أعظم الفلاسفة.

* * * *

كرومويل

إنه الزعيم العسكرى «أوليفر كرومويل» الذى قاد القوى البرلمانية إلى النصر فى الحرب الأهلية فى إنجلترا، وهو الرجل المسئول عن إرساء الديمقراطية البرلمانية على أنها شكل الحكم فى إنجلترا - ولد كرومويل سنة ١٥٩٩ فى هنتجون، وعندما كان شاباً كانت إنجلترا ممزقة بالخلافات الدينية ويحكمها ملك أراد أن يكون حاكماً مطلقاً وكان كرومويل من أبناء الريف وكان شديد التدين، وفى سنة ١٦٢٨ انتخب عضواً بالبرلمان وبقي فترة قصيرة لأن الملك «تشارلز الأول» قرر حل البرلمان وأن يحكم البلاد حكماً مطلقاً، ولم يشأ الملك أن يعيد البرلمان إلا فى سنة ١٦٤٠م عندما احتاج إلى مال لكى يشن حرباً ضد أسكتلندا، ولكن هذا البرلمان الجديد الذى كان كرومويل عضواً فيه طالب الملك بالآلا يحكم البلاد حكماً دكتاتورياً، ولكن الملك يريد أن ينفرد بالسلطة فنشبت الحرب بين القوى المؤيدة للملك والقوى التى تساند البرلمان والشرعية الدستورية .

واختار «كرومويل» أن يقف إلى جوار البرلمان ضد الملك، وعاد إلى قريته وشكل ليلقاً من الفرسان ليحارب الملك، وخلال أربع سنوات من القتال ظهرت براعته فى القيادة العسكرية والسياسية، ولعب كرومويل الدور الرئيسى فى موقعتين شهيرتين إحداهما فى مارستون (١٦٤٤/٧/٤م) والثانية موقعة ناسبى (١٦٤٥/٦/١٤م) وانتهت الحرب فى سنة ١٦٤٦م ووقع الملك «تشارلز الأول» أسيراً وأصبح كرومويل المحج زعيم برلمانى فى إنجلترا.

ولكن السلام لم يتحقق، فسرعان ما تمزق البرلمان نفسه معسكرات وأحزابًا متصارعة ولذلك رفض الملك أن يوافق على أية تسوية أو يدعن لما تقدم به كرومويل، وفي مدى سنة عادت الحرب من جديد وهرب الملك تشارلز الأول وحاول أن يجمع قواه، وقد أسفرت هذه الحرب عن إعدام الملك سنة ١٦٤٩م واستبعاد العناصر المعتدلة من البرلمان، وأصبحت بريطانيا جمهورية يحكمها مجلس دولة على رأسه «كرومويل»، ولكن سرعان ما تجمعت القوى المساندة للملكية في أيرلندا وأسكتلندا ووقفوا وراء ابن الملك تشارلز الأول، وكان من نتيجة ذلك أن قامت جيوش كرومويل بهزيمة كل هذه الجيوش في أيرلندا وأسكتلندا، وهزم الملكيون هزيمة كاملة، وانتهت هذه الحروب المتوالية في سنة ١٦٥٢.

وبنهاية الحروب أتاحت الفرصة أمام كرومويل لإقامة الحكومة، ولكن بقيت أمامه مشكلة هي مشكلة الشكل الدستوري للحكومة التي يتخيلها، ولم تحل هذه المشكلة في حياة كرومويل، وعلى الرغم من النصر الذي حققه كرومويل فإنه لم يستطع أن يحل النزاعات التي قامت بين مؤيديه على شكل الحكومة أو على الدستور. لأن هذه النزاعات قد اصطدمت بالمذاهب الدينية التي باعدت بين البروتستانت وبين الكاثوليك، وقد تشكل البرلمان بسبب الخلافات العنيفة ثلاث مرات، وقام كرومويل بحل البرلمان في كل مرة، واتخذ البرلمان دستورين، ولكن لم يفلح في تطبيق واحد منهما، وحكم كرومويل بمساندة من الجيش وكان دكتاتوراً عسكرياً وكان حرصه المستمر على بناء الديمقراطية ورفضه أن يكون ملكاً دليلاً على أنه لا يريد أن يكون حاكماً منفرداً، إنما هو يريد حكماً دستورياً، ومن ١٦٥٣ م حتى ١٦٥٨م كان كرومويل يحمل لقب اللورد حامى الدولة وحكم إنجلترا وأيرلندا وأسكتلندا، واستطاع كرومويل خلال هذه السنوات الخمس أن يقيم نوعاً من الحكم والإدارة المعتدلة، وقام

بتعديل كثير من القوانين، كما كان مسئولاً عن نشر التعليم بعد تعديل برامجه، وكان يؤمن بالتسامح الديني، وقد سمح لليهود أن يعودوا إلى إنجلترا وأن يمارسوا طقوسهم الدينية فقد طردهم الملك إدوار الأول قبل ذلك بثلاثة قرون، وكانت له سياسة خارجية ناجحة، وتوفى في لندن سنة ١٦٥٨م بعد إصابته بالمalaria. وقد خلفه في الحكم ابنه الأكبر ريتشارد كرومويل، ولكن لفترة قصيرة، وفي سنة ١٦٦٠م أعيد الملك تشارلز الثاني إلى العرش وأخرج الملك رفات كرومويل وألقى بها في القمامة، ولكن معركة الحكم المطلق للملك قد انتهت إلى غير عودة، وقد أدرك تشارلز الثاني ذلك بوضوح فلم يحاول أن يتحدى البرلمان أو يتخطاه.

وعندما حاول من بعده الملك جيمس الثاني أن يكون حاكماً مطلقاً أسقطه البرلمان في انقلاب هادئ سنة ١٦٨٨م، والنتيجة هي بالضبط ما كان يريده كرومويل ملكية دستورية يلتزم فيها الملك بالبرلمان والتسامح الديني.

وفي القرون الثلاثة الماضية لم يكف الباحثون عن إعادة الحكم في قضية الزعيم كرومويل، فاختلف النقاد في تقدير أهميته التاريخية، بعضهم قالوا منافق وكذاب، فبينما كان يريد أن يجعل البرلمان هو الحاكم الفعلي للبلاد جاء هو استخدم الجيش لحكم البلاد وحل البرلمان. وآخرون يؤكدون أنه كان مخلصاً في احترام للبرلمان ولكن هي الظروف التي أرغمته كثيراً على العدول عن ذلك، ثم إنه رفض العرش وقد ظل معتدلاً متوازناً.

كيف نزن هذا الرجل؟ من المؤكد أنه كان قائداً عسكرياً لامعاً استطاع هزيمة الجيوش الملكية في الحرب الأهلية الإنجليزية، وكانت انتصارات كرومويل هي انتصارات للحكم الدستوري في إنجلترا.

ويجب أن ننظر إلى هذا الحدث الجليل على أنه ما كان يمكن أن يحدث في أوروبا لآى سبب، فقد كانت أوروبا في القرن السابع عشر متجهة إلى الحكم المطلق، ولذلك كان انتصار الديمقراطية في بريطانيا ضد التيار الأوروبى كله، وأصبح هذا الذى حدث في إنجلترا نموذجاً ومثلاً يقتدى به في حركة التنوير في فرنسا وفي الثورة الفرنسية أيضاً، وقاعدة لقيام الحكومات الديمقراطية في أوروبا الغربية، ومن المؤكد أن الذى حدث في إنجلترا كان له أثره الهائل في ديمقراطية الولايات المتحدة الأمريكية وفي المستعمرات الإنجليزية مثل كندا وأستراليا، وعلى الرغم من أن إنجلترا تمثل جزءاً ضئيلاً من العالم فإن موجة الديمقراطية قد اتجهت إلى مساحات أوسع.

وكان من نتيجة الجو الفكرى الذى أشاعه جون لوك أن تظهر مواقف جريئة كالتى اتخذها كرومويل وإذا لم يعش كرومويل في إنجلترا فإن المعارك البرلمانية في بريطانيا كانت ستفتقد مقاتلاً شجاعاً وقائداً مخلصاً.

* * * *

كونفوشيوس

هو أول فيلسوف صيني يفلح فى إقامة مذهب يضمه كل الأفكار الصينية عن السلوك الاجتماعى والأخلاق، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقى أعلى، وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف سنة.

ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ ق.م فى ولاية (لو) فى شمال الصين، مات أبوه وهو طفل، فعاش مع أمه فى فقر شديد. وعندما كبر عمل موظفاً فى الحكومة، ثم اعتزل العمل الحكومى وبعدها أمضى ستة عشر عاماً من عمره يعظ الناس متنقلاً من مدينة إلى مدينة، وقد التف حوله عدد كبير من الناس، ولما بلغ الخمسين عاد إلى العمل فى الحكومة، ولكن استطاع بعض الحاقدين عليه أن يطردوه من الحكومة، فترك لهم البلاد كلها، وأمضى بعد ذلك ثلاثة عشر عاماً مبشراً متجولاً، ثم عاد ليقوم فى بلدته خمس سنوات هى التى بقيت له من العمر، وقد توفى سنة ٤٧٩ ق.م، وكثيراً ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات الكبرى، وهذا تعبير غير دقيق، فمذهبه ليس ديناً. فهو لا يتحدث عن الله أو السماوات، وإنما مذهب: هو طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعى والسياسى، ومذهبه يقوم على الحب حب الناس وحسن معاملتهم والرقّة فى الحديث والأدب فى الخطاب، ونظافة اليد واللسان، ويقوم مذهب على احترام الأكبر سنّاً والأكبر مقاماً، وعلى تقديس الأسرة، وعلى طاعة الصغير الكبير وطاعة المرأة لزوجها، ولكنه فى نفس الوقت يكره الطغيان

والاستبداد، وهو يؤمن بأن الحكومة إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس، وأن الحاكم يجب أن تكون عنده قيم أخلاقية ومثل عليا، ومن الحكم التي اتخذها كونفوشيوس قاعدة لسلوكه تلك الحكمة القديمة التي تقول: «أحب لغيرك ما تحبه لنفسك». وكان كونفوشيوس محافظاً في نظره إلى الحياة، فهو يرى أن العصر الذهبي للإنسانية كان وراءها، أي كان في الماضي، وهو لذلك كان يحن إلى الماضي ويدعو الناس إلى الحياة فيه.

ولكن الحكام على زمانه لم يكونوا من رأيه، ولذلك لقي بعض المعارضة، وقد اشتدت هذه المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين، عندما ولي الصين ملوك أحرقوا كتبه، وحرّموا تعاليمه، ورأوا فيها نكسة مستمرة، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمامها، بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الوراثة. . . ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت وانتشر تلاميذه وكهنته في كل مكان. . .

واستمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم في الحياة الصينية قرابة عشرين قرناً، أي من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد، أما إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين:

أولاً: أنه كان صادقاً مخلصاً، لا شك في ذلك.

ثانياً: أنه شخص معقول ومعتدل وعملي.

وهذا يتفق تماماً مع المزاج الصيني، بل هذا هو السبب الأكبر في انتشار فلسفته في الصين، وهو بذلك كان قريباً منهم، فلم يطلب اليهم أن يغيروا حياتهم أو يثوروا عليها، وإنما هو أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم في تعاليمه، ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينية، ولم تتجاوزها إلا اليابان وكوريا، ولكن هذه الفلسفة قد

انحسرت تمامًا عن الصين بعد أن تحولت إلى الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الديانة، وذلك بالبعد عن الماضي ومسالمة الناس في الداخل والخارج، صحيح أن فلسفة كونفوشيوس للصين هي التي حققت سلامًا وأمنًا داخليًا أكثر من عشرين قرنًا.

ولكن نحن لا نستبعد بعد خمسين أو مائة سنة أن يظهر فيلسوف صيني جديد يقوم بالتوفيق التام بين تعاليم كونفوشيوس وماوتسى تونج وكلاهما صيني مائة في المائة!

* * * *

كير هاردى

لم يكن يدرك أنه سيأتى يوم ليس بالبعيد تصبح فيه محاولاته لتكوين حركة عمالية قوية حقيقية أو أكثر من حقيقية، فلقد أصبحت تلك المحاولة (الحركة) حزباً ضخماً منافساً لحكم بريطانيا فى فترات مختلفة، ولا يزال هو أقوى حزب منافس للمحافظين، ذلك هو حزب العمال البريطانى، أما بطل هذا الحزب فهو كير هاردى، من مواليد لانكشير ١٨٥٦، تلك المنطقة التى تعج بالمصانع والمناجم، والمدرسة التى كانت ولا تزال أم الحركة العمالية فى العالم، كان هاردى يعمل فى أحد المناجم وهو لا يزال صبيّاً فى سن العاشرة يشترك فى تمرد العمال من أجل قضايا العمل مثل تحديد ساعات العمل، والعمل على الماكينات بصورة آمنة، ومع بداية عشريناته كان قد أصبح زعيماً للإضرابات وممثلاً للاتحاد العمالى، تم انتخابه لأول مرة فى البرلمان عام ١٩٨٢، فأخذ يسعى لتأسيس حزب العمل المستقل، لكنه فقد موقعه فى البرلمان مجلس العموم سنة ١٨٩٥ ليلبدأ هو وزملاؤه فى التخطيط لإنشاء حزب العمل حتى تمكنوا فى عام ١٩٠٠ ولأول مرة من تشكيل اللجنة التمثيلية للعمال، ومنها عاد هاردى لمجلس العموم ومعه ثمانية وعشرون عضواً من زملائه العمال، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت «اللجنة التمثيلية للعمال» تعرف باسم «حزب العمال» البريطانى، ورغم أن هاردى هو أول قائد ملهم للإضرابات العمالية ومناضل داخل مجلس العموم، وهو القائد الطبيعى الذى سعى داخل الحركة العمالية لتأسيس اللجنة التمثيلية للعمال، وهو القائد الملهم المؤسس لحزب العمال، لكنه وبمقاييس الإنجليز لم يكن هو

الموهل لقيادة الحزب! ولكن هاردى ظل محفورا في عقل وقلب العمال البريطانيين،
لقد كان خطابه السياسى الشهير الذى وبخ فيه تشرشل لإرساله الجيش إلى وادى
روندا سنة ١٩١٠ كى يقمع تمرد العمال هناك من أشهر الخطابات العمالية قوة فى
تاريخ حزب العمال البريطانى، ولعل هاردى لو ولد فى دولة مثل روسيا مثلاً لكان له
شأن آخر!

لكن يبقى أن بريطانيا تعتبره رمز المعارض العمالى السلمى المخلص للطبقة العاملة،
وتبقى الطبقة العاملة شاهدة له بأنه أول بطل برلمانى للعمال.

* * * *

لينين

فلاديمير إيليتش أوليانوف (لينين) Vladimir Ilich Ulyanov (Lenin) قائد ثورى ومفكر روسى ماركسى، مؤسس الحزب الشيوعى الروسى (البلشفى) ومهندس أول ثورة بروليتارية، وبانى أول دولة اشتراكية فى العالم، ومطور النظرية الماركسية فى عصر الإمبريالية.

ولد فلاديمير إيليتش أوليانوف - الذى عرف اسمه الحركى (لينين Lenin) - فى ٢٢ عام ١٨٧٠م مدينة سيمبرسك simbirsk، كان جده فلاحاً ووالده إيليا نيقولايفيتش أوليانوف ناظر مدرسة، ثم مفتشاً للمدارس الثانوية فى منطقة سيمبرسك، أما والدته ماريا فكانت ابنة طبيب، وامرأة مثقفة. وكان أخوه الأكبر ألكسندر عضواً فى جمعية إرادة الشعب السرية، وقد اشترك فى محاولة لاغتيال القيصر ألكسندر الثالث، فاعتقل وأعدم فى عام ١٨٨٧.

أظهر لينين منذ دراسته الثانوية شغفاً بالقراءة والتعرف على آثار الكتاب والمفكرين العظام، فى عام ١٨٨٧ التحق بجامعة لدراسة القانون، وتأثر بالماركسية التى كانت تنتشر فى أوساط المثقفين، اعتقل وفصل من الجامعة ونفى إلى قرية نائية بسبب مشاركته النشيطة فى مظاهرات الطلاب حيث تفرغ لدراسة الماركسية، وبعد عام من نفيه سمح له بالعودة إلى جامعة سانت بطرسبورغ طالباً غير مداوم، وفى عام ١٨٩١ حصل على إجازة فى الحقوق، ومارس المحاماة فترة قصيرة، وفى أثناء دراسته الجامعية انتسب إلى إحدى الحلقات الماركسية السرية، وترجم إلى الروسية أحد أهم أعمال ماركس وإنغلز.

فى عام ١٨٩٥ تمكن لينين من تجميع الحلقات الماركسية فى بطرسبورغ فى تنظيم واحد أطلق عليه «اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة»، وفى العام نفسه سافر إلى الخارج حيث التقى مع بليخانوف Plekhanov مؤسس منظمة «تحرير العمل» الماركسية، واتفق معه على إصدار نشرة باسم «البروليتارى» Proletari (العامل) . وفى خريف عام ١٨٩٥ عاد إلى روسيا حيث اعتقل مجدداً وحكم عليه بالنفى إلى سيبيريا مدة ثلاثة أعوام، وهناك كتب فى المنفى «تطور الرأسمالية فى روسيا» الذى أثبت فيه أن الرأسمالية تتطور فى روسيا، وأكد الدور الطليعى للطبقة العاملة وضرورة لهاالفها مع الفلاحين الذين عدهم مع العمال القوة الثورية الرئيسة .

بعد عودته من المنفى أصدر لينين صحيفة الإيسكرا Iskra (الشرارة) لتكون وسيلة للربط بين مختلف التنظيمات، كما نشر كتاب «ما العمل؟» الذى أوضح فيه حاجة الطبقة العاملة إلى حزب ثورى من طراز جديد، وبدأ التحضير للمؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى - الذى أخفق مؤتمره الأول التأسيسى (١٨٩٨) - فى بلورة كيان تنظيمى للحزب بعد اعتقال قيادته، انعقد المؤتمر الثانى فى تموز/ يوليو ١٩٠٣، وبرز فيه جناحان: البلشفيك Bolshevik الأكثرية بزعامة لينين، والمنشفيك Menshevik الأقلية بزعامة مارتوف Martov. وتركز الخلاف حول شروط العضوية فى الحزب ومبادئ تنظيمه، وحول الدور القيادى للطبقة العاملة فى الثورة البرجوازية الديمقراطية .

النهوض الثورى والموقف من الحرب العالمية الأولى:

بدءاً من عام ١٩١٠ بدأ النهوض الثورى فى روسيا حين عمت البلاد مظاهرات كبيرة شارك فيها العمال والفلاحون، وفى عام ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى .

وقد دان لينين الحرب بشدة لأنها حرب استعمارية ترمى إلى إعادة اقتسام العالم بين المتحاربين، ودعا إلى تحويلها إلى حرب أهلية لإسقاط الحكومات الرأسمالية، وفي هذه الفترة نشر كتابه الأهم «الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية» الذى تضمن استنتاجه بإمكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد.

فى فبراير ١٩١٧ عمت المدن الروسية الكبرى مظاهرات عمالية ضخمة انضم إليها عشرات الآلاف من الفلاحين والجنود الفارين من الحرب. وتلبية لنداء البلاشفة أعلن فى البلاد إضراب سياسى عام أدى إلى سقوط القيصرية وانتصار الثورة البرجوازية الديمقراطية، وبدء مرحلة ازدواجية السلطة: سلطة الحكومة المؤقتة الرأسمالية، وسلطة السوفييتات (مجالس العمال والفلاحين والجنود) التى عادت مجدداً إلى الظهور.

فى أبريل ١٩١٧ عاد لينين إلى روسيا وطرح فى «موضوعات نيسان» خطة ملموسة للانتقال من الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى الثورة الاشتراكية، فى هذه الفترة أدت الخسائر الجسيمة فى الحرب وتدهور الوضع الاقتصادى إلى غضب شديد فى أوساط العمال والفلاحين والجنود. وفى تموز/ يوليو ١٩١٧ نظم البلاشفة فى بتروغراد مظاهرة ضخمة تطالب بالسلم والأرض والخبز. ولكن الحكومة المؤقتة واجهت المظاهرة بقوة السلاح، وشتت حملة قمع واسعة ضد البلاشفة، فأعلن لينين انتهاء مرحلة ازدواجية السلطة، ودعا قيادة الحزب إلى العمل الفورى من أجل إسقاط سلطة البرجوازية عن طريق الانتفاضة المسلحة. وحدد ليلة السابع من نوفمبر ١٩١٧ موعداً لذلك، وفى فجر ذلك اليوم نفذت خطة الانتفاضة بنجاح، وسقطت الحكومة الرأسمالية واستولى البلاشفة على السلطة.

وفى اليوم نفسه، وافق المؤتمر الثانى لسوفييتات عامة روسيا على انتقال السلطة إلى السوفييتات وإعلان ولادة «الجمهورية السوفييتية الروسية»، وانتخب لينين رئيساً لمجلس مفوضى الشعب (رئيس مجلس الوزراء)، وأقر المؤتمر مرسوم السلام لوقف الحرب، ومرسوم الأرض الذى ألغى الملكية الإقطاعية وقضى بتوزيع الأرض على الفلاحين.

الانتصار على أعداء الثورة ووضع أسس بناء الاشتراكية:

فى الفترة ما بين ١٩١٨ - ١٩٢١ كان لينين يعمل على جبهتين:

الدفاع عن الوطن الاشتراكى، ووضع أسس بناء الاشتراكية، على الجبهة الأولى جندت جميع الإمكانيات لدعم الجيش الأحمر فى معاركه ضد الغزاة الأجانب وقوات الحرس الأبيض المعادية للثورة، وفى شتاء ١٩٢١ أمكن دحر المتدخلين الأجانب وإلحاق الهزيمة بأعداء الثورة فى الداخل، ولقى انتصار الثورة تأييداً واسعاً من جانب الطبقة العاملة فى مختلف أنحاء العالم.

وعلى الجبهة الثانية صاغ لينين برنامجاً متكاملأ لبناء الاشتراكية اشتمل على: بناء الصناعة الثقيلة، وكهربية البلاد، وإنشاء التعاونيات الزراعية على أساس طوعى، وتأسيس مصرف مركزى، وتحقيق إنتاجية عمل عالية من خلال تنظيم المباراة الاشتراكية. . إلخ. وفى الفترة نفسها جرت تطورات مهمة أخرى كان من أبرزها تأسيس الأئمية الشيوعية فى مارس ١٩١٩، وإقرار أول دستور لجمهورية روسيا السوفييتية الاشتراكية، ثم إنشاء اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية فى ديسمبر ١٩٢٢.

فى أواخر أغسطس ١٩١٨ تعرض لينين لمحاولة اغتيال برصاص مسموم على يد امرأة من الاشتراكيين الثوريين، وكان لهذه الإصابة وللعمل المرهق الذى كان يقوم به

فى تلك الفترة تأثير سلبى على صحته، واضطر فى عام ١٩٢٢ إلى الاعتكاف فى قرية غوركى قرب موسكو، وفى يناير ١٩٢٤ أصيب بنزيف حاد فى الدماغ أدى إلى وفاته.

أفكاره ومؤفاته:

ترك لينين تراثاً فكرياً أسس لمرحلة جديدة فى تطور النظرية الماركسية ارتبطت باسمه وعرفت بـ (اللينينية)، ومن أبرز منجزاته:

- حول الإمبريالية: اكتشف لينين سمات المرحلة الإمبريالية للرأسمالية وقانون تطورها الذى يجرى بقفزات ومن دون انتظام، مما يؤدى إلى الحروب بين البلدان الإمبريالية من أجل إعادة اقتسام العالم، وفى مجرى التطور تظهر حلقات ضعيفة فى جبهة الإمبريالية يمكن أن تؤدى إلى انتصار الاشتراكية فى عدد قليل من البلدان، أو حتى فى بلد واحد.

- حول تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى ثورة اشتراكية.

- حلل طبيعة القوى المحركة فى الثورة البرجوازية الديمقراطية.

- المرحلة الانتقالية إلى الاشتراكية:

صاغ جميع المسائل النظرية والعملية المتعلقة بالثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا ومرحلة الانتقال إلى الاشتراكية.

- حق الأمم فى تقرير مصيرها، والتحالف بين الطبقة العاملة والشعوب

المضطهدة:

أظهر تحليل لينين للإمبريالية ضرورة التحالف بين الطبقة العاملة العالمية وحركات
الحرر الوطنى فى المستعمرات فى النضال ضد الإمبريالية، ودافع عن حق الأمم فى
الحرر المصير.

موضوع الحزب:

طور لينين فكرة ماركس عن الحزب، موضحاً أن الطبقة العاملة تحتاج إلى حزب
ثورى من طراز جديد موحد الفكر والإرادة، ويبنى على أساس نظام الطاعة الحديدى
ومهدأ المركزية الديمقراطية، ويقاد من قبل مجموعة من القادة المحترفين.

* * * *

مارتن لوثر

إنه الرجل الذي تحدى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، واستهل بذلك مرحلة الاحتجاج أو الإصلاح الاجتماعي على الكنيسة، أى صاحب نظرية البروتستانتية.

ولد مارتن لوثر سنة ١٤٨٣م فى مدينة إيسلين فى ألمانيا، ودرس فى الجامعة، وبتشجيع من والده درس القانون، ثم حصل على الدكتوراه فى اللاهوت، أى فى الشريعة المسيحية من جامعة فيتنبرج، ثم عمل مدرساً بها.

أما احتجاجه على الكنيسة فقد نما بالتدريج، ففى سنة ١٥١٠م سافر إلى روما وصدمه ما رأى عليه أحوال رجال الدين، ولكن الذى صدمه أكثر هو تلك التجارة التى انشغلت بها الكنيسة: تجارة صكوك الغفران، فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تبيع اللجنة للمؤمنين، فالكنيسة هى التى تبيع العفو عن الخطايا، وهى التى تقدر سلفاً فترات العذاب التى يقضيها المذنبون فى النار أو فى الجنة.

وفى ٣١ أكتوبر سنة ١٥١٧م علق احتجاجاً صارخاً على باب كنيسة مدينة فيتنبرج، وقد ضم هذا الاحتجاج ٩٥ اعتراضاً على كنيسة روما، ورفضها واستنكرها تماماً وأدان صكوك الغفران، وأرسل مارتن لوثر صورة من هذا الاحتجاج إلى كبير أساقفة مدينة «ماينس»، وتناقل الناس هذه الاحتجاجات فى كل مكان، واتسع نطاق احتجاج روما على كنيسة لوثر، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك فاحتج على سلطان البابا نفسه وعلى المجتمع البابوى.

ورأى أن كل إنسان يجب ألا يخضع إلا لسلطان الكتاب المقدس وحده، ولم تسترح الكنيسة لهذه الثورة واستدعته الكنيسة واستمعت إليه وأدانته واتهمته بالإلحاد وحرمت مؤلفاته.

وكان لوثر في غاية النشاط والحيوية، فقد ألف كثيراً ونشر ذلك على أوسع مجال، ومن أعظم أعماله كلها ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، وقد أدى ذلك إلى أنه أصبح من السهل على أي إنسان أن يقرأ الكتاب المقدس دون أن يعتمد على كهنة الكنيسة، كما أن جمال عبادة لوثر قد أثرت في الأدب الألماني المعاصر، وليس في الإمكان إجمال فلسفة لوثر في اللاهوت أي في الإلهيات، ولكن أهم نظرياته التي استمدتها من «القديس بولس» أن الإنسان قد لوثنه الخطيئة، وأن العمل الطيب لا يمكن أن يطهره من هذه الخطيئة إنما الإيمان فقط هو الذي يطهره، أي إرادة الله ورحمه الله وعفوه هو الذي يطهره من الخطيئة، ولذلك فما تقوم به كنيسة روما من بيع العفو عن الناس عمل يتنافى مع الدين بل هو الكفر نفسه، فليس للكنيسة الحق في أن تكون وسيطاً بين الإنسان وربه، وعلى ذلك فلا مبرر لما تقوم به الكنيسة الرومانية، بل لا مبرر لها كلها، وأنكر لوثر أن يكون القسيس أعزب مدى الحياة، ولذلك تزوج في سنة ١٥٢٥ م تزوج راهبة وأنجبا ستة أطفال، وتوفي لوثر في سنة ١٥٤٦ م أثناء زيارته للمدينة التي ولد فيها.

ولم يكن مارتن لوثر أول من احتج على الكنيسة الرومانية، فقد سبقه إلى ذلك رجل آخر هو «يان هوس» في ولاية بوهيميا، وكذلك سبقه الباحث الإنجليزي «جون واكيليف» في القرن الرابع عشر، وربما اعتبرنا الفرنسي «بيير فالدو» من القرن الثاني عشر أحد رواد الاحتجاج على الكنيسة الرومانية.

ولكن أثر هؤلاء المحتجين كان محلياً.

وفي سنة ١٥١٧م كان الاحتجاج على الكنيسة الرومانية عاماً أى احتجاجاً على شيء قديم تقليدى، ولذلك فمن حق لوثر أن يكون أباً للإصلاح فى الفكر الأوروبى كله، ومن الآثار البالغة للاحتجاج الذى قام به «لوثر» نشوب الحروب الدينية فى أوروبا بعد ذلك، من بين هذه الحروب: حرب الثلاثين عاماً فى ألمانيا التى استغرقت من سنة ١٦١٨م حتى سنة ١٦٤٨م، وكانت هذه الحروب جميعاً دموية صارخة، وكذلك الصراعات السياسية بين الكاثوليك والبروتستانت لعبت دوراً خطيراً فى تشكيل السياسة الأوروبية طوال القرون التالية.

كما أن هذا الإصلاح كان له أثر فكري خطير فى أوروبا الغربية، فقبل سنة ١٥١٧م لم تكن هناك سوى كنيسة واحدة مستقرة راسخة هى الكنيسة الكاثوليكية، وكل خلاف معها يوصف بأنه نوع من الزندقة أو الإلحاد، ولكن بعد الإصلاح الذى تزعمه لوثر وبعد أن قبلت كثير من الدول حرية التفكير الدينى لم يعد هناك خوف من مراجعة كل الأفكار والنظريات القديمة، أى الانطلاق فى كل المجالات ومما يستحق الملاحظة أيضاً أن أكثر الذين جاءوا فى قائمة الخالدين المائة جاءوا من بريطانيا، ومن بعدهم جاء الألمان، ومعنى ذلك أن أكثر هؤلاء الخالدين جاءوا من بلاد تدين بالبروتستانتية فى شمال أوروبا وأمريكا، وهناك اثنان فقط من الخالدين قد عاشا قبل سنة ١٥١٧م هما شارلمان وجوتنبرج.

وقبل سنة ١٥١٧م فإن الخالدين جاءوا من أماكن أخرى من العالم، والذين عاشوا قبل ذلك فى البلاد التى أصبحت تدين بالبروتستانتية كان لهم أثر متواضع جداً فى الحضارة الإنسانية، وقد أدت ثورة الإصلاح إلى ظهور عدد من النابهين فى أوروبا فى الـ ١٥٠ عاماً الماضية.

والبروتستانتية نفسها لم تكن متسامحة، فقد أدى التعصب لها إلى حروب دموية في ألمانيا نفسها، بل كانت هذه الحروب أعنف من الحروب التي اشتعلت في بريطانيا. وكان مارتن لوثر أعدى أعداء اليهود، لدرجة أنه يمكن أن يقال إنه هو الذي كان أبًا للنازية التي أحرقت اليهود في أوروبا في القرن العشرين.

ويمكن أن يقال أيضاً أن ثورة «مارتن لوثر» لم تكن ضد الكنيسة الكاثوليكية وحدها، وإنما كانت لا اعتبارات قومية أيضاً، فلا تتحكم إيطاليا في ألمانيا، ولذلك لقي مارتن لوثر الكثير من التأييد الرسمي لفلسفته.

* * * *

ماركوس غارفى

البطل القومى للجامايكين بحق هو ماركوس غارفى، فهو أول من نادى «بأفريقيا للأفارقة»، وأطلق فكرة «القوة السوداء» عندما استطاع تأسيس الاتحاد العالمى للعناية بالزواج، وكذلك جامعة الشعوب الأفريقية فى جاماىكا، وانتقلت دعوته فى التمسك بالأصل الزنجى إلى أمريكا مع انتقاله إليها عام ١٩١٦، حيث انضم إليه الآلاف من الزوج الأمريكيين، حيث أعجب به المظلومون من السود، وتضامنوا معه عندما هاجم فكرة الزواج العنصرى المرتبط بالجنس أو اللون البشرى الواحد، وكان يسمى ذلك انتحاراً، كما ابتكر فكرة المقاومة بالمسيرات والحشود السلمية، وقد وصل إعجاب الزوج الأمريكيين به إلى المساهمة فى الشركة البحرية التى أسسها، وكانت تضم أسطولاً من السفن لتبادل التجارة بين الزوج فى الدول المختلفة، ولكن الشركة تعرضت للخسارة، وتم اعتقال غارفى والزج به فى السجن عام ١٩٢٣ بتهمة التهرب من الضرائب، وبعد خروجه عاد إلى جاماىكا ثم سافر إلى لندن وظل بها حتى توفى عام ١٩٤٠، ودفن بها حتى استقلت جاماىكا، فأعادت الحكومة جثمانه ليُدفن فى أرض الوطن، ويعطى لقب البطل القومى لجاماىكا.

* * * *

ماكيافيللي

إنه الفيلسوف السياسى الإيطالى نيكولا ماكيافيللي الشهير بنصائحه الصريحة لـ حاكم لكى يحتفظ بالقوة والسيطرة على شعبه، مستخدماً الخداع والكذب والجرأ؛ وقد اتهمه الكثيرون بأنه فيلسوف نصاب آفاق سافل وواقعى لا أخلاق له، ولكه ماكيافيللي هو من أشهر الفلاسفة الذين لا بد أن تقرأ كتبهم، وخصوصاً إذا كان السياسة وفن الحكم هو الذى يشغلنا أكثر من أى شىء آخر.

ولد فى فلورنسا سنة ١٤٦٩، كان أبوه محامياً ومن أسرة عريقة، ولكنه لم يكه هنيئاً، وكانت إيطاليا فى عهد ماكيافيللي مقسمة إلى إمارات صغيرة مثل الإمارات المتحدة فى دولة مثل فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، وليس غريباً أن تكون إيطاليا ضعيفة م الناحية العسكرية، رغم ما تنعم به من ثقافة ونهضة فكرية وفنية، وكانت فلورن حتى أيام ماكيافيللي يحكمها أحد أبناء أسرة مديتشى: لورنتسو العظيم، ولكه لورنتسو توفى سنة ١٤٩٢، وبعدها بسنوات طرد آل مديتشى من هذه المدينة وأصبحت فلورنسا جمهورية، وفى سنة ١٤٩٨ شغل ماكيافيللي مركزاً موموقاً وه بعد فى التاسعة والعشرين من عمره، وظل لمدة ١٤ عاماً بعد ذلك يشغل مناص دبلوماسية عامة، فتنقل داخل إيطاليا وسافر إلى فرنسا وألمانيا، وفى سنة ٥١٢ سقطت الجمهورية وعادت أسرة مديتشى إلى حكم فلورنسا وطرده ماكيافيللي من عم وأودع السجن بتهمة التآمر على الدولة الجديدة، وعذبوه كثيراً، ولكن لم تثبت إداء فأطلقوا سراحه، وبعدها اعتزل الحياة تماماً فى قرية كاشاتو بالقرب من مدي فلورنسا.

وفى الأربعة عشر عامًا التالية أصدر عددًا من الكتب أشهرها اثنان: كتاب «الأمير» ألفه فى سنة ١٥١٣، و «مقالات حول الكتب العشرة الأولى لتيتوس ليفيوس». ومن بين مؤلفاته الأخرى كتاب «فن الحرب» وكتاب «تاريخ فلورنسا» ومسرحية «ماندراجولا»، ولكن أشهر أعماله الفكرية جميعًا هو كتاب «الأمير»، وهو من أروع كتبه وأسهلها وأكثرها انتشارًا فى كل اللغات.

وقد تزوج ماكيافيللى وأنجب ستة أولاد وتوفى عن ٥٨ عامًا سنة ١٥٢٧. ويمكن اعتبار كتاب «الأمير» مجموعة من النصائح وجهها ماكيافيللى للحاكم، وأهم مبادئ هذا الكتاب هى: لكى ينجح الأمير يجب أن يتصل تمامًا من المبادئ الأخلاقية، وأن يعتمد فقط على القوة والخداع، ويرى ضرورة أن تكون الدولة مسلحة تمامًا، ويرى أن الجيش المكون من أبناء الدولة هو وحده الذى يمكن الاعتماد عليه والثقة به، والدولة التى تعتمد على قوات أجنبية أو قوات مرتزقة هى دولة ضعيفة، وينصح ماكيافيللى رئيس الدولة بأن يعتمد على الشعب، وأن يكسب ثقته تمامًا. وهو بذلك يقضى على كل خصومه وأية معارضة له، ويعلم ماكيافيللى أن الحاكم لكى يحتفظ بقوته يجد نفسه مضطرًا إلى أن يفعل ما يغضب الشعب، وهنا ينصح ماكيافيللى الحاكم بأن يفعل ذلك بقوة ومرة واحدة، حتى لا يضطر إلى أن يفعل ذلك يومًا بعد يوم، أما فائدة ذلك فسوف يجنيها بالتدريج، ولكى ينجح الحاكم يجب أن يحيط نفسه بعدد من المخلصين له، ويحذر الحاكم من المنافقين والكذابين الذين قد يتظاهرون بالإخلاص والولاء له. وفى الفصل السابع عشر من كتاب «الأمير» يتساءل ماكيافيللى: أيهما أفضل للحاكم أن يكون محبوبًا أو يكون مخيفًا؟ والجواب على ذلك أن يكون الإنسان محبوبًا ومخيفًا معًا. وأضمن للإنسان أن يكون مخيفًا عن أن يكون محبوبًا، لأن الحب يلزمنا بأشياء كثيرة نقدمها للناس. فإذا تحققت للناس فإنهم ينسون ذلك بسرعة.. أما الخوف فهو فزع الناس من العقاب دائمًا. وهذا لا

بخيب أبدأ. وعن الإيمان: فإن الحاكم يجب ألا يؤمن بشيء، إذا أدى ذلك إلى تعويق قدرته وسيطرته على الناس.. والحاكم يجب ألا يتقدم بأى عذر إذا وعد الناس بشيء ثم لم يحققه. وكثيراً ما وصف المؤرخون كتاب «الأمير» بأنه كتاب «الطغاة»، ومن الواضح أن ماكيافيللى يكره الضعف الذى تفتشى فى إيطاليا كلها، وكان يحلم بدولة إيطالية موحدة قوية. ولذلك كان حريصاً دائماً على أن تحقق القوة للحاكم من أى طريق وبأية وسيلة. وكان ماكيافيللى نفسه رجلاً وطنياً ومثالياً ولم يحدث فى التاريخ كله أن يعبد الناس رجلاً أو فيلسوفاً كما حدث لهذا الرجل، فقد وصفوه بالشیطان، وبأنه إبليس الذى تجسد ليشيع الفساد والكذب والخداع بين الناس.

ولم يدع ماكيافيللى أنه صاحب نظريات جديدة فى السياسة، وإنما كان يدعو إلى اتباع نفس المبادئ التى استخدمها الحكام الآخرون ونجحوا فى ذلك، وكان ماكيافيللى يستعين على توضيح آرائه بأمثلة يضربها من التاريخ القديم، ومن التاريخ الإيطالى المعاصر.. فى كتاب «الأمير» نجد أن ماكيافيللى كان مفتونا بشيزاره بورجا الذى يتعلم السياسة وفن القتال من ماكيافيللى، وإنما ماكيافيللى هو الذى تعلم منه.

وكان موسولينى واحداً من الحكام الذين تتلمذوا على ماكيافيللى، ويقال إن نابليون كان ينام وتحت رأسه نسخة من كالب «الأمير»، ونفس الشيء يقال عن هتلر وستالين.

كان جوهر فلسفة ماكيافيللى: كيف يسلك الناس، وليس كيف يجب أن يسلك الناس؟ ولهذا فقد طرد الأخلاق من السياسة.. وطرد مع الأخلاق الدين أيضاً، فالسياسى لا أخلاق له ولا دين، وإنما هو رجل يريد أن يصل إلى السلطة من أى طريق وبأية وسيلة. ومن المؤكد أن ماكيافيللى يعتبر واحداً من مؤسسى الفكر السياسى الحديث.

مالكولم إكس

للأسف فثقافتنا ومعلوماتنا عن هذا الرجل قليلة جداً. ونحن لا نعرف عن المسلمين أو الذين أسلموا في الخارج إلا الممثلين. وأغلب هذه الأخبار عنهم تكون إشاعات، أما مالكولم إكس فهو حقيقة ومن علامات التاريخ الأمريكي بثورته الإسلامية هناك، مالكولم إكس أو الحاج مالك شباز من الشخصيات الأمريكية المسلمة البارزة في منتصف القرن الماضي التي أثارت حياتهم القصيرة جدلاً لم يتته حول الدين والعنصرية حتى أطلق عليه «أشد السود غضبا في أمريكا»، كما أن حياته كانت سلسلة من التحولات، حيث انتقل من قاع الجريمة والانحدار إلى تطرف الأفكار العنصرية، ثم إلى الاعتدال والإسلام، وعندها كتبت نهايته بست عشرة رصاصة. ولد مالكولم في (٦ ذى القعدة ١٣٤٣ هـ - ٣٩ مايو ١٩٢٥م) وكان أبوه «أورلى ليتل» فسياساً أسود من أتباع «ماركوس كافي» الذي أنشأ جمعية بنيويورك ونادى بصفاء الجنس الأسود وعودته إلى أرض أجداده في أفريقيا، أما أمه فكانت من جزر الهند الغربية لكن لم تكن لها لهجة الزنوج، وكان مالكولم المولود السابع في الأسرة، فقد وضعت أمه وعمرها ثمانية وعشرون عاماً، كانت العنصرية في ذلك الوقت في الولايات المتحدة ما زالت على أشدها، وكان الزنجي الناجح في المدينة التي يعيش فيها مالكولم هو ماسح الأحذية أو البواب!! كان أبوه حريصاً على اصطحابه معه إلى الكنيسة في مدينة «لانسينغ» حيث كانت تعيش أسرته على ما يجمعه الأب من الكنائس، وكان يحضر مع أبيه اجتماعاته السياسية في «جمعية التقدم الزنجية»

التي تكثر خلالها الشعارات المعادية للبييض، وكان الأب يختم هذه الاجتماعات بقوله: إلى الأمام أيها الجنس الجبار، بوسعك أن تحقق المعجزات. وكان أبوه يحبه للون بشرته الفاتح قليلاً عنه، أما أمه فكانت تقسو عليه لذات السبب، وتقول له: اخرج إلى الشمس ودعها تسمح هذا الشحوب، وقد التحق بالمدرسة وهو في الخامسة من عمره، وكانت تبعد عن مدينته ثمانية أميال، وكان هو وعائلته الزوج الوحيدين بالمدينة، لذا كان البييض يطلقون عليه الزنجي أو الأسود، حتى ظن مالكولم أن هذه الصفات جزء من اسمه، وكان الفتى الصغير عندما يعود من مدرسته يصرخ مطالباً بالطعام، ويصرخ ليحصل على ما يريد، ويقول في ذلك: لقد تعلمت باكراً أن الحق لا يعطى لمن يسكت عنه، وأن على المرء أن يحدث بعض الضجيج حتى يحصل على ما يريد.

وعندما بلغ مالكولم سن السادسة قتلت جماعة عنصرية بيضاء أباه وهشمت رأسه، فكانت صدمة كبيرة للأسرة وبخاصة الأم التي أصبحت أرملة وهي في الرابعة والثلاثين من عمرها وتعول ثمانية أطفال، فترك بعض الأبناء دراستهم، عملت الأم خادمة في بعض بيوت البييض لكنها كانت تطرد بعد فترات قصيرة لأسباب عنصرية، وتردت أحوال الأسرة، وكانت الأم ترفض وتأبى أن تأخذ الصدقات من مكتب المساعدة الاجتماعية، حتى تحافظ على الشيء الوحيد الذي يمتلكونه وهو كرامتهم، غير أن قسوة الفقر سنة ١٩٣٤ جعلت مكتب المساعدة يتدخل في حياتهم، وكان الموظف الأبيض فيه يحرض الأبناء على أمهم التي تدهورت حالتها النفسية وأصيبت بمرض عقلي سنة ١٩٣٧، وأودعت في المستشفى لمدة ٢٦ عاماً، أصبح الأطفال السود أطفال الدولة البيضاء، وتحكم الأبيض في الأسود بمقتضى القانون وتردد أخلاق مالكولم، وعاش حياة التسكع والتطفل والسرقة، ولذلك فصل من المدرسة وهو في

سن السادسة عشرة، ثم ألحق بسجن الأحداث. كان مالكولم شاباً يافعاً قوى البنية، وكانت نظرات البيض المعجبة بقوته تشعره بأنه ليس إنساناً بل حيواناً لا شعور له ولا إدراك، وكان بعض البيض يعاملونه معاملة حسنة، غير أن ذلك لم يكن كافياً للقضاء على بذور الكراهية والعنصرية في نفس الشاب الصغير، لذلك يقول: «إن حسن المعاملة لا يعنى شيئاً ما دام الرجل الأبيض لن ينظر إلىّ كما ينظر لنفسه، وعندما تتوغل في أعماق نفسه تجد أنه ما زال مقتنعاً بأنه أفضل مني». وتردد مالكولم على المدرسة الثانوية وهو في سجن الإصلاح، وكانت صفة الزنجي تلاحقه كظله، وشارك في الأنشطة الثقافية والرياضية بالمدرسة، وكانت صيحات الجمهور في الملعب له: «يا زنجي يا صدي» تلاحقه في الأنشطة المختلفة، وأظهر الشاب تفوقاً في التاريخ واللغة الإنجليزية. وفي عام ١٩٤٠ رحل إلى أقاربه في بوسطن، وتعرف هناك على مجتمعات السود، ورأى أحوالهم الجيدة نسبياً هناك، وبعد عودته لاحظ الجميع التغير الذي طرأ عليه، غير أنه احتفظ بتفوقه الدراسي، وفي نهاية المرحلة الثانوية طلب «ستراوسكي» من طلابه أن يتحدثوا عن آمياتهم في المستقبل، وتمنى مالكولم أن يصبح محامياً، غير أن ستراوسكي نصحه ألا يفكر في المحاماة، لأنه زنجي، وألا يحلم بالمستحيل، لأن المحاماة مهنة «غير واقعية له، وأن عليه أن يعمل نجاراً، وكانت كلمات الأستاذ ذات مرارة وقسوة على وجدان الشاب، لأن الأستاذ شجع الطلاب على ما تمناه إلا صاحب اللون الأسود، لأنه في نظره لم يكن مؤهلاً لما يريد، وبعد انتهاء المرحلة الثانوية قصد مالكولم بوسطن وأخذته الحياة في مجرى جديد، وأصيب بنوع من الانبهار في المدينة الجميلة، وهناك انغمس في حياة اللهو والمجون، وسعى للتخلص من مظهره القوي، وتحمل آلام تغيير تسريحة شعره حتى يصبح ناعماً، وأدرك أن السود لو أنفقوا من الوقت في تنمية عقولهم ما ينفقونه في تليين شورتهم

للتفسير حالهم إلى الأفضل، ثم انتقل إلى نيويورك للعمل بها في السكك الحديدية، وكان عمره واحداً وعشرين عاماً، وكانت نيويورك بالنسبة له جنة، وتنقل بين عدة أعمال، منها أن يعمل بائعاً متجولاً، وتعلم البند الأول في هذه المهنة وهو ألا يثق بأحد إلا بعد التأكد الشديد منه، وعاش فترة الحرب العالمية الثانية وشاهد ما ولّده الحرب من فساد خلقي واجتماعي وانغمس هو نفسه في هذا الفساد، وغاص في أنواع الجرائم المختلفة من سرقة ودعارة وفجور وعاش خمس سنوات في ظلام دامس وهفلة شديدة، وفي أثناء تلك الفترة أعفى من الخدمة العسكرية، لأنه صرح من قبيل الطليعة أنه يريد إنشاء جيش زنجي.

ألفت الشرطة القبض عليه وحكم عليه سنة ١٩٤٦ بالسجن عشر سنوات، فدخل سجن «تشارلز تاون» العتيق، وكانت قضبان السجن ذات ألم رهيب على نفس مالكولم، لذا كان عنيداً يسب حراسه حتى يحبس حبساً انفرادياً، وتعلم من الحبس الانفرادي أن يكون ذا إرادة قوية يستطيع من خلالها التخلي عن كثير من عاداته، وفي عام ١٩٤٧ تأثر بأحد السجناء ويدعى «بيمبي» الذي كان يتكلم عن الدين والعدل فزعزع بكلامه ذلك الكفر والشك من نفس مالكولم، وكان بيمبي يقول للسجناء: إن من خارج السجن ليسوا بأفضل منهم، وإن الفارق بينهم وبين من بالخارج أنهم لم يقعوا في يد العدالة بعد، ونصحه بيمبي أن يتعلم، فتردد مالكولم على مكتبة السجن وتعلم اللاتينية.

وفي عام ١٩٤٨م انتقل إلى سجن كونكورد، وكتب إليه أخوه «فيلبيرت» أنه اهتدى إلى الدين الطبيعي للرجل الأسود، ونصحه ألا يدخن وألا يأكل لحم الخنزير، وامتلئ مالكولم لنصح أخيه، ثم علم أن إخوته جميعاً في دترويت وشيكاغو قد

اهتدوا إلى الإسلام، وأنهم يتمنون أن يسلم مثلهم، ووجد في نفسه استعداداً نفسياً للإسلام، ثم انتقل مالكولم إلى سجن «ينورفولك»، وهو سجن مخفف في عقوباته، ويقع في الريف، ويحاضر فيه بعض أساتذة الجامعة من هارفارد وبوسطن، وبه مكتبة ضخمة تحوى عشرة آلاف مجلد قديم ونادر، وفي هذا السجن زاره أخوه «ويجالند» الذى انضم إلى حركة «أمة الإسلام» بزعامة «إليجا محمد» التى تنادى بأفكار عنصرية منها أن الإسلام دين للسود، وأن الشيطان أبيض والملاك أسود، وأن المسيحية هى دين البيض، وأن الزنجى تعلم من المسيحية أن يكره نفسه، لأنه تعلم منها أن يكره كل ما هو أسود وأسلم مالكولم على هذه الأفكار واتجه فى سجنه إلى القراءة الشديدة والمتعمقة، وانقطعت شهيته عن الطعام والشراب، وحاول أن يصل إلى الحقيقة، وكان سبيله الأول هو الاعتراف بالذنب، ورأى أنه على قدر زلته تكون توبته. وراسل مالكولم «إليجا محمد» الذى كان يعتبر نفسه رسولا، وتأثر بأفكاره، وبدأ يرسل كل أصدقائه القدامى فى الإجماع ليدعوهم إلى الإسلام، وفى أثناء ذلك بدأ فى تنقيف نفسه فبدأ يحاكي صديقه القديم «بيمبى»، ثم حفظ المعجم فتحسنت ثقافته، وبدا السجن له كأنه واحة، أو مرحلة اعتكاف علمى، وانفتحت بصيرته على عالم جديد، فكان يقرأ فى اليوم خمس عشرة ساعة، وعندما تطفأ أنوار السجن فى العاشرة مساءً، كان يقرأ على ضوء المصباح الذى فى المرح حتى الصباح، فقرأ قصة الحضارة وتاريخ العالم، وما كتبه الأسترالى مانديل فى علم الوراثة، وتأثر بكلامه فى أن أصل لون الإنسان كان أسود، وقرأ عن معاناة السود والعييد والهنود من الرجل الأبيض وتجارة الرقيق، وخرج بآراء تتفق مع آراء إليجا محمد فى أن البيض عاملوا غيرهم من الشعوب معاملة الشيطان. وقرأ أيضاً لمعظم فلاسفة الشرق والغرب، وأعجب بـ «سبينوزا». لأنه فيلسوف أسود، وغيرت القراءة مجرى حياته، وكان هدفه

منها أن يحيا فكريًا، لأنه أدرك أن الأسود في أمريكا يعيش أصم أبكم أعمى، ودخل في السجن في مناظرات أكسبته خبرة في مخاطبة الجماهير والقدرة على الجدل، وبدأ يدعو غيره من السجناء السود إلى حركة «أمة الإسلام» فاشتهر أمره بين السجناء.

خرج مالكولم من السجن سنة ١٩٥٢ وهو ينوى أن يعمق معرفته بتعاليم إيليجا محمد، وذهب إلى أخيه في دترويت، وهناك تعلم الفاتحة وذهب إلى المسجد، وتأثر بأخلاق المسلمين، وفي المسجد استرعت انتباهه عبارتان الأولى تقول: «إسلام: حرية، عدالة، مساواة، والأخرى مكتوبة على العلم الأمريكي، وهى: «عبودية: ألم، موت» والتقى بإيليجا محمد، وانضم إلى حركة أمة الإسلام، وبدأ يدعو الشباب الأسود في البارات وأماكن الفاحشة إلى هذه الحركة، فتأثر به كثيرون، لأنه كان خطيبًا مفوهًا ذا حماس شديد، فذاع صيته حتى أصبح في فترة وجيزة إمامًا ثابتًا في مسجد دترويت، وأصبح صوته مبحوحًا من كثرة خطبه في المسجد والدعوة إلى «أمة الإسلام»، وكان في دعوته يميل إلى الصراع والتحدى، لأن ذلك ينسجم مع طبعه. وعمل في شركة «فورد» للسيارات فترة ثم تركها، وأصبح رجل دين، وامتاز بأنه يخاطب الناس باللغة التي يفهمونها، فاهتدى على يديه كثير من السود، وزار عددًا من المدن الكبرى، وكان همه الأول هو «أمة الإسلام»، فكان لا يقوم بعمل حتى يقدر عواقبه على هذه الحركة، وقد تزوج في عام ١٩٥٨ ورزق بثلاث بنات، سمي الأولى عتيلة، على اسم القائد الذي نهب روما، وفي نهاية عام ١٩٥٩ بدأ ظهور مالكولم في وسائل الإعلام الأمريكية كمتحدث باسم حركة أمة الإسلام، فظهر في برنامج بعنوان «الكراهية التي ولدتها الكراهية» وأصبح نجمًا إعلاميًا نهالت عليه المكالمات التلفزيونية والإذاعية والصحفية، فبدأت السلطات الأمنية تراقبه، خاصة بعد عام ١٩٦١. وبدأت في تلك الفترة موجة تعلم اللغة العربية بين أمة الإسلام، لأنها

اللغة الأصلية للرجل الأسود، كانت دعوة مالكولم في تلك الفترة تنادى بأن للإنسان الأسود حقوقًا إنسانية قبل حقوقه المدنية، وأن الأسود يريد أن يكرم كبنى آدم، وألا يعزل في أحياء حقيرة كالحيوانات، وألا يعيش متخفيًا بين الناس، أدرك مالكولم أن الإسلام هو الذى أعطاه الأجنحة التى يحلق بها، فقرر أن يطير لأداء فريضة الحج فى عام ١٩٦٤، وزار العالم الإسلامى، ورأى أن الطائرة التى أقلعت به من القاهرة للبحر بها ألوان مختلفة من الحجيج، وأن الإسلام ليس دين الرجل الأسود فقط، بل هو دين الإنسان، وتعلم الصلاة، وتعجب من نفسه كيف يكون زعيما ورجل دين مسلم فى حركة أمة الإسلام ولا يعرف كيف يصلى!! والتقى بعدد من الشخصيات الإسلامية البارزة، منها الدكتور عبد الرحمن عزام صهر الملك فيصل ومستشاره وهزه كرم الرجل معه وحفاوته به، وتأثر مالكولم بمشهد الكعبة المشرفة وأصوات التلبية، وبساطة وإخاء المسلمين، يقول فى ذلك : «فى حياتى لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، إن أمريكا فى حاجة إلى فهم الإسلام، لأنه الدين الوحيد الذى يملك حل المشكلة العنصرية فيها»، وقضى ١٢ يومًا جالسًا مع المسلمين فى الحج، ورأى بعضهم شديدى البياض وزرق العيون ، لكنهم مسلمون، ورأى أن الناس متساوون أمام الله بعيدًا عن سرطان العنصرية. وغير مالكولم اسمه إلى الحاج مالك شبار، والتقى بالمغفور له الملك فيصل الذى قال له: «إن ما يتبعه المسلمون السود فى أمريكا ليس هو الإسلام الصحيح»، وغادر مالكولم جدة فى أبريل ١٩٦٤، وزار عددًا من الدول العربية والإفريقية، ورأى فى أسبوعين ما لم يره فى ٣٩ عامًا، وخرج بمعادلة صحيحة هى: «إدانة كل البيض = إدانة كل السود»، وصاغ بعد عودته أفكارًا جديدة تدعو إلى الإسلام الصحيح، الإسلام اللاعنصرى، وأخذ يدعو إليه، ونادى بأخوة بنى الإنسان بغض النظر عن

اللون، ودعا إلى التعايش بين البيض والسود، وأسس منظمة الاتحاد الأفريقي الأمريكي، وهى أفكار تتعارض مع أفكار أمة الإسلام، لذلك هاجموه وحاربوه، واحجمت الصحف الأمريكية عن نشر أى شىء عن هذا الاتجاه الجديد، واتهموه بتحريض السود على العصيان، فقال: عندما تكون عوامل الانفجار الاجتماعى موجودة لا تحتاج الجماهير لمن يحرضها، وإن عبادة الإله الواحد ستقرب الناس من السلام الذى يتكلم الناس عنه ولا يفعلون شيئاً لتحقيقه. وفى إحدى محاضراته يوم الأحد (١٨ شوال ١٣٨٤ هـ - ٢١ فبراير ١٩٦٥م) صعد مالكولم ليلقى محاضرتة، ونشبت مشاجرة فى الصف التاسع بين اثنين من الحضور، فالتفت الناس إليهم، وفى ذات الوقت أطلق ثلاثة أشخاص من الصف الأول ١٦ رصاصة على صدر هذا الرجل، فتدفق منه الدم بغزارة، وخرجت الروح من سجن الجسد، وقامت شرطة نيويورك بالقبض على مرتكبى الجريمة، واعترفوا بأنهم من حركة أمة الإسلام، ومن المفارقات أنه بعد شهر واحد من اغتيال مالكولم إكس، أقر الرئيس الأمريكى جونسون مرسومًا قانونيًا ينص على حقوق التصويت للسود، وأنهى الاستخدام الرسمى للكلمة «نجرو» التى كانت تطلق على الزنوج فى أمريكا.

من أقواله: على الوطنية ألا تعمى عيوننا من رؤية الحقيقة، فالخطأ خطأ بغض النظر عن من صنعه أو فعله.

- كم مسألًا ومهذبًا، أطع القانون واحترم الجميع، وإذا ما قام أحد بلمسك أرسله إلى المقبرة.

- لا أحد يمكن أن يعطيك الحرية، ولا أحد يمكن أن يعطيك المساواة والعدل، إذا كنت رجلاً فقم بتحقيق ذلك بنفسك.



- لا تستطيع فصل السلام عن الحرية ، فلا يمكن لأحد أن ينعم بالسلام ما لم يكن حراً.

- نريد الحرية، العدل، المساواة بأى طريقة كانت.

* * * *

ماوتسى تونغ

ماو تسي تونغ Mao Tse - Tung قائد ثورى وزعيم شيوعى بارز، قائد حرب التحرير فى الصين ومؤسس جمهورية الصين الشعبية.

ولد ماو فى ٢٦ / ١٢ / ١٨٩٢ لأسرة فلاحية فقيرة فى قرية شاو شان - Chao Shan فى مقاطعة هونان Hunan. درس فى كتاب القرية، ثم التحق بمدرسة ابتدائية فى مقاطعة شيانغ، ومنها انتقل إلى مدرسة متوسطة فى عاصمة المقاطعة. بعد ثورة ١٩١١ - ١٩١٢ التى قادها الزعيم الوطنى صن يات سن Sun Yat San لإطاحة حكم أسرة مانشو Manchu الإقطاعية، خدم ماو فى جيش الثورة فترة قصيرة، وفى عام ١٩١٣ انتسب إلى مدرسة المعلمين الرابعة فى هونان، وتخرج فيها فى عام ١٩١٨، وفى هذه الفترة اطلع ماو على تاريخ الصين القديم وتراثها الثقافى، كما اطلع على الأفكار الغربية الحديثة، وتأثر بكتابات كونفوشيوس وصن يات سن، وتولستوى Tolstoi، وفلسفة «كانت» Kant، وجدلية هيغل Hegel، وأهتم كثيراً بانتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا ١٩١٧ وبالأفكار التى جاءت فيها.

فى أبريل ١٩١٨ أسس «المنظمة الشعبية الجديدة» فى مقاطعة تشانغ شا - Chang Sha بهدف إيجاد السبل الحديثة لإحداث التغيير الجذرى فى الصين، وفى عام ١٩١٩ التحق بجامعة بكين حيث عمل أميناً للمكتبة إلى جانب دراسته فيها، وتزوج فى أثناء دراسته الجامعية من كاي - هوى Kai - Hoy ابنة أحد أساتذته، وفى الجامعة تأثر كثيراً بأفكار أستاذه فى الاقتصاد تشين Tchen الذى كان ماركسياً.

وفى العام نفسه أسهم فى تنظيم انتفاضة ٤ مايو الشبابية ضد معاهدة فرساي حول تسليم الأراضى الصينية التى كانت تحتلها ألمانيا إلى اليابان.

وفى عام ١٩٢٠ التقى ماو فى بكين مبعوث الثورة السوفييتية أدولف جوف عن طريق أستاذه تشين، ولمس منه رغبة السلطة السوفييتية بإقامة علاقة متكافئة مع بلاده. وأدى نزول الحكومة السوفييتية للصين عن شمالى منشوريا - التى كانت تحتلها الحكومة القيصرية - دوراً فى إقناع ماو باختفاء النزعة الاستعمارية من روسيا الجديدة، مما زاده قرباً من الأفكار «البلشفية» وسرّع انتقاله إلى مواقع الماركسية.

بدأ ماو منذ عام ١٩٢٠ بتشكيل الخلايا الشيوعية، وفى يوليو ١٩٢١ شارك فى الاجتماع التأسيسى للحزب الشيوعى الصينى، وأصبح أميناً للجنة الحزب فى مقاطعة هونان، وفى المؤتمر الثالث للحزب انتخب ماو عضواً فى اللجنة المركزية للحزب، وعين رئيساً لتحرير مجلة الحزب السياسية الأسبوعية. وقد أقر الحزب فى هذا المؤتمر سياسة التحالف مع الحزب الوطنى (الكومنتانغ Kuomintang) بقيادة صن يات سن لتشكيل جبهة موحدة ضد الإمبريالية والإقطاعية من أجل تحرير الصين وتوحيدها.

فى عام ١٩٢٦ عين أميناً للجنة الفلاحية التابعة للجنة المركزية للحزب، وفى عام ١٩٢٧ نشر كتابين: «تحليل المجتمع الصينى» و «تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى هونان» أوضح فيهما أفكاره حول الثورة الديمقراطية الجديدة فى الصين، وحول المكانة المهمة للمشكلة الفلاحية، والأهمية الحيوية لانضواء الحركة الفلاحية تحت قيادة الطبقة العاملة. وفى العام نفسه انتخب عضواً احتياطياً فى المكتب السياسى للحزب.

فى عام ١٩٢٥ توفى الزعيم الوطنى صن يات سن، وخلفه فى زعامة الكومنتانغ تشانغ كاي - شيك Kai - Shek Chahng الذى لم يكن يؤمن بالتعاون مع الحزب

الشيوعي، ولذلك جرد في عام ١٩٣٠ حملة عسكرية إلى منطقة كيانغسى - Kiang Ci معقل الحزب الشيوعي، وارتكب جنوده مجازر كبيرة ضد أعضاء الحزب والفلاحين المناصرين له، وقبض على ما تسمى تونغ، ولكنه تمكن من الفرار بعد ساعات بمساعدة بعض الضباط من قيادة الكومنتانغ فأعدم تشانغ كاي شيك زوجته كاي هوى انتقاماً. وتزوج ماو بعدها مرتين، وأنجب ابنتين وولدين.

ومن ملجئه في الجبال بدأ ماو - بمساعدة كل من تشوان لاي Tchuen - Lai ونشوته Tchu - Te بتكوين جيش التحرير الشعبى الصينى، وأقام فى نوفمبر ١٩٣١ فى كيانغسى ما سماه الجمهورية السوفيتية الصينية، وهى سلطة شعبية لتنظيم المنطقة وإدارتها، وفى عام ١٩٣٤ كرر تشانغ كاي شيك الهجوم بجيش كبير حاصر مقر قيادة الحزب الشيوعي فى كيانغسى، وأدرك ماو أن جيشه الذى لم يكن يتجاوز مائة ألف مقاتل مهدد بالإبادة، فقرر الانسحاب إلى إقليم تشانسى فى شمال الصين، فيما عرف بالمسيرة الكبرى التى قطع الجيش خلالها ٩٠٠٠ كم سيراً على الأقدام، وفقد نصف عدده تقريباً.

اتخذ ماو من مدينة ينان Yenán عاصمة له، وفى هذه الفترة بدأت اليابان غزوها للصين ٧/٧/١٩٣٧ فرجع الحزب الشيوعي من جديد شعار الوحدة الوطنية والتحالف مع الكومنتانغ لمواجهة الغزو اليابانى على أساس برنامج وطنى عام، واضطر تشانغ كاي شيك إلى التعاون مجدداً مع الحزب الشيوعي تجنباً للتمرد فى جيشه.

استمرت الحرب ضد اليابان حتى هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، وكان الشيوعيون قد أسسوا فى الجزء الذى حرروه من منشوريا وفى الأقاليم التى يسيطرون عليها حكومات شعبية محلية، وقاموا بتوزيع أراضي الإقطاعيين على

الفلاحين، ووقعوا مع تشانغ كاي شيك فى ١٠ / ١٠ / ١٩٤٥ اتفاقية للسلم والبناء . ولكن تشانغ ما لبث - بتشجيع من الولايات المتحدة - أن خرق الاتفاق وأمر ولاته بتصفية الحكومات التى شكلها الشيوعيون، الأمر الذى أدى إلى اندلاع الحرب الأهلية التى دامت أربع سنوات، تمكن فيها جيش التحرير الشعبى الصينى - بقيادة ماو تسي تونغ - من دحر قوات تشانغ كاي شيك ودخول بكين فى الأول من أكتوبر ١٩٤٩ وإعلان ولادة ما عرف بجمهورية الصين الشعبية The Peoples Republic of China واضطر تشانغ كاي شيك إلى مغادرة البر الصينى واللجوء إلى جزيرة فورموزا (تايوان حالياً).

فى السنوات الثلاث الأولى من قيام الصين الجديدة باشرت السلطة الثورية وضع البرامج الحماسية لبناء البلاد على أسس اشتراكية، وفى ديسمبر ١٩٤٩ قام ماو تسي تونغ على رأس وفد حزبي وحكومى كبير بزيارة موسكو، ووقع «اتفاقية الصداقة والتحالف والتعاون المتبادل بين الصين والاتحاد السوفيتى»، قدم السوفييت بموجبه مساعدات ضخمة فى مختلف الميادين، ولا سيما فى ميدان التصنيع، غير أن ماو كان يتطلع إلى نتائج كبيرة وسريعة فى ميدان الإنتاج ، ولذلك طرح فى عام ١٩٥٨ شعار القفزة الكبرى إلى أمام، الذى يهدف إلى الحصول على إنتاج أكبر بوقت أقل من خلال تنظيم «الكومونات» الشعبية، وهى وحدات إدارية واسعة تشمل الريف والمدينة، وتودى ثلاث مهمات أساسية: الإنتاج والدفاع والتعليم.

ولكن التجربة أخفقت وأدت إلى كارثة اقتصادية حقيقية، كما واجهت التجربة نقد بعض القيادات الحزبية وخصوصاً من وزير الدفاع بنغ تى هواى Peng Te - Huai الذى أعفى من جميع مناصبه بسبب تلك الانتقادات .

وبدءاً من عام ١٩٦٠، وبالاعتماد على وزير الدفاع الجديد لين بياو Lin Bao بدأ ماو بإجراء تغييرات تنظيمية داخل جيش التحرير الصينى، وفى الوقت نفسه بدأت حملة ضد ما سُمى البيروقراطية الحزبية والعناصر المتبرجزة التى أخذت ترفع رءوسها داخل الحزب والدولة، وشملت الحملة فئات المثقفين والفنانين الذين اتهموا بالتأثر بالثقافة الغربية، وسحب من التداول الشعار الذى أطلقه ماو فى أوائل الخمسينات «دع مائة زهرة تفتتح، ودع مائة مدرسة فكرية تتنافس».

ونشرت قيادة الحزب فى هذه الفترة «الكتاب الأحمر» الذى يضم بعض المقالات والخطب التى ألقاها ماو تسى تونغ، ليكون برنامجاً لتثقيف جميع «الكوادر» الحزبية، ولاسيما فى صفوف الجيش والشباب.

فى عام ١٩٥٩ تخلى ماو عن منصب رئيس الجمهورية، وانتخب رفيق دربه ليوتشاو شى Liu Chai - Shi خلفاً له.

فى أوئل الستينيات وقع الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتى، ويمكن تلخيص أسبابه فى معارضة الصين للإدانة العلنية للمرحلة الستالينية، ومعارضة سياسة التعايش السلمى التى اتبعتها خروشوف مع الغرب، وكذلك معارضة سياسة الانفتاح الداخلى، وأخيراً توقيع معاهدة حظر التجارب النووية بين السوفيت وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا عام ١٩٦٣، وقامت الصين بقطع علاقاتها مع الاتحاد السوفياتى وطرده الخبراء السوفيت من الصين، واستمرت القطيعة حتى عام ١٩٨٩ وأدت إلى انشقاق كبير داخل الحركة الشيوعية العالمية وحتى داخل العديد من الأحزاب الشيوعية فى العالم.

وفى أوائل السبعينيات بدأت العلاقات مع الغرب فيما عرف بدبلوماسية «كرة الطاولة» التي كان عرابها وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر، وبعد قطع العلاقات بين الصين والاتحاد السوفييتى تراجعت الولايات المتحدة عن موقفها المعارض لعضوية الصين فى الأمم المتحدة، واعترفت بكل من بكين وتايوان، وتوجت العلاقات مع الغرب بزيارة الرئيس الأمريكى نيكسون Nixon إلى الصين عام ١٩٢٧، حيث وقع معاهدة شانغهاى للتعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين.

أدى إخفاق «الكومونات» الشعبية وتوقف المساعدات السوفيتية وحدث عدد من الكوارث الطبيعية إلى تدهور كبير فى الوضع الاقتصادى، مما اضطر الخبراء الاقتصاديين - بدعم من رئيس الجمهورية ليوتشاوشى - إلى التخلي عن «الكومونات» وإعادة بناء الاقتصاد على أساس تشجيع الحوافز الفردية ودعم الاقتصادات العائلية فى الزراعة.

إلا أن ماو لم يكن متسامحاً مع الانتقادات التى وجهت «للكومونات»، فطرح مجدداً منذ عام ١٩٦٦ حاجة البلاد إلى «ثورة ثقافية بروتيتارية كبرى» تهدف إلى إعادة الروح الطبقيّة الصحيحة إلى الحزب والدولة، والتخلص من جميع الأدران البرجوازية، وذلك بالتوجه إلى الجماهير والتعلم منها والاعتماد على الشباب الذين لم تلوثهم الأفكار البرجوازية، لذلك بدأت حملة تدعو الشباب إلى التمرد على السلطة وأخذ مقدرات البلاد بين أيديهم، وشكلت فيالق الحرس الأحمر المسلحة التى أعطيت صلاحيات واسعة لتصفية العناصر المعادية للحزب وللاشتراكية، وفى هذه الفترة - التى استمرت عشرة أعوام، أى حتى وفاة ماو فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٧٦ - تم إبعاد عشرات الآلاف من القيادات الحزبية والحكومية من مناصبها وإرسالها إلى الريف لإعادة تأهيلها، وأغلقت الجامعات، واضطهد أساتذتها،

واحرقت الكتب المتداولة بتهمة الترويج للأفكار البرجوازية، وشملت الفوضى مختلف ميادين الحياة، وكان الرئيس ليوتشاوشى فى مقدمة ضحاياها، إذ أعفى من منصبه بعد اتهامه بالانتهازية والانحراف، وحتى لين بياو - وزير الدفاع المقرب من ماو - والذي انتخبه المؤتمر التاسع للحزب خليفة له عام ١٩٦٩، لم ينبج من هذه الحملة، إذ اتهم بتدبير محاولة لاغتيال ماو، وقتل فى حادث طائرة غامض.

بعد وفاة ماو حاولت زوجته الثالثة جيانغ تشنغ تسلم زمام الأمور ومتابعة سياسته مع ثلاثة آخرين من أعضاء المكتب السياسى للحزب، ولكن قيادة الحزب الجديدة تصدت لهم واعتقلتهم وحاكمتهم، ودخلت الصين بعدها مرحلة جديدة وهى مرحلة الإصلاح والانفتاح على العالم الخارجى، وشهدت هذه المرحلة تغييرات كبيرة وعميقة فى أوضاع الصين، فتطور اقتصادها على نحو سريع ومذهل، وارتفع مستوى المعيشة ارتفاعاً ملموساً، وأصبحت الصين إحدى القوى العظمى فى عالم اليوم، واقتصادها هو الاقتصاد الرابع فى العالم.

كان ماو تسى تونغ قائداً تاريخياً فذاً من قادة حركة التحرر الوطنى العالمية، وأدى دوراً بالغ الأهمية فى تاريخ الصين تحريراً وبناءً. وقد ترك تراثاً مهماً على الصعيدين الفكرى والعملى لا يمكن أن ينسى، كما أنه كان شاعراً له كثير من القصائد التى ترجم بعضها إلى العربية. وبالرغم من بعض الأخطاء المرتكبة فإن عظمة ماو قائداً سياسياً وشعبياً كبيراً تبقى نقطة مضيئة فى تاريخ الصين.

محمد الفاتح

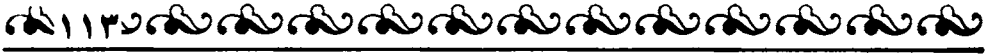
من أهم السلاطين العثمانيين وأكثرهم ثراء في المجال العلمي والإنساني والديني والقتالي، هو فاتح مدينة القسطنطينية والذي وضع نهاية للإمبراطورية البيزنطية القوية، وحارب من كانوا يسمون بالفرنجة و (فرسان مالطة ورووس) في أوروبا، واستولى على اليونان و صربيا والبوسنة، وأخضع دول القرم والبلقان، وبنى الأساطيل فوصل إيطاليا وشارف حدود فرنسا والنمسا وموسكو. هو «محمد الثاني بن مراد الثاني»، ولد في «أدرنة» العاصمة العثمانية عام ١٤٣٢م، حفظ القرآن ودرس الفقه والرياضيات والفلك، وأتقن فنون القتال وأجاد عددًا من لغات عصره كان بينها العربية والفارسية واليونانية واللاتينية، تولى السلطنة عام ١٤٥١ وعمره عشرون سنة تقريبًا. وضع القسطنطينية أمام عينيه، وقاد ما سمي في التاريخ (بالغزوات الهمايونية) وبلغ عددها ٢٥ غزوة، واغتيل قبل القيام بالغزوة الكبرى السادسة والعشرين والتي كانت ستجعل أوروبا كلها تحت سلطانه، كانت أولها عام ١٤٥١، وفي الثانية فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وكان الحدث تاريخيًا، أنهى السلطان محمد الثاني بناء قلعة سميت (رومللي حصار) في ثلاثة شهور بأبراج مغطاة بالرصاص ونصب المدافع الضخمة نحو الشاطئ، منع السفن اليونانية والرومانية من المرور في مضيق البوسفور (الذي يقسم إستانبول حاليًا)، رفض السلطان العثماني طلب الإمبراطور البيزنطي وقف البناء، فأغار البيزنطيون على القلعة ورد السلطان بإعلان الحرب رسميًا، أغلق الإمبراطور الرومي أبواب مدينته واعتقل جميع العثمانيين داخله، عقد السلطان

معاهداته مع أعدائه لمنع التدخل خاصة مع المجر والبندقية وإمارة غلطة القوية، لكنه هددوا به وشاركوا في الدفاع عن القسطنطينية، طلب الإمبراطور البيزنطي العون من بابا روما الكاثوليكي بالرغم من الانشقاق بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الغربية والكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية، وتعهد بتوحيد الكنيسة، واستجاب البابا في روما وأرسل مندوبه ليخطب في كنيسة أياصوفيا داعياً لتوحيد الكنيسة، مما أثار غضب رؤساء الكنيسة الأرثوذكس، عرض الإمبراطور البيزنطي دفع الجزية والزواج بأ السلطان محمد الثاني وكانت مسيحية ورفض طلبه، ودكت المدافع الثقيلة بالقذائف الهائلة أسوار القسطنطينية وكان السلطان يراقب المعارك البحرية على حصانه عر قرب، وحشد حوالي ٤٠٠ سفينة، وطوق المدينة بأكثر من ٢٦٥ ألف مقاتل، وبد حصارها في رمضان، وكاد السلطان يخسر معركته البحرية حيث حاول البيزنطيون إحراق السفن، فعزل القائد البحري وأعد خطة بنقل ٧٠ سفينة براً وطويت أشرعتهم وقامت البغال بجرها على ألواح من الخشب المطلقى بالدهن ليسهل الانزلاق عليها. وهاجموا المدينة من الجانب الآخر وطوقوا المقاتلين فيها، وأصيب القائد البيزنطي «جوستينيان» إصابات بالغة، ودخل السلطان المدينة فاتحاً واتخذها عاصمة لدولته. وأطلق عليها اسم «إسلام بول» أى مدينة الإسلام ثم إسلامبول، وحول أياصوفيا إلى جامع بعد أن أمن النصارى على دينهم وإقامة شعائرهم، وكان فتحها باباً لاختراف أوروبا، لكن هذا الحدث هو الذى فتح الباب أيضاً لتشويه صورة العثمانيين فى كتب التاريخ الغربى وعلى رأسهم «شبيرد كريسبى» فى كتابه (تاريخ العثمانيين) والذى وصف السلطان محمد الثانى الذى لقب بالفاتح بأبشع ما يمكن.

عقد البابا «بيوس الثانى» اجتماعاً للدول المتحالفة معه لوقف حملات محمدا الفاتح، وبلغ عددها ٣٠ دولة فى أوروبا وآسيا، وحاولوا استقطاب المماليك فى مصر

وسوريا لكنهم رفضوا وقرروا محاربة الفرنجة وفرسان مالطة معا، حين قرر السلطان تأمين دولته وحماية القسطنطينية قام بحملات بينها أربعة ضد صربيا وحدها حتى أخضعها عام ١٤٥٩، وفتح أثينا عام ١٤٥٨ وأسقط حوالي ٣٠٠ من الحصون والقلاع، وسيطر على كل البلقان، ثم سيطر على دول البحر الأسود وجعله بحيرة عثمانية فى عدة حملات، وأنهى الإمبراطورية البيزنطية بعد استمرارها لمدة ٢٥٧ سنة بانتصاره على الإمبراطور «دافيد كومين» فى إمارة طوايزون، واحتل رومانيا والبوسنة بالكامل تقريباً عام ١٤٦٤، وأسلم أهلها، ودخل كرواتيا وبلغاريا، وفشل ملك المجر القوى الصليبي فى استرداد البوسنة.

حارب السلطان «محمد الفاتح» المنشقين عنه وعلى رأسهم «إكسندر بك الارناؤوطى» الذى مات وانتهى عصر مجد الأرنؤوط الذين يسمون أيضاً (الالبان). كان يقود الحملات أحياناً بنفسه خاصة البحرية، وقاد حملة لإخضاع ملك المجر عام ١٤٧٩ أسفرت عن معاهدة صلح، وتوغل فى أراضي النمسا عام ١٤٨٠. قاوم فرسان مالطة الذين احترفوا القرصنة ضد السفن الإسلامية فى البحر الأبيض المتوسط، وقضى عليهم السلطان سليمان القانونى فيما بعد، كان الصراع عنيفاً بين المقر البابوى الكاثوليكى فى روما وبين إمبراطورية محمد الفاتح العثمانية، فحاول السلطان غزو إيطاليا وأرسل حملة بحرية بقيادة الصدر الأعظم (رئيس الوزراء)، «كديك أحمد باشا» أسقط قلعة أوكانتو فى الجنوب الإيطالى وحولها إلى سنجق (ولاية) عثمانية، وجرت مفاوضات لاستسلام نابولى القوية آنذاك لكن مؤامرة دبرت لاغتياله قبل أن تسقط إمارات إيطاليا كغيرها خوفاً على المقر البابوى كما سقطت القسطنطينية المقر البابوى للكنيسة الشرقية، فأرسلت قوات التحالف الطيب اليهودى «يعقوب باشا» الذى ادعى الإسلام وتقرّب من السلطان ودس السم له فتوفى محمد الفاتح عام



١٤٨١ ودفن جنوب محراب جامع الفاتح الخاص به فى إستانبول، واكتشف الحرس الموامرة فقتلوا الطيب دهساً قبل أن يقبض المكافأة التى قيل إنها تعادل ٢٠ مليون دولار بمفهوم عملات اليوم، ودقت أجراس الكنائس فى روما وأوروبا لمدة ثلاثة أيام ابتهاجاً بموته، وأصدر البابا بياناً خاصاً ضد العثمانيين اعتبر (مقدساً).

ترك محمد الفاتح إمبراطورية تضاعفت مساحتها منذ تولاهها لتصل إلى أكثر من ٢٢٠ ألف كم؟ كانت له إنجازات فى مجال العمران والتعليم والمعاهد العلمية، أنشأ المكتبات الكبيرة، وقيل إنه حين احترقت مكتبته الخاصة كان فيها أكثر من ١٢ ألف مجلد، اهتم باللغة العربية وأوصى بحركة الترجمة والتأليف ونقل التراث اليونانى واللاتينى والعربى إلى التركية، اهتم بتطوير التجارة والصناعة ودواوين الدولة والكبارى والجسور والطرق وبناء القلاع العسكرية وتطوير الجيش والانكشارية والمدفعية، وأنشأ وظيفة (اللغمجية) لمتابعة زرع الألغام، كان شاعراً وكان فى بلاطه ٣٠ شاعراً وزيراً بنى المستشفيات وأمر باستقلال القضاء، كما وضع دستوراً للبلاد سمي باسمه (فاتح قانون نامه سى) كتب عنه الكثير فى الشرق والغرب، ونظم فيه بعض شعراء الغرب قصائد بعضها يمجده حتى السماء وبعضها يهوى به إلى سابع أرض!

* * * *

صلاح الدين الأيوبي

أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادى، صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك وقادة الإسلام، ومحرر القدس من أيدي الصليبيين.

يختلف المؤرخون فى أصل هذه الأسرة، والأرجح أن أباه وأهله كانوا من دوين، وهى بلدة فى شرقى أذربيجان، وهم بطن من الروادية من قبيلة الهذبانىة الكردية، وقد دخلت أسرتهم كنف الحياة الإسلامية فى بغداد وتكريت وبعليك ودمشق، وترعرعت بينها، وتثقت بالشقافة العربية الإسلامية فى وقت كان شعار الحياة العامة الدين الإسلامى الذى يجمع بين القوميات المختلفة برباط أخوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). ولا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

ولد صلاح الدين عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧م فى الليلة التى غادر فيها والده نجم الدين وعمه أسد الدين شيركوه تكريت متوجهين إلى الموصل حيث يقيم عماد الدين زنكى أتابك الموصل الذى أكرم مشواهما عرفانًا بالجميل الذى أسدياه إليه عندما هزم هو والسلطان السلجوقى مسعود فى حربهم ضد الخليفة المسترشد سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م، ولما فتح عماد الدين بعليك سنة ٥٣٤ هـ ولى عليها نجم الدين أيوب، وفى بعليك قضى يوسف صلاح الدين طفولته الأولى، وفى سنة ٥٤٦ هـ، فارق صلاح الدين والده وعمل فى خدمة عمه أسد الدين الذى تولى قيادة الزنكيين بعد مقتل والده سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦م، فقدمه بين يدي نور الدين الذى قبله وأقطعه إقطاعًا حسنًا.

أتقن صلاح الدين العلوم الإسلامية ، فدرس القرآن والحديث والفقه على أيدي كبار العلماء، منهم الشيخ الإمام قطب الدين النيسابوري، الذي قال عنه المقرئ، بأنه جمع لصلاح الدين عقيدة تحوى جميع ما يحتاج إليه، كذلك تلقى فنون القتال والفروسية وغيرها من فنون أبناء الطبقة الحاكمة.

فى سنة ٥٤٩ هـ ملك نور الدين زنكى دمشق، وحينما بلغ صلاح الدين الثامنة والعشرين من عمره تولى رئاسة الشرطة فى دمشق سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م، نائباً لواليتها تبعاً لذلك، وكانت مهمة النائب فيها قيادة العساكر والمحافظة على النظام، والسهر على جباية الخراج، فأظهر السياسة وأحكم الأمور فيها.

وفى أثناء إقامة صلاح الدين فى الشام كان يراقب عن كثب التطورات العسكرية التى كانت تحدث فى المنطقة كالهجوم الصليبي على دمشق وبعليك، وتصدى نور الدين لها بمساعدة كل من والد صلاح الدين وهو نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه، وكان صلاح الدين يتأثر بتلك الأجواء ويشارك فى الأحداث، وفى تلك الأثناء حدث فى مصر من الظروف ما حدد مستقبل صلاح الدين ودفعه إلى المسير إليها طوعاً وكرهاً، فقد ذهب طوعاً إلى مصر فى المرة الأولى سنة ٥٥٩ هـ، والثانية سنة ٦٥٢ هـ، وكرهاً فى المرة الثالثة سنة ٥٦٤ هـ، بأمر من نور الدين حينما استنجد الخليفة الفاطمى بنور الدين زنكى ليخلصه من ظلم الوزير شاور، ومن تقدم الفرنجة الصليبيين إلى مصر للمرة الثالثة .

فى منتصف ربيع الأول سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨م وصلت حملة نور الدين حدود مصر، ولما علم الصليبيون بقدمها رحلوا عن مصر خائبين دون أن يحققوا شيئاً من أهدافهم ودون أن يستلموا من شاور الأموال التى وعدهم بها، وبذلك صفا الجو

لشريكوه الذى تقدم بأمان إلى القاهرة حيث استقبل المصريون الحملة النورية بالترحاب، وخرج العاضد للقاء شيركوه، ويقال إنه اجتمع به وأسرّ أموراً مهمة منها قتل الوزير شاور.

بمقتل الوزير شاور بدأ فصل جديد فى العلاقات الأيوبية الفاطمية، لأن العاضد اتخذ شيركوه وزيراً له، ولكنه توفى بعد شهرين من توليه الوزارة فاختر العاضد صلاح الدين للوزارة وقيادة الجيش ولقبه بالملك الناصر ولما استقر صلاح الدين بمنصب الوزارة فى مصر قام بتنفيذ أعمال عديدة، كانت أولها تثبيت مركزه فى مصر، فأرسل إلى أبيه وإخوته يستدعيهم إليها، وقام بتفقد عام للقوات العسكرية الموجودة فى مصر، وعكف على التخلص من الأمراء المصريين، ومن الأرمن والسودان، لأنه اعتقد أن بقاءهم فى القوات العسكرية يعد خطراً على سياسته وقد يهدد مركزه فى مصر، علمًا بأن الفرقة الأسدية التى أنشأها أسد الدين شيركوه، والأمراء الأكراد الذين كانوا بمصر انضموا جميعاً إلى صلاح الدين، ولم تنقض سنة على توليته الوزارة حتى كون فرقة خاصة من الحرس تدعى الصلاحية، وبذلك سيطر صلاح الدين على أهم جزء من القطاع العسكرى، ومن ثم توجه إلى القطاع المدنى إلى عامة الشعب المصرى، ووجد فى حل مشكلاتهم الاقتصادية خير وسيلة لكسبهم، فأبطل المكوس والمظالم التى كانت الدولة تجبى منها سنوياً ٢٠٠ ألف دينار، كما عزل قضاة مصر من الشيعة واستناب على سائر البلاد قضاة شافعية، وعين العالم الشافعى صدر الدين بن عبد الملك بن درباس قاضياً للقضاة الشافعية.

وفى سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م تقدم الصليبيون نحو دمياط بقوات كبيرة، فأرسل إليها صلاح الدين مباشرة بعض العون العسكرى والمادى، وسمح للأمراء الأيوبيين بالذهاب إليها، كما أن نور الدين أرسل إليه العساكر يتلو بعضها بعضاً، وتقدم نور

الدين نفسه إلى بعض القلاع في الشام فاستولى عليها، مما دفع الصليبيين إلى الانسحاب من دمياط على الرغم من الحصار الشديد الذي دام خمسين يوماً.

كان من نتيجة انسحاب الصليبيين من دمياط أن ظهر صلاح الدين للمصريين بمظهر المنقذ، مما ساعد على التفافهم حوله، وأخذوا يساندونه في حربه ضد الصليبيين وسيرون معه لمحاصرة قلاعهم في الشام بعد أن لاحقهم هناك، وفي سنة ٥٦٧ هـ نفذ صلاح الدين الأوامر التي كانت تصدر إله من نور الدين بإسقاط الخلافة الفاطمية، فقطع الخطبة للخليفة العاضد الفاطمي، وأقامها للخليفة المستضيء العباسي، وكان العاضد مريضاً على فراش الموت فتوفى دون أن يعلم ما حدث.

بإسقاط الخلافة الفاطمية أعيدت الوحدة بين مصر والشام من جديد مذهبياً وإقليمياً وأصبحت الخلافة العباسية هي الوحيدة التي يدين لها جميع المسلمين بالولاء، فنشأت طاقة بشرية ومادية ظهرت آثارها في الحروب التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين.

كان لوفاة نور الدين زنكي سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م أثر كبير في إبراز شخصية صلاح الدين وتحديد العلاقة بينه وبين القوى الإسلامية في منطقة الشام والجزيرة، لأنه لم يكن من المنتظر أن تبقى منطقة الشام والجزيرة التي كانت تحت حكم نور الدين محافظة على وحدتها وقوتها، خاصة وأن الأمراء الزنكيين وكبار القادة في جيش نور الدين دخلوا فوراً بعد وفاته في تنافس على وصاية ابنه الصغير الصالح إسماعيل، علماً بأن الخطر الصليبي غداً ذا تأثير كبير في تطور الحياة السياسية في منطقة الشام، ولم يكن بمقدور الصالح إسماعيل ولا بمقدور عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل ولا السلطان السلجوقي في آسيا الصغرى أن يجابهوا الخطر الصليبي

على انفراد، خاصة أن الإمدادات الأوروبية لم تنقطع عن قوى الصليبيين في المنطقة، ولذلك أصبح لزاماً أن يتقدم أحد أمراء نور الدين الأقوياء ليملأ الفراغ ويوحد الكلمة ويجمع الصف، وكان صلاح الدين غداة وفاة نور الدين يملك قوة كبيرة من العدد والعدة، فهو أمير مصر الغنية القوية، وقائد لعدة فرق عسكرية مكونة من الأكراد والأتراك الذين قدموا معه، إضافة إلى القوات المصرية التي انضمت إليه بدافع المحبة أو كرهاً للحكم الفاطمي، لذلك كله أحس صلاح الدين بأنه الوارث الحقيقي للدولة الزنكية وأن من واجبه إعادة بناء الدولة وتوحيد الكلمة ومواصلة السياسة التي بدأها نور الدين محمود زنكي، وقد استغرقت عملية التوحيد هذه فترة زمنية امتدت من سنة ٥٧٠ هـ إلى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٤٧ - ١١٨٦ م.

نجح صلاح الدين في ضم كل من دمشق وحمص وحماة سنة ٥٧٠ هـ، ولكن الوحدة بين مصر والشام وبلاد الجزيرة لم تتم إلا بعد دخول كل من حلب وميفارقين والموصل تحت إمرة صلاح الدين، إذ بضم حلب سنة ٥٧٨ هـ كان كمال انضمام الشام إلى مصر، وبفتح ميفارقين وبعقد الصلح مع الموصليين انضمت منطقة الجزيرة وديار بكر للوحدة، وبذلك ثبت مركز صلاح الدين قائداً إسلامياً عاماً للقوى الإسلامية في كل من مصر والشام وبلاد الجزيرة وديار بكر ومناطق شهرزور وما وراء الزابن كافة، وأصبحت تلك المناطق جميعاً بعد أن سادها الاستقرار بين مختلف عناصرها العربية والكردية والتركمانية مادة لجيوش صلاح الدين، وكان من نتائج تلك الوحدة والاستقرار أن هزم الصليبيون هزيمة ساحقة في معركة حطين (ر) سنة ٥٨٣ هـ، تلاه استرداد طبرية وعكا وتبنين وصيدا وبيروت وعسقلان، ثم تحرير القدس في السنة نفسها، ثم وقائع على أبواب صور، فدفاع مجيد عن عكا انتهى بخروجها من يد المسلمين سنة ٥٨٧ هـ، بعد أن اجتمع لحره ملكا فرنسا وإنجلترا بجيشيهما

وأسطوليهما، وأخيراً عقد صلح الرملة بين صلاح الدين وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م، وكان من شروطه أن تكون الهدنة عامة في البر والبحر ومدتها ثلاث سنوات وثلاثة شهور، ابتداء من ١٢ شعبان ٥٨٨ هـ / ٢٢ أيلول ١١٩٢م، وتكون مدينة عسقلان خراباً والرملة واللد مناصفة بين الطرفين، وأن يسمح للحجاج النصارى بزيارة مدينة القدس، وكان من نتائج المعاهدة أن عاد ريتشارد قلب الأسد إلى بلاده وعاد صلاح الدين إلى القدس ومنها إلى دمشق مقر أعماله الأول ومحل سكنى أولاده، ولكنه لم يمكث فيها طويلاً حيث توفى في فجر يوم الأربعاء ٢٧ صفر، بعد مرض دام ثمانية أيام ودفن في دمشق.

توفى صلاح الدين بعد أن قضى سنين حياته بصد هجمات الصليبيين المتكررة على منطقة الشام، وبرهن على مقدرة عسكرية فائقة وقسوة على النفس في الإخلاص، فقد صان شرفه وحافظ عليه أكثر من حفاظ الصليبيين على قانون الفروسية، وكان رجلاً مستقيماً يعرف بحسن نواياه، لم يستخدم المكر والخديعة مع أعدائه، بينما استغل أعداؤه تلك الصفات فيه، وكانت مشاركته الفعلية في الحروب إلى جانب قواته العسكرية من العوامل الرئيسة لانتصاراته، وقد برزت له هذه الميزة حتى في أشد الأيام الدامية، حيث كان يتنقل وسط ميدان المعركة يوقظ الهمم ويحيى في الجند الروح الإسلامية.

لم يهمل صلاح الدين - على الرغم من انشغاله بمشكلات الحكم ومحاربة الصليبيين - أمر العلم والتعليم، فكان شديد الاهتمام بنشر العقيدة الإسلامية ومحاربة أهل البدع والزيغ، ولذلك اهتم بإنشاء المساجد ومراكز العبادة والمدارس التي تدرس الفقه والدين على المذاهب السنية وخاصة المذهب الشافعي، ومن هذه المدارس المدرسة

التي بناها مجاورة لضريح الإمام الشافعي في مصر، وكانت هذه المدرسة عظيمة زارها الرحالة ابن جبير ووصفها بقوله: «ولم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته»، وخصص صلاح الدين لهذه المدرسة مبالغ كبيرة من الأموال، فكان راتب المدرس فيها ٤٠ ديناراً وستين رطلاً من الخبز شهرياً، عدا رواتب المعيدين والخدام فيها، وهناك مدارس أخرى كثيرة أنشئت لتدريس المذاهب الأخرى غير الشافعية، كالمدرسة السيوفية التي أنشأها صلاح الدين بمصر سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١م لتدريس مذهب أبي حنيفة، والمدرسة الصلاحية لتدريس العلوم الفقهية على المذهب المالكي والتي أنشأها بالقرب من اليمارستان النورى في دمشق، وأحاط صلاح الدين الطلبة الغرباء وطالبي العلوم العقلية والشرعية بالعناية، وقد وصف ابن جبير تلك العناية الكبيرة التي كان يقدمها صلاح الدين لأولئك الطلبة، كما شملت رعايته العلمية الأيتام والمساكين فخصص لهم الأموال، والأوقاف الكثيرة، بعد أن رتب لكل جماعة منهم معلماً خاصاً يأخذ من تلك الأوقاف ما يسد نفقته ونفقة الأيتام من الصبيان وما يقوم بهم وبكسوتهم.

محمد أنور السادات

ثالث من تولى رئاسة جمهورية مصر العربية، وصاحب قرار القضاء على مراكز القوى، وأيضاً حرب تشرين الأول/ أكتوبر.
مولده ونشأته:

ولد محمد أنور السادات فى ٢٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩١٨ لأسرة متوسطة الحال بقرية ميت أبو الكوم مركز تلا محافظة المنوفية، تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨، وترقى فى الرتب داخل الجيش المصرى، واشترك فى عمليات مناوئة للاحتلال البريطانى وللملكية، وسرعان ما اتصل بجمال عبد الناصر فيما سُمى بحركة الضباط الأحرار التى قامت بثورة تموز / يوليو ١٩٥٢، تلك الثورة التى غيرت وجه مصر نحو الأفضل على المستويين السياسى والاجتماعى.

المناصب التى تقلدها:

- مجلس قيادة الثورة.
- وزيراً للدولة فى ١٩٥٤ ثم سكرتيراً للاتحاد القومى ١٩٥٩.
- انتخب رئيساً لمجلس الأمة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨.
- نائباً لرئيس الجمهورية وعضواً بمجلس الرئاسة ١٩٦٤.
- انتخب عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى، وأميناً للجنة القومية السياسية فى أيلول / سبتمبر ١٩٦٨، وأعيد تعيينه نائباً لرئيس الجمهورية فى كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٩.

- انتخب رئيسًا للجمهورية خلفًا للرئيس عبد الناصر في تشرين الأول/ أكتوبر

. ١٩٧٠

إنجازاته:

أثناء فترة رئاسته قام السادات بتغييرات جذرية على المستويين السياسى والاقتصادى، فعلى المستوى السياسى اتخذ قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى فى مصر، وهو ما عرف بثورة التصحيح فى ١٥ / مايو ١٩٧١، وفى نفس العام أصدر دستوراً جديداً لمصر.

فى عام ١٩٧٣ قاد السادات حرب التحرير ضد إسرائيل محققاً ذلك الانتصار العظيم الذى أعاد لمصر كرامتها وثقتها بنفسها.

- وفى عام ١٩٧٦ أعاد الحياة إلى الديمقراطية، وكان قراره بعودة الحياة الحزبية، فظهرت المنابر السياسية، ومن رحم هذه التجربة ظهر أول حزب سياسى وهو الحزب الوطنى الديمقراطى كأول مولود حزبى كامل النمو بعد ثورة تموز / يوليو، ثم توالى من بعده ظهور أحزاب أخرى كحزب الوفد الجديد وحزب التجمع الوحدوى التقدمى وغيرها.

- وعلى المستوى الاقتصادى انتهج سياسة الانفتاح، كما أعاد فتح قناة السويس للملاحة الدولية مرة أخرى.

- وفى عام ١٩٧٧ اتخذ الرئيس قراره الحكيم والشجاع الذى اهتز له العالم بزيارة القدس ليمنح بذلك السلام هبة منه لشعبه وعدوه فى آن واحد، ويدفع بيده عجلة السلام بين مصر وإسرائيل.



وتقديرًا لشجاعته تلك فقد نال جائزة نوبل للسلام مناصفة بينه وبين رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك مناحم بييجين .

اغتياله:

تم اغتيال الرئيس محمد أنو السادات في ٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨١ على أهدي أصوليين إسلاميين أثناء احتفاله بذكرى حرب أكتوبر، ودفن بالقرب من مكان مقتله في ساحة العرض العسكري وبجوار قبر الجندي المجهول.

* * * *

محمد بن علي السنوسي

مؤسس سلالة السنوسية التي حكمت المغرب العربي فترة طويلة، مجدد ومصلح الدعوة الإسلامية في شمال أفريقيا باتباع نهج جده الرابع السنوسي الكبير، يعود نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نشر الإسلام بالتصوف العامل في شمال أفريقيا والسودان والصومال واليمن.

هو «محمد بن علي السنوسي» ولد في قرية الواسطة بالقرب من مدينة مستغانم في الجزائر في القرن الثامن عشر عام ١٧٨٧. تعلم القراءة على يد عمته فاطمة وحفظ عنها القرآن الكريم، استكمل تعليمه في جامع وجامعة القرويين في مدينة فاس بالمغرب، ثم بدأ الترحال فزار الجزائر مسقط رأسه، ولم يلق الترحيب في تونس، حيث كان جامع ومعهد الزيتونة (بحسب ما ذكر المؤرخ اللبناني نقولا زيادة). في مصر اصطدم بشيوخ الأزهر أيام محمد علي باشا.

فقد رأى السنوسي أن تسريع الانفتاح على أوروبا والذي يقوم به محمد علي قد يفسد الفكر الإسلامي النقي، ويبدو أن محاولات لإبعاده قد نجحت فاتجه إلى الحجاز حيث قضى عشرين سنة معظمها في مكة المكرمة، وبدأ نشر طريقته الصوفية المعروفة بالطريقة السنوسية، فأنشأ أول زاوية في مكة في جبل أبي قبيس، لكنه ربما واجه بعض المتاعب فقرر العودة إلى الجزائر التي كان الفرنسيون قد احتلوها عام ١٨٣٠، وأصبح من الصعب عليه نشر أفكاره فاتجه إلى ليبيا التي كانت فقيرة من ناحية المراكز العلمية أو الصوفية، فكانت مستقره منذ عام ١٨٤٣ والتي شكلت بدايته الحقيقية

وبداية عصر السنوسية فى ليبيا، لكن الوجود العثمانى أقلقه فاتجه إلى الأماكن النائية فى جفوب حيث توفى بعدها بقليل عام ١٨٥٩ ودفن فيها، ترك حوالى أربعين كتاباً ورسالة منها (الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية وإيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن).

حركته الإصلاحية محيرة ومركبة، فقد تأثر بابن تيمية الراضية لآى مظهر من مظاهر التصوف الروحى.

كما تأثر بمحمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة والمذهب الوهابى الصارم المتمسك بالإسلام الظاهرى والنص الواضح، لكن «السنوسى» تأثر كثيراً أيضاً بالإمام أبى حامد الغزالى الفيلسوف وحجة الإسلام.

وأخذ عن الصوفية منهج البيعة ودرجات الصوفية، وقسمها إلى درجة المنتسب ودرجة الإخوان ودرجة الخواص، ينقل المؤرخون أن السنوسى بنى عقيدته على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وإن كان كتاب سيرته يقولون: إنه كان مالكى المذهب.

وتقوم الطريقة على التشدد فى العبادة والطقوس، والزهد فى أمور المعيشة كالأكل والملبس، والبعد عن العنف بكل أشكاله فى الدعوة، والتزم الاتباع بعدم شرب أى مكيفات كالشاي والقهوة والتدخين، كانت طريقته تقوم على العبادة والعمل، واختار الزراعة والتجارة، فازدهرت الواحات فى ليبيا حيث توجد مراكز الدعوة السنوسية. كما أكد على ضرورة الجهاد ومحاربة المستعمر بكل الوسائل، وما زالت واحة «جفوب» فى الصحراء الليبية بين مصر وليبيا أهم مراكز الدعوة السنوسية، وفيها يتخرج كل عام مئات الدعاة الذين ينشرون الدعوة فى باقى شمال أفريقيا، وقد بلغ



عدد الزوايا السنوسية حوالي ١٢٠ زاوية منتشرة في كل مكان حتى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى، وكان تأثيرها كبيراً لدى القبائل الوثنية في أفريقيا.

خلفه ابنه الشيخ المهدي محمد علي السنوسي في قيادة الدعوة حتى توفي عام ١٩٠٢، وكان عمر المختار من السلالة وجاهد ضد الاستعمار الإيطالي لليبيا حتى نفذ فيه حكم الإعدام عام ١٩٣١م.

* * * *

مينا

أول ملوك مصر، وأول من وحد مصر، وهو لذلك الرجل الذى لعب دوراً جليلاً فى تاريخ الحضارة الإنسانية، ولسنا نعرف عن يقين متى ولد ومتى مات، وإن كان من المعتقد تاريخياً أنه ولد فى سنة ٣١٠٠ ق.م. وقبل ذلك التاريخ لم تكن مصر موحدة، إنما كانت تضم مملكتين مستقلتين: واحدة فى الشمال فى الدلتا، والثانية فى الجنوب، الأولى مملكة مصر السفلى، والثانية مملكة مصر العليا، وكانت مصر السفلى أكثر تقدماً، وكان الملك مينا هو الذى وحد الوجه البحرى والوجه القبلى.

والملك مينا - ويسمى الملك نارمر - ولد فى تانيس فى جنوب مصر، وبعد أن وحد الوجهين أطلق على نفسه لقب ملك الوجهين القبلى والبحرى، أو موحد القطرين، وقد احتفظ الملوك من بعده بهذا اللقب ألوف السنين، وقد أقام عاصمته ممفيس على حدود المملكتين، ولا تبعد آثار هذه المدينة عن القاهرة، وقد ظلت ممفيس هذه عاصمة مزدهرة مئات السنين. والقليل من المعلومات هو الذى انتقل إلينا عن الملك مينا، وإن كنا نعرف أنه حكم مصر ٦٢ عاماً، وإن كان هذا الرقم مبالغاً فيه إلى حد كبير.

ومن المؤكد أن توحيد وجهى مصر قد أدى إلى إطلاق طاقاتها الإبداعية فى الثقافة والفن والعمارة، وقد أدى هذا التطور إلى تغيير فى نظم الحكم والإدارة، وقد ظل ذلك قائماً مزدهراً ألف سنة. وتطورت اللغة الهيروغليفية وطريقة كتابتها ونقشها.

ويمكن أن يقال دون خوف من الوقوع فى الخطأ أن الحضارة المصرية قد بلغت

حضارة سومر وتفوقت عليها أيضاً، ولا شك أن في عهد الملك مينا أصبحت مصر أكثر الحضارات القديمة تقدماً وتطوراً.

ولكن أين نضع الملك مينا في قائمة الخالدين؟

من المؤكد أن الملك مينا كان شخصية هامة جداً، وقد تعودنا في عصور الملكية أن الملك هو أهم شخصية، ولولاه ما تحقق الكثير على يديه من الفتوحات والتطورات. ولذلك يجب أن يعزى إليه الفضل في كل ما حققته مصر، أي لولا الملك مينا ما قفزت مصر إلى هذه المكانة الرفيعة في التاريخ القديم.

* * * *

نلسون مانديلا

هو نلسون روليها لا مانديلا Nelson Rolihlahla Mandela محامى وسياسى جنوب إفريقيا، ولد فى ١٨/٧/١٩١٨ وهو ابن هنرى مانديلا، ويتنسب إلى عائلة كانت ولا زالت تتولى زعامة قبيلة تمبو Tembu فى إقليم ترانسكى Transkei، درس القانون فى كلية فورت هار Fort Hare للحقوق، وجامعة ويتواترسراند Witwater-srand وتخرج فيها سنة ١٩٤٢ فى جنوب إفريقيا، وفى أثناء دراسته الجامعية بدأ نجمه يلمع زعيمًا من زعماء الحركات الإفريقية السوداء المناهضة للتمييز العنصرى الذى كانت تعتمده حكومة الأقلية البيضاء فى جوهانسبرغ، وفى سنة ١٩٤٤ ألف نلسون مانديلا مع والتر سيسولو W. Sisulu وأوليفر تامبو O. Tambo عصبة شباب المؤتمر الوطنى الإفريقى (A . N . C) وتدرج فى قياداتها إلى أن انتخب رئيسًا لها سنة ١٩٥٥، مما ساعده بعد سنتين على افتتاح أول مكتب قانونى لمحامين سود فى جنوب إفريقيا مشاركة مع أوليفر تامبو، وحتى ذلك الوقت كانت دعوته إلى مناهضة سياسة التمييز العنصرى مقتصرة على الوسائل السلمية، ومع ذلك اتهم مانديلا مع عدد من اتباعه بالخيانة، لكن حكومة جنوب إفريقيا العنصرية لم تتمكن بعد خمس سنوات من المحاكمة من إثبات الاتهام فسرحت الجميع.

وإثر قيام قوات أمن الحكومة العنصرية بفتح النار على تظاهرة سلمية دعا إليها مانديلا سنة ١٩٦٠ فى مدينة شارب فيل Sharpeville، وإصدارها قرارًا يحظر أى نشاط للمؤتمر الوطنى الإفريقى، قام مانديلا بتأسيس تنظيم عسكري أسود أطلق عليه

اسم «رمح الشعب» Umkhonto We Sizwe للتصدي لسياسات الحكومة القمعية ضد الغالبية السوداء، ونجحت عمليات التنظيم لدرجة جعلت الحكومة تلاحق أفراده سنة ١٩٦٣ وتقبض على تسعة من مناضليه (خمسة من السود وثلاثة من البيض وهندي واحد) بمن فيهم مانديلا بتهم التخريب والتآمر لقلب نظام الحكم، وبحوزتهم كمية من الأسلحة الحربية، وحكم عليهم بأحكام مختلفة كان أقساها الحكم على مانديلا بالسجن المؤبد، فأمضى الفترة الكبرى منها في سجن جزيرة روبن Robben في كيب تاون، وبعدها في سجن بولسمور Pollsmoor، وقد أسهمت مجريات تلك المحاكمة وذلك الحكم في تدعيم شعبية مانديلا ليس على مستوى جنوب إفريقيا وحسب، بل في أرجاء العالم كله، وتأسست على أثر ذلك جمعيات جديدة ساندها جمعيات عالمية أخرى نددت جميعها بسياسة التمييز العنصري، ولم تتمكن الحكومات العنصرية المتعاقبة في جنوب إفريقيا من تغييب ذكرى هذا المناضل عن أذهان أحرار العالم في الشرق والغرب، ولما اتسع نطاق المعارضة داخلياً وخارجياً ضد حكومة بريتوريا حاولت هذه الأخيرة الاتصال بالجماعات الإفريقية للتخفيف من حدة المعارضة التي اشترطت إطلاق سراح مانديلا شرطاً أساسياً لأية مفاوضات تتعلق بالتهدئة بين الحكومة والشعب، وبالفعل اضطرت حكومة جنوب إفريقيا سنة ١٩٨٥ إلى القبول بفكرة تسريح مانديلا مقابل الالتزام بنبذ العنف، لكن مانديلا لم يوافق إلا في حالة إعلان الحكومة إنهاء التمييز العنصري، وأيده بذلك جمع غفير من أحرار العالم الذين دعوا في الحادى عشر من يونيو ١٩٨٨ إلى التجمع في العاصمة البريطانية لندن بمناسبة بلوغ مانديلا سن السبعين، وتحدث في الاجتماع عدد كبير من مفكرى العالم عن مساوى التمييز العنصرى، ودعوا إلى تسريح مانديلا من دون شروط، وقد أكرهت الضغوط المتصاعدة في أنحاء العالم والتسمرد الشعبى الكبير في جنوب إفريقيا



رئيس الحكومة العنصرية بيتر ويليم بوتنا Pieter Willem Botha وبعده خلفه ف . و . دو كليرك F. W. de Klerk ١٩٨٩ على الالتقاء بمانديلا فى سجنه عدة مرات فى محاولة لتهدئة الموقف الذى استمر متفجراً فى البلاد منذ اعتقاله، وفى ١١ فبراير ١٩٩٠ انصاعت الحكومة للضغوط الداخلية والخارجية مرة ثانية، ووافقت على إطلاق سراح مانديلا من دون شروط، كما منح المؤتمر الوطنى الإفريقى ترخيصاً بالعمل السياسى للمشاركة فى صياغة دستور جديد لجنوب إفريقيا لا يتضمن أى تمييز عنصري ضد البيض أو السود، وقد أدى مانديلا الرئيس الجديد للمؤتمر الوطنى الإفريقى دوراً قيادياً فى مفاوضات إنهاء التمييز العنصرى، وحصل بنهاية المفاوضات على جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٩٣ مناصفة مع رئيس وزراء جنوب إفريقيا دو كليرك.

وفى ١٠/٥/١٩٩٤ أجريت أول انتخابات حرة فى جنوب إفريقيا شارك فيها كل سكان البلاد من البيض والسود، وأسفرت عن فوز ساحق ناله نلسون مانديلا الذى أصبح بموجبه أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا المناهضة للتمييز العنصرى.

وفى أثناء حكمه الذى استمر خمس سنوات قلب مانديلا صورة جنوب إفريقيا العنصرية، وأقامت بلاده علاقات خارجية متميزة مع كل الدول التى ساندت جنوب إفريقيا فى نضالها ضد التمييز العنصرى وعلى رأسها الدول العربية التى زار معظمها حتى نهاية ولايته فى ١٦/٦/١٩٩٩، ثم عاد إلى الحياة العامة مواطنًا عادياً يودى مهاماً اعتيادية، يستشير ويحترمه الجميع داخل البلاد وخارجها.

حصل مانديلا وهو فى السجن سنة ١٩٧٩ على جائزة جواهر لال نهرو Jawaherlal Nehru وهى أرفع جائزة تمنحها حكومة الهند، كما حصل على جائزة



برونو كرايسكى Bruno Kreisky لحقوق الإنسان سنة ١٩٨١، إضافة إلى عدد من شهادات الدكتوراه الفخرية من عدد من جامعات العالم، وقد جمعت خطبه وكتابه في أثناء سجنه في عدد من الكتب بعناوين:

- No Easy Walk to Freedom (London 1965).
- The Struggle Is My Life (1978).
- I'am Prepared to Die (1979).

* * * *

هوشى منه

زعيم حركة فيتنام الوطنية لأكثر من ٣٠ عامًا والذي صمد بشعبه وقواته أمام القوات الفرنسية ثم القوات الأمريكية التي غزت فيتنام، حتى أصيبت بأول وأكبر هزيمة في تاريخها وانسحبت بعد أعوام من الحرب الشرسة والهزيمة في عام ١٩٧٥.

(هوشى منه) ولد في فيتنام عام ١٨٩٠، وكان والده مدرسًا أيام الحكم الفرنسي، واشتهر بذكائه الشديد، لكنه لم يكن راغبًا في تعلم الفرنسية لغة أعدائه، ففصل من عمله واضطر للتنقل عبر البلاد ليمارس مهنة مؤقتة. ونشأ جميع أولاده على حب والدهم للوطن (فيت - نام) ومحاربة الفرنسيين، ورغم رفضه هو شخصيًا لتعلم الفرنسية فقد أرسل ابنه (هو) إلى مدرسة فرنسية، لاقتناعه المتأخر بأن تعلم لغة العدو تساعد على معرفة أساليبه وهزيمته، وعمل (هو) كأبيه مدرسًا، ثم قرر أن يصبح بحارًا فجاب عددًا من الدول كان معظمها تحت الاستعمار الفرنسي، واستقر في باريس عام ١٩١٧ وقرأ كتب (كارل ماركس) وغيره من الشيوعيين واعتنق مذهبهم، وكان من أوائل أعضاء (الحزب الفرنسي الشيوعي) الذي تأسس عام ١٩٢٠، وتحولت الثورة الروسية إلى إلهام له فزار الاتحاد السوفييتي الوليد عام ١٩٢٤، وأدرك في موسكو أن على (الشيوعيين في أنحاء العالم العودة إلى بلادهم لإيقاظ الجماهير)!

لكنه لم يستطع العودة إلى فيتنام خشية إلقاء القبض عليه من قبل الفرنسيين، فذهب إلى الصين، ومن منفاه الإختياري ساعد على (تنظيم) الوطنيين المنفيين هناك.

وجد (هوشى منه) فرصة لتحرير بلاده بعد احتلال النازيين الألمان فرنسا وغزو القوات

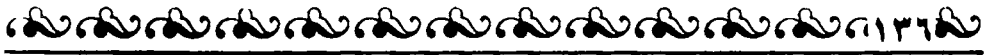
اليابانية الهند الصينية، في سبتمبر عام ١٩٤٠، فشكل منظمة باسم (فيت - منه) وبدأت حرب العصابات ضد القوات المحتلة الفرنسية، كما شاركت قوات (فيت - منه) بالقتال ضد اليابانيين، وبمساعدة من الاتحاد السوفيتي الذي كان يمددها بالسلاح، وبعد أن ضرب اليابانيون ميناء (بيرل هاربر) بدأت الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً إمداد قوات (هوشي منه) بالسلاح، وبعد إلقاء قبيلتي هيروشيما وناجازاكي على اليابان التي استسلمت.

في عام ١٩٤٥ كانت قوات (فيت - منه) في وضع عسكري يمكنها من السيطرة على البلاد، فأسس (هوشي منه) جمهورية فيتنام الديمقراطية، دون أن يعلم اتفاق روزفلت الأمريكي وتشرشل البريطاني وستالين السوفيتي في قمة بوتسدام بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، على تقسيم فيتنام إلى شمالية تحت نفوذ الصين، وجنوبية تحت نفوذ بريطانيا. لكن فرنسا قررت العودة إلى فيتنام ورفضت الاعتراف بجمهورية فيتنام (الديمقراطية) و (هوشي منه) فاندلعت الحرب بينهما ولم تكن لصالح الفيتناميين في البداية واسمه الحقيقي هو (مجوين تان تهان) بطل حرب فيتنام وما قبلها، استطاع بعد وصول (ماو تسي تونج) الشيوعي للحكم في الصين قلب المعركة مع المحتل الفرنسي لصالح قواته، خاصة أن الرأي العام الفرنسي رفض بقاء القوات الفرنسية في جنوب فيتنام لمساندة الإمبراطور الفيتنامي (بوادى) الذي نصبته فرنسا، وعرضت فرنسا المفاوضات بعد وقوع (٩٠) ألف جندي فرنسي هناك بين قتيل وجريح خلال (٧) سنوات لم يحسم النصر فيها لفرنسا.

عرضت أمريكا التدخل إلى جانب فرنسا بإلقاء قنبلة ذرية على فيتنام (١٩٥٩) لكن فرنسا أعلنت هزيمتها بعد أسر (١١) ألف من جنودها، وظل جنوب فيتنام في

يد الخلفاء المنتصرين حتى تشكلت عام ١٩٦٠. (الجهة القومية لتحرير فيتنام الجنوبية) أو ما سماهم الأمريكيون بـ (الفاتيكونج) أو (الغيت - كونج). فقام الرئيس الأمريكى المنتخب (جونسون) بعملية الرعد عام ١٩٦٤ لتدمير قوات فيتنام الشمالية الشرعية والتي كانت تحت نفوذ (هوشى منه). واستمرت العملية (٣) أعوام بعد أن كان مقدراً لها (٦) أسابيع فقط، أسقطت خلالها أمريكا حوالى (مليون طن) من القنابل، وقاد (هوشى منه) حرباً دامية بكل معنى الكلمة، وقدرت حكومة (هانوى) (شمال فيتنام) الضحايا بحوالى (٤) ملايين فيتنامى خلال (٢١) سنة، كما قتل أكثر من مليون مقاتل شيوعى، وتقدر المصادر الأمريكية ضحاياها من الأمريكين بـ (٥٨) ألف فقط، هاجم (هوشى منه) ٣٦ مدينة دفعه واحدة بما فيها (سايجون) عاصمة فيتنام الجنوبية، وحوصرت قوات المارينز الأمريكية فى نطاق السفارة الأمريكية هناك. فى وقت لم تكن القوات الأمريكية قد التقت أنفاسها بعد من معركة شرسة مع الفيتكونج، أصابت هوشى منه بخسائر جسيمة، ولم تلق إلا الازدراء والسخط من رأى العام الأمريكى والعالمى، حيث أذيعت العمليات على شاشات التلفزيون فى أول سابقة من نوعها فى تاريخ الإعلام. واضطر (جونسون) لوقف عملياته الجنوبية واستمرت العمليات الأرضية، وكان ينوى الترشيح لولاية رئاسية جديدة فى نوفمبر عام ١٩٦٨.

لكن الأمريكيون انتخبوا (نيكسون) وبدأ التفكير بسحب القوات الأمريكية على مراحل دون المساس بكرامتها العسكرية! وتم سحب (٥٠٠) ألف عسكري أمريكى بعد أن شاع الإحباط والأمراض النفسية بين القوات مع ارتفاع معدل تعاطى المخدرات!.



وحدثت مذبحه (مادى لاي) عام ١٩٦٨ حيث ذبح الأمريكيون أكثر من (٣٠٠) قروى فيتنامى بحجة وجود معسكرات للفيتكونج مات (هوشى منه) فى العام التالى ١٩٦٩، وتابع خليفته القتال وفى يوم ٣٠ أبريل من عام ١٩٧٥ اقتحمت دبابات الفيتناميين الشيوعيين سياج القصر الرئاسى فى العاصمة (سايجون) بشكل مباغت وغرست رايتهم ذات الألوان الأحمر والأزرق والنجمة الصفراء، وسقطت (سايجون) واستعادت اسمها القديم (مدينة هوشى منه)!.
* * * *

بى نظير بوتو

يرى المحللون السياسيون أن هناك أربع صفات تميز «بى نظير بوتو» المولودة يوم ١٢/٦/١٩٣٥م والمتوفاة اغتيالاً يوم ٢٧/١٢/٢٠٠٧م، وفي صفات تعد مدخلاً مهماً لتناول شخصيتها المثيرة للجدل، فقد كانت واضحة في حياتها عموماً، وانعكست على حياتها السياسية خصوصاً، وهي صفات استولت عليها، وملأت حياتها، ويمكن رصدها على النحو الآتى:

- كلما وصلت إلى نتائج إيجابية في مسيرتها السياسية وتمكنت من كسب موقف ما كانت تعتبر كل ذلك بفضل قيادتها وجهودها الفردية، وكلما منيت بفشل، أو بتعثر كانت تعتبر ذلك نتيجة تقصير الآخرين.

- كانت دائماً تسعى لأن تثبت استحقاقها لكل تكريم ومنصب من غير أن تعترف بأى مشاكل لديها، أو بنقص فيها، أو فى صلاحيتها واستعدادها وأهليتها.

- كانت تعتبر نفسها راعية للقانون والديمقراطية، مع أنها كانت بعيدة كل البعد عن الالتزام بالقانون والديمقراطية داخل حزبها وحياتها السياسية، فلإنها لم تكن ترضى بحال من الأحوال بإجراء انتخابات داخل الحزب، بل قد عينت رئيسة الحزب مدى الحياة، وكان هذا سبباً فى أزمة القيادة فى حزب الشعب الباكستاني، وكانت تعرف بـ(الدكتاتورة المدنية).

مثال ذلك ما قاله الصحفى الهندى المعروف (K . K . Katyal) بأنه كان يجرى مقابلة معها، وفى هذه الأثناء دخل أحد كبار أعضاء حزب الشعب، فغضبت منه،

وقالت له: «ألا تعرف أن القائد إذا كان يتحدث لا يجوز لأحد أن يتدخل في الحديث!». .

قد ورثت هذه الصفة من تربية أبيها ومن سيرته، فدكتاتوريته كانت أشد أنواع الدكتاتوريات طوال تاريخ باكستان، وهو المدني الوحيد الذي تولى الحكومة العسكرية طوال تاريخ باكستان، فتعرضت أحزاب المعارضة لأشد أنواع التعذيب أثناء حكمه .

- كانت تحب الحكم والسلطة إلى أبعد الحدود، فالسلطة هي محور حياتها التي دارت أحداثها حولها، وكانت ستفعل المستحيل لأجل الوصول إلى السلطة .

و«بوتو» في ذلك ليست الحالة الوحيدة في العالم الإسلامي، وأمثال هؤلاء لا يهتمهم شيء مثل أهمية الوصول إلى السلطة، يهون الكثير أمام هذا الهدف، فإذا اقتضى التدين تظاهروا بالتدين، وإذا اقتضى غير ذلك فعلوه . . تسود حياتهم البرجماتية بكل معنى الكلمة، لا توجد ثوابت في حياتهم، بل هي تابع للمصلحة عندهم وبذا فإن حياتهم ليست شراً محضاً ولا خيراً محضاً، بل تتغير حسب مقتضيات مصلحتهم وهدفهم الأساسي في الحياة .

خلفية الأسرة السياسية:

نشأت «بى نظير بوتو» فى أسرة سياسية عريقة، فكان جدها «السير شاهنواز بوتو» الذى يعتبر أحد الشخصيات السياسية المشهورة فى الهند البريطانية ، فقد تولى مناصب عالية جداً فى الحكومة البريطانية، كان منها مساعدة الحاكم الإنكليزى للهند، ورتاسة وزراء إقليم (جونانغر) فى الهند، وحصل على عدة ألقاب من الحكومة الاستعمارية البريطانية فى الهند، منها (خان بهادر) و (السير)، وكان قد شكل حزباً سياسياً باسم (حزب الشعب السندى).

أما «ذو الفقار على بوتو» (والد بي نظير بوتو) الذي كان يسمى بين أصدقائه بـ «ذو لفي» اختصاراً لاسمه فقد مشى على خطى أبيه، فبعدما تخرج في كلية (بركلي) المشهورة في كاليفورنيا، وجامعة أكسفورد الشهيرة رجع إلى كراتشي عام ١٩٥٣م، وبدأ يشتغل في المحاماة والتدريس، لكنه كان يرى أن مستقبله مرتبط بالسياسة، وكانت الظروف مهيأة له كون قيادة باكستان حينذاك كانت بيد أصدقاء والده (إسكندر مرزا) و (حسين شهيد سهروردي)، فذهب إليهما، وكان ذلك أول مشاركته في السياسة.

تولى في البداية وزارة المعادن، ثم وزارة شؤون الأقليات، ثم وزارة التعمير الوطني، ثم وزارة شؤون كشمير في حكومة (إسكندر مرزا) وبداية حكومة (المشير محمد أيوب خان)، ثم تولى وزارة الشؤون الخارجية في حكومة (المشير محمد أيوب خان)، ثم استقال من وزارة الشؤون الخارجية عام ١٩٦٦م، وشكل حزب الشعب الباكستاني يوم ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٦٧م، وبذلك دخل السياسة الباكستانية من أوسع أبوابها، وحصل على الأغلبية في أول انتخابات أجريت في باكستان عام ١٩٧١م.

وبعد أن أجريت الانتخابات للمرة الثانية في آذار/ مارس عام ١٩٧٧م حصل حزب الشعب فيها على الأغلبية وشكل الحكومة، وتولى «ذو الفقار على بوتو» رئاستها، لكنه اتهم بالتزوير، وأدى ذلك إلى انقلاب عسكري بقيادة الجنرال محمد ضياء الحق في ٥ يوليو عام ١٩٧٧م.

أما «بي نظير بوتو» فقد نشأت أثناء هذه الأحداث الساخنة، وفي هذه الأسرة السياسية العريقة، ومن هنا كانت ترى نفسها، أحق الناس بالحكم والسلطة، وترى أنها ولدت لتحكم ولتقود.

تحضير لتولية الحكم:

دراسة «بوتو» كانت تصب في سياق وصولها للحكم، فكانت دراستها الابتدائية والثانوية في مدينة كراتشي، وروالبندي، ومدينة مري، في مدارس تبشيرية، ومن ثم سافرت إلى أمريكا عام ١٩٦٩م، وبقيت في radcliff college وجامعة هارفارد إلى عام ١٩٧٣م، وحصلت على شهادة البكالوريوس، ثم انتقلت إلى بريطانيا ودرست القانون الدولي والدبلوماسية في جامعة أكسفورد الشهيرة من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٧٧م، وأثناء هذه السنوات نفسها درست في كلية (مارغريت هال) التابعة لجامعة أكسفورد فلسفة السياسة.

تقول «بي نظير» في حديث لها مع إذاعة بي . بي . سي (بالأردو) يوم ١٧ سبتمبر عام ٢٠٠٣م: «مع أنني كنت قد تلقيت التربية السياسية العملية على يد والدي لكنني أدركت مدى قوة الشعوب عندما ذهبت إلى مؤسسات تعليمية مثل (أكسفورد ، وهارفارد)، لم أكن أعرف شيئاً عن قوة الشعوب».

وبذا كان سفرها إلى هذه المؤسسات التعليمية لتتعلم ما كانت تحتاج إليه في الوصول إلى هدفها، وما كان يسهل مهمتها في الوصول إلى الحكم والسلطة والاستمرار فيهما، ومن هنا كانت دراستها قاصرة على القانون الدولي، والسياسة، والدبلوماسية.

وبالعودة إلى والد «بوتو» فسنجد سياسياً محنكاً، وتعتبر حكومته - منذ نشأة باكستان - هي الحكومة المستقلة الوحيدة التي لم يكن الجيش يتحكم فيها، وقد رفع شعاراً أسر به لب الطبقات الكادحة، وهو (توفير الخبز واللباس والسكن) وصار بذلك بطلاً شعبياً، ومن هنا لقب به (قائد الشعب).

وهو من البداية سعى إلى تربية (بوتو) تربية سياسية إلى آخر لحظات حياته، وكان بعدها لتتولى قيادة حزب الشعب، وبالتالي لتتولى الحكم بعده، ومن مظاهر هذا الاهتمام الأمور التالية:

أ - كان يأخذ (ذو الفقار على) ابنته (بى نظير بوتو) معه فى كثير من المحادثات الرسمية الحساسة والخطيرة، فعلى سبيل المثال شاركت فى المحادثات التى جرت بين «ذو الفقار» الرئيس الباكستانى حينذاك وبين «أنديرا غاندى» رئيسة وزراء الهند فى عام ١٩٧٢م فى سملة Simla.

ب - كلفها بأعمال خاصة فى فترة حكمه عندما كانت تعود فى الإجازة من لندن، فقد عينت فى عام ١٩٧٦م Officer on special duties الموظف لأداء المهمات الخاصة فى وزارة الخارجية الباكستانية، وكان الغرض من ذلك هو تدريب هذه (النحيلة) (لقب أطلقه عليها والدها).

ولما أسقطت حكومة «ذو الفقار» بانقلاب عسكرى وألقى فى السجن، وكان يحاكم فى قضية قتل بعض الشخصيات المهمة والذين قتلوا فى فترة حكمه من قبل الحكومة كان يرسل إليها رسائل خاصة يوجهها فيها ويريبها عن طريقها، كما كتب فى المعتقل كتاباً سماه «إن قتلت» خاطب فيه ابنته خطاباً خاصاً يريد به تربيته، ووصفها بأوصاف لم يصف بها أحداً من أولاده، وكان يعلق عليها آمالاً كبيرة.

ورثة الوالد بعد إعدامه:

حصل الانقلاب العسكرى ضد حكومة «ذو الفقار» يوم ٥ يوليو عام ١٩٧٧م بعد احتجاجات شديدة من قبل جميع أحزاب المعارضة، وقاد الانقلاب الجنرال «محمد ضياء الحق» الذى رماه بوتو الأب من غير استحقاق لتتولى قيادة الجيش، وحوكم فى قضية قتل الناشطين السياسيين الذين قتلوا فى فترة حكمه، وكان منهم أحمد رضا

قصورى (والد خورشيد محمود قصورى وزير خارجية مشرف فى الحكومة الماضية) وصدر ضده الحكم بالإعدام، وأقرت المحكمة العليا الحكم، ونفذ فيه الحكم بالإعدام يوم ٤ أبريل ١٩٧٩م فى سجن روالبندى (المدينة التى اغتيلت فيها بى نظير بوتو).

أما مواقف أسرة «بوتو» فكانت متباينة . . أراد «مير شاهنواز بوتو» و «مير مرتضى بوتو» ابنا «ذو الفقار» أن يتقما لقتل والدهما بعمل مسلح، فأنشأ عصابة مسلحة سميت (الذو الفقار)، أوتها الحكومة الشيوعية فى أفغانستان حينذاك، وساعدتها فى أداء مهمتها لتقارب فكرى بين الجهتين ولأن حكومة الجنرال (محمد ضياء الحق) كانت تساعد الأحزاب الجهادية فى المقاومة ضد التواجد السوفياتى فى أفغانستان إلى أن تمكنت تلك العصابة (بمساعدة بعض الجهات الأجنبية القريبة من ضياء الحق) من إسقاط طائرة «ضياء» وقتله مع مجموعة كبيرة من قيادات الجيش الباكستانى عام ١٩٨٨م.

أما موقف «بى نظير بوتو» فكان مختلفاً عن موقف أخويها، فقد قطعت صلتها بهما، لأنها كانت تعتبر نفسها وريثة أبيها فى السياسة وقيادة حزب الشعب، وكانت تريد حكم باكستان، وتدرك أن الطريق إلى ذلك هو العمل السياسى، وليس العمل المسلح، ومن هنا تولت قيادة حزب الشعب الباكستانى بالاشتراك مع والدتها «نصرت بوتو» الأصفهانية (وهى من أسرة كردية من إيران تزوجها ذو الفقار على بوتو عندما رآها فى قصر الملك رضا شاه بهلوى).

تغيير وجهة حزب الشعب:

كان حزب الشعب الباكستانى أول ما نشأ حزباً يغلب عليه الميل إلى النظرية الشيوعية، وكان من قياداته شخصيات معروفة تدعو للشيوعية مثل شيخ رشيد (الذى

كان يعرف بأبي الشيوعية) وغيره، وكان الحزب يفضل النموذج الصيني للشيوعية، وكان «ذو الفقار» نفسه يرى (ماوز تونغ) نموذجًا يحتذى به، لكن لما رأته «بوتو» أن الظروف قد تغيرت، وأن النموذج الليبرالي الغربي هو الأدهى للقبول لدى أميركا والغرب، وكانت قد أدركت حقيقة أن الوصول إلى السلطة في باكستان والاستمرار فيها يتوقف على رضا أميركا، حولت عندئذ قبلة الحزب، وغيرت اتجاهه من الشيوعية إلى الليبرالية الغربية، كون ذلك يقربها من هدف الوصول إلى السلطة.

عاشت «بوتو» في الغالب في الخارج، وكانت عودتها إلى باكستان لممارسة الحكم، فقد خرجت إلى بريطانيا وأميركا عام ١٩٦٩م، وبقيت إلى عام ١٩٧٧م، حيث عادت لفترات لتستمتع بالسلطة فترة حكم أبيها، كما اعتقلت قبيل إعدام أبيها في عام ١٩٧٩م وبقيت في المعتقل إلى عام ١٩٨٥م. ثم سمح لها بمغادرة البلد إلى بريطانيا، ومن هناك تولت قيادة حزب الشعب الباكستاني، وعادت إلى باكستان في ١٠ أبريل عام ١٩٨٦م لتستعد لخوض الانتخابات التي كان يتوقع أن يجربها الجنرال «محمد ضياء الحق» في تلك الفترة، واستقبلت استقبالاً ضخماً في مدينة لاهور حينذاك، وبقيت بعد ذلك مرتبطة بالحكم، سواء كان ذلك الارتباط بكونها في السلطة أو بكونها في قيادة المعارضة إلى عام ١٩٩٨م عندما غادرت باكستان إلى الإمارات العربية المتحدة، وبقيت مع أولادها بين بريطانيا والإمارات، ولحق بها زوجها بعد ذلك، إلى أن اقترب موعد الانتخابات، وبدأت أميركا والمجتمع الدولي بالضغط على الجنرال مشرف لإجراء الانتخابات في ضوء فقدانه شعبيته، وكانت مصالح تلك الجهات تقتضى أن يتولى السلطة شخص مخلص لهم ويكون في الوقت نفسه متمتعاً بقاعدة شعبية كبيرة، وكان ذلك الشخص في نظر أميركا هو «بى نظير بوتو».

رجعت إلى باكستان يوم ١٨ أكتوبر عام ١٠٠٧م أى بعد تسعة أعوام، بعد اتفاقيات عقدها مع الجنرال مشرف بضغوط أميركية وبريطانية وضمنهما، بأنها ستسهل لمشرف مهمة البقاء فى منصب رئاسة الدولة فى مقابل أن يعطيها فرصة تولي رئاسة الوزراء فى الحكومة القادمة، وكانت متيقنة من توليها المنصب المذكور عند عودتها، لكن المدبرين لحادثة اغتيالها لم يمهلوها هذه المرة، واغتالوها يوم ٢٧/١٢/٢٠٠٧م.

الزواج السياسى وتجميل الصورة:

تزوجت «بى نظير بوتو» يوم ١٨ ديسمبر عام ١٩٨٧م، وكان عمرها غداة ذلك ٣٤ عاماً بـ «آصف على زردارى» وهو ابن إحدى الأسر الإقطاعية فى إقليم السند، ينتمى إلى مذهب أهل التشيع، ويبدو أن الزواج المذكور كان له دخل بقضية الحكم والسياسة.

فعندما رجعت «بوتو» إلى باكستان وفكرت أسرتها جدياً بالعمل على توليها الحكم مستقبلاً، رغبت فى أن تحسن من صورتها، ولكون المجتمع الباكستانى مجتمعاً محافظاً ولن يقبل امرأة غير متزوجة وهى فى الثلاثينيات من عمرها، وخاصة بعد ما شاعت بعض الأخبار غير المقبولة عنها فى فترة شبابها التى قضتها فى الغرب، ولتحسين هذه الصورة استعجلت زواجها، فتم ذلك الزواج السياسى فى كراتشى قبيل الانتخابات العامة.

وبعد الزواج ظهرت «بوتو» امرأة رصينة وبجانبيها زوجها «آصف على زردارى».

ولتعميق هذه الصورة أصرت «بوتو» على الإنجاب، لأن ذلك يساعد فى تحسين صورتها، فأنجبت طفلها الأول فى السنة الأولى من زواجها، وعن ذلك تقول فى

مقابلة مع إذاعة «بى بى سى» يوم ١٧ سبتمبر ٢٠٠٣م: «لم يعلن ضياء الحق عن موعد الانتخابات إلا بعد أن علم بأننى حامل بطفلى الأول، وكان يظن أننى لن أقدر على القيام بحملة انتخابية موفقة قرب موعد الإنجاب، لكننى قمت بحملة انتخابية ضخمة وحصلنا على الأغلبية» فكان الإنجاب بالنسبة لها يعنى أمرين، أحدهما تحسين صورتها، والثانى إنجاب الوريث ليتولى الأمر بعدها.

بين الأخ والزوج والجيش:

برجوع أخيها «مير مرتضى بوتو» من المنفى بعد مقتل «ضياء الحق» إلى باكستان عام ١٩٩٣م انتخب عضواً فى البرلمان الإقليمى لإقليم السند، وبدأ يعارضها فى قيادة حزب الشعب، ويشير لها بعض المشاكل، كما شكل (حزب الشعب الباكستانى / جناح الشهيد بوتو) حيث كان يعتبر نفسه الأحق بقيادة حزب أبيه، كما أنه كان من أشد المعارضين على زوجها (آصف على زردارى) الذى كان يتهمه بسرقة ووراثة أبيه وحزب الشعب الباكستانى.

ر بسبب «مير» انقسمت أسرة «بوتو»، ولما زادت مشاكله قتل فى كراتشى قرب قصر «بى نظير بوتو» Bilawal House فى مواجهة مع البوليس يوم ٢٠ سبتمبر عام ١٩٩٦م، واتهم زوج «بى نظير بوتو» بقتله وبقي فترة طويلة فى السجن بتلك التهمة التى أنكرها دوماً.

اللافت أن «بى نظير» لم تحرك ساكناً تجاه القضية، ولم تتم إجراءات التحقيق، ولم تصل التحقيقات إلى نتيجة.

ويرى المحللون أن هذا الموقف - سواء كان زوجها شارك فى الجريمة أم تكون الجهة التى قتله هى الجيش الباكستانى لقيادته منظمة (الذو الفقار) الإرهابية التى

قامت بعمليات عديدة ضد حكومة الجيش فى عهد الجنرال «محمد ضياء الحق» - هو الذى يخدم مصلحة «بى نظير بوتو» لكى لا يدمر مستقبلها السياسى بإغصاب زوجها ساعدها الأيمن، وألا يغضب الجيش الذى لا يمكن حكم باكستان إلا بمباركته.

تدين لتحقيق مصلحة سياسية:

جرص «بوتو» على نقاء صورتها كان يدفعها إلى بذل احتياطات كثيرة فى ظهورها الإعلامى، فلم تظهر أمام وسائل الإعلام إلا بغطاء رأسها المميز، كما انعكس هذا الحذر حتى فى وجودها فى الدول الغربية، حيث لم تظهر أى فضيحة إعلامية لها على الرغم من كثرة تجولاتها.

كما أنها سعت إلى ظهورها بمظهر المتدينة التى تحترم فئات المجتمع الباكستانى وتمارسها، مارست ذلك باقتناع أو عدمه وبهدف واحد يتمثل فى لفت انتباه الجمهور إليها، وخاصة الشذج من القرويين، وأمثلة ذلك كثيرة منها حملها الدائم للمسبحة، فما كانت ترى فى المجالس العامة إلا ويدها المسبحة مغطاة الرأس لابسة الزى الباكستانى الساتر عند تواجدها فى باكستان، وعند تعرضها لوسائل الإعلام العالمية والمحلية، وكذلك التبرك بالمصحف الشريف وتقبيله، وكانت صور ذلك تظهر فى وسائل الإعلام. والذهاب إلى الدراويش وأمرها ببناء بعض المساجد فى فترة حكومتها.

ولما انتقلت من بريطانيا إلى الإمارات العربية المتحدة فى منفاها الأخير سئلت عن سبب ذلك فى مقابلة نشرت فى ذلك الوقت فذكرت إلى جانب الأسباب الأخرى أنها تريد أن يقرأ أولادها القرآن الكريم، وأن ينشأوا فى بيئة محافظة على الدين، وأنها لم تجد ذلك فى لندن، ولذلك انتقلت إلى الإمارات العربية المتحدة.

انتهازية سياسية ومغازلة أميركية:

أما مواقف «بى نظير بوتو» من القضايا المختلفة فكانت تابعة لمصلحتها السياسية أولاً وأخيراً، ولا أدل على ذلك من مواقفها الأخيرة، فهي تعتقد مثل الساسة الباكستانيين الآخرين أنه لا يمكن الوصول إلى الحكم فى باكستان والاستمرار فيه إلا برضا أميركا وموافقتها، بل قد قال بعض السياسيين منهم: «من يكون معه ثلاثة (A) سيحكم باكستان ويقصد بذلك Allah و America و Army (الله، أميركا، والجيش).

ومن هنا كان هم «بوتو» لفت نظر السياسة الأميركية إليها واستمالتها، وإقناع الحكومة الأميركية بأنها تستطيع أن تقوم بما تريده أميركا بأحسن مما يقوم به الجنرال مشرف، وأمثلة ذلك كثيرة، منها: تأييد الحرب الأميركية على ما تسميه إرهاباً، وأنها تستطيع أن تلعب دوراً مؤثراً فى ذلك، كما أنها أيدت العملية العسكرية التى قام بها مشرف ضد مدرسة البنات (جامعة حفصة) و (لال مسجد) ولم يؤيدها من السياسيين فى باكستان إلا شخصان أحدهما «بوتو» والآخر «ألطاف حسين» قائد الحركة القومية المتحدة، وحليف مشرف فى الحكم.

كما وافقت على السماح للجيش الأميركي بإجراء عملياته داخل الأراضى الباكستانية إذا توفرت المعلومات الاستخبارية بتواجد أسامة بن لادن فى الأراضى الباكستانية، وقولها إنه يمكن إعادة التحقيق فى قضية الدكتور عبد القدير خان المتهم ببيع الأسرار المتعلقة بالأسلحة النووية.

وبعدما حصلت على الرعاية الأميركية دخلت فى المحادثات مع الجنرال مشرف، لتصل بذلك إلى المشاركة فى الحكم، وهى محادثات ضربت كل الوعود والاتفاقيات

التي كانت قد وقّعت عليها والتي كانت تحظر فيها التعاون مع العسكر، فقد رأت أن هذه المحادثات والتعاون مع الجيش يسهلان لها مهمة الوصول إلى الحكم، فقد وقّعت من قبل على Charter of Democracy وثيقة الديمقراطية مع «نواز شريف» في عام ٢٠٠٦م في اجتماع بينهما، وكانا قد قررا في الوثيقة المذكورة أن ينهيا تدخل الجيش في السياسة، وأنهما لن يتعاونوا مع الحكومة العسكرية، وأن الحزبين سيتعاونان على إعادة الديمقراطية عن طريق العمل السياسى.

كما تنازلت عن أشياء كثيرة كانت تعتبرها مبادئ وأصولاً قبل ذلك مثل إعادة القضاء كما كان قبل تدخل الجنرال مشرف، وإعادة الدستور إلى الحالة التي كان عليها قبل مجيء الجنرال مشرف إلى السلطة.

* * * *

غاندى

الزعيم الروحى للشعب الهندى وقائد نضاله التحررى ضد الاستعمار البريطانى،
وأحد كبار القادة السياسيين فى العالم فى القرن العشرين لقبه شعبه بـ«المهاتما» Ma-
hatma التى تعنى «الروح العظيمة».

نشأته ودراسته:

ولد موهانداس كارمشند غاندى Mohandas Karamchand فى تشرين الأول/
أكتوبر عام ١٨٦٩م فى بلدة بورباندار Porbansar على الساحل الغربى للهند لأسرة
متوسطة الحال تنتمى إلى طبقة الـ «فيشيا» Vaishya التى يعمل أفرادها فى التجارة
والصناعة، وهى الطبقة الثالثة فى الترتيب الطبقي الاجتماعى فى الهند، بعد البراهما
والكشاتريا. وكلمة غاندى تعنى التاجر الصغير (أو البقال)، فقد كانت أسرته تعمل
فى التجارة، ثم ما لبث جده أن أتجه إلى العمل السياسى، فأصبح رئيساً لوزراء
مقاطعة بورباندار، وتلاه ابنه كارمشند (والد المهاتما) على المنصب نفسه.

فى عام ١٨٧٦ دخل غاندى مدرسة راجكوت الأبتدائية، وفى عام ١٨٨١ انتقل
إلى المدرسة الثانوية، وتخرج فيها عام ١٨٨٧. وفى عام ١٨٨٣، وفى أثناء دراسته
الثانوية تزوج غاندى من كاسترباى، التى كانت فى سنه، ورزق منها أربعة أطفال
سافر غاندى بعد ذلك إلى إنكلترا لدراسة الحقوق، وعاد إلى الهند عام ١٨٩١
ليمارس المحاماة فى بومباى وراجكوت. ولما لم ينجح نجاحاً يذكر، سافر إلى
جوهانسبورغ Johannesburg فى جنوب إفريقيا ليعمل محامياً ومدافعاً عن الجالية

الهندية وجميع الملونين في جنوب إفريقيا ضد التفرقة العنصرية. في عام ١٩٠٢ أصدر في جوهانسبورغ مجلة أسبوعية سماها «الرأى الهندى» Indian Opinion.

نضاله في سبيل استقلال الهند:

في عام ١٩١٤ عاد غاندى نهائياً إلى وطنه، وبدأ كفاحه الوطنى ضد الاستعمار البريطانى في عام ١٩١٥ أنشأ مؤسسة أشرام Ashram الاجتماعية لمساعدة المنبوذين وإيوائهم وفي عام ١٩١٨ قاد مظاهرة عمال النسيج في أمداآباد، وقام بأول صيام لإرغام أصحاب المصانع على تسوية أوضاع العمال، وفي العام نفسه، قاد مظاهرة للفلاحين في مدينة كهيدا Kheda.

في عام ١٩١٩ شن غاندى حملة واسعة ضد قانون رولات Rowlatt Bills الذى يقيد الحريات المدنية ودعا الشعب إلى التظاهر السلمى وترك اللجوء إلى العنف. وإثر مجزرة امريتسار التى أسفرت عن مقتل ٤٠٠ وجرح أكثر من ٢٠٠٠ من المدنيين الهنود أعلن غاندى عام ١٩٢٠ اعتماد سياسة ساتياغراها Satyagraha أو سياسة اللاعنف في مقاومة الاحتلال، وحدد غاندى معالم هذه السياسة فى:

- ترك التعاون مع سلطات الاحتلال فى إدارتها واستغلالها للبلاد.

- رفض الألقاب والمناصب التى تخلعها بريطانيا على الهنود.

- مقاطعة شاملة للبضائع البريطانية.

- مقاطعة الخدمة العسكرية وترك دفع الضرائب ومقاطعة المحاكم البريطانية. ودعا

غاندى إلى استخدام المغازل اليدوية لتأمين اللباس، وإلى التحكيم الأهلى بدلا من المحاكم البريطانية، كما دعا إلى تعزيز اقتصاد القرية لتأمين الحاجات الضرورية.

فى عام ١٩٢٧ أرسلت بريطانيا بعثة برئاسة جون سيمون J. Simin للمفاوضة حول الدستور الهندى الجديد. رفض غاندى الاشتراك فى المفاوضات ودعا إلى مقاطعة البعثة بترك الخروج إلى الشوارع طوال وجودها فى الهند، وبالفعل رجعت البعثة خائبة من دون أى نتيجة.

فى عام ١٩٣٠ نظم غاندى مسيرة كبيرة من مدينة سابرماتى أشرام Sabarmati Ashram حتى مدينة داندى Dandi تحدياً للقانون البريطانى الذى حرم السكان المحليين من إنتاج الملح وحصره بالبريطانيين وفرض ضرائب عالية على بيه. وقد قطعت المسيرة ٢٤٠ ميلاً (نحو ٣٨٠ كم) على الأقدام وانضم إليها مئات الآلاف من سكان القرى والمدن. وقد أدت هذه المسيرة إلى : انتشار اليقظة السياسة الوطنية فى الهند عامة، وانضمام الفلاحين والنساء إلى الحركة الوطنية.

وفى العام نفسه دعى غاندى مع عدد من قادة حزب المؤتمر إلى لندن للمشاركة فى مؤتمر مائدة مستديرة لوضع دستور جديد للهند، وعندما لمس مراوغة الجانب البريطانى فى المفاوضات قاطعها، وقفل راجعاً إلى الهند ليتابع كفاحه.

وفى سنة ١٩٣٣ أصدر غاندى أسبوعية باسم «هاريجان» Harijan (أبناء الله) بدلاً من مجلة «يونغ انديا» Yoing India (الهند الفتية). وفى العام نفسه صام ثلاثة أسابيع احتجاجاً على التبذ وترك اللمس الموجه ضد أفراد الطبقات الدنيا فى المجتمع الهندى، ثم قام بجولة فى أنحاء الهند دامت عشرة أشهر كرسها لوضع حد للتبذ وترك اللمس الموجه إلى أفراد الطبقات الدنيا فى جميع ولايات الهند، فعرضه ذلك لمضايقات المتعصين ومحاولات اغتيال عدة.

وفى أكتوبر ١٩٣٠ قاد غاندى حركة عصيان ومظاهرات على أثر عدّ الهند فى حال حرب ضد بلدان المحور، انتهت باعتقال آلاف المتظاهرين. وفى سنة ١٩٤٢

وصل الصراع مع الحكم الأجنبي إلى ذروته، ونظم حزب المؤتمر حركة تدعو البريطانيين إلى ترك الهند، وأطلق غاندى جملته الشهيرة «اتركوا الهند وأنتم أسباد»، فعمدت السلطات البريطانية إلى اعتقال غاندى مع عدد من زعماء المؤتمر، وما إن علمت جماهير الشعب الهنذى بالاعتقال حتى خرجت مظاهرات صاخبة فى جميع أنحاء الهند احتجاجاً واستنكاراً، قابلتها السلطات البريطانية بحملة قمع دموية ذهب ضحيتها عدد كبير من الهنود وفى مايو سنة ١٩٤٤ أطلق سراح غاندى بعد أن تدهورت صحته.

فى عام ١٩٤٦ جرت مفاوضات بين الحكومة العمالية البريطانية وقادة حزب المؤتمر حول استقلال الهند، وفى هذه الأثناء اندلعت فى البلاد اضطرابات طائفية طالب المسلمون فى أثنائها بإقامة دولة إسلامية مستقلة فى باكستان. ولم تفلح جهود غاندى فى إقناع محمد على جناح بالعدول عن هذا المشروع بالوقت الذى استطاع فيه نائب الملك فى الهند إقناع قادة حزب المؤتمر بالموافقة على مطلب المسلمين.

وقسمت الهند إلى دولتين مستقلتين: الهند وباكستان. ولكن غاندى أصر على رفض التقسيم ورفض المشاركة فى احتفالات الاستقلال. وانسحب من ميدان العمل السياسى وانصرف إلى عباداته. وفى الثلاثين من كانون الثانى، بينما كان متوجهاً إلى الصلاة أطلق عليه النار هندوسى متعصب وأرداه قتيلاً بدعوى أنه فتت تماسك الهند ووحدتها بمساندته الأديان والطوائف الأخرى.

ثقافته وأفكاره:

اطلع غاندى بعمق على الفلسفة الهندية القديمة وعلى الديانة البوذية. كما اطلع على الإنجيل، ولا سيما العهد الجديد. وقرأ ترجمة إنكليزية لمعانى القرآن الكريم. وتعرف مؤلفات الكاتب الروسى تولستوى. وقرأ رأس المال لماركس وعددًا من

مؤلفات لينين. كما اطلع على كتابات الأمريكي هنرى ثورو الذى اشتهر بمعارضته للحرب الأمريكية على المكسيك ، ودعوته إلى العيش فى الطبيعة بأقل قدر من الاستهلاك.

وقد شرح غاندى فلسفته وآراءه فى كتابه المعروف بـ «قصة تجاربي مع الحقيقة» وبرز فى فلسفته مبدآن أساسيان:

- ساتياغراها وهى كلمة سنسكريتية تعنى التمسك بالحق بقوة.

- أهيمسا Ahimsa ومعناها اللاعنف الإيجابى، وهى الفضيلة المثلى.

وعن ذلك يقول : «اللاعنف و أعظم القوى فى خدمة الجنس البشرى وأقوى سلاح ابتدعته عبقرية الإنسان». وعد اللاعنف هو التحرر من الخوف والسعى إلى العدالة.

منذ دعا غاندى إلى المساواة فى توزيع الحاجات المادية عن طريق وضع وسائل الإنتاج تحت سيطرة الشعوب.

وكان يدعو إلى الديمقراطية التى تعنى فى رأيه النظام الذى تتوافر فيه لأضعف الناس الفرص نفسها، التى تتوافر لغيره من الأقوياء.

رأيه فى الدين:

عد غاندى الدين ضرورياً للإنسان، لأنه يوفر له الطمأنينة الروحية. وجوهر الأديان واحد وجميعها يحتوى على عناصر من الحقيقة المطلقة. وأبدى إعجابه بالإسلام لأنه يدعو إلى التسامح والسلام والعدالة الاجتماعية.

ناضل غاندى من أجل تحرير المرأة ومساواتها بالرجل. كما عمل من أجل إلغاء طبقة المنبوذين وإلغاء الامتيازات الطبقية.

أحمد عرابى باشا

طابط فى الجيش المصرى، زعيم ثورة عسكرية سميت باسمه، ولد فى قرية هريّة رزّة على بعد ميلين شرقى الزقازيق عام ١٨٤١م وكانت عشيرته تؤلف ربع سكانها، وكان والده عالماً فاضلاً تقياً، شيخاً على القرية وملاكاً كبيراً.

تلقى عرابى على والده مبادئ القراءة والكتابة، ثم أرسله عندما بلغ الخامسة من عمره إلى مكتب إلى جانب الأزهر، مكث فيه فترة استظهر فيها القرآن الكريم، وتلقى دروس اللغة والفقه والتفسير، وفى عام ١٨٥٤ التحق بالعسكرية ورقى إلى رتبة ضابط سنة ١٨٥٨، وتدرج فى الرتب العسكرية حتى رتبة قائم مقام (عقيد) فى نهاية سنة ١٨٦٠، وبقي عرابى برتبته الأخيرة حتى عام ١٨٧٩ عندما رقاہ الخديوى توفيق إلى رتبة أميرلاى.

فى أيلول ١٨٧٩ كلف مصطفى رياض باشا بتشكيل الوزارة بعد أن قدم شريف باشا استقالته لرفض الخديوى توفيق اقتراحاته بإصدار الدستور وإشراف نواب الأمة على سير الأمور، مدعياً أن قنصلى إنكلترا وفرنسا لم يوافقا على إصدار الدستور.

إن استبدال وزارة موالية لإنكلترا بالوزارة الوطنية، وضعف شخصية الخديوى توفيق، وأعمال الوزارة نفسها التى استهلت عهدا بقمع الحريات وإغلاق الصحف، وفرض الرقابة على الصحف، وبيعها حصة مصر من أرباح القناة البالغة ١٥٪ بمبلغ يخس جداً (٧٠٠٠٠٠٠ جنيه) وتخصيصها نصف موارد الميزانية لسداد فوائد الديون، وإصدار مرسوم تعديل القرعة العسكرية فى تموز ١٨٨٠ الذى قصر به الترقى إلى رتبة ضابط على خريجي المدارس الحربية، ومنع ترقى الجنود إلى ضباط،

أبعد بعض الضباط الوطنيين أو خفضت درجتهم، ووضع ضباط شراكسة مكانهم، ذلك كله أدى إلى إثارة سخط المدنيين والعسكريين، وقرر عرابي وأصحابه تنظيم صفوفهم منشئين الحزب العسكرى الوطنى تحت شعار (مصر للمصريين)، وباع الضباط الوطنيون عرابى ليكون زعيماً لهم وتكلماً بلسانهم، فكتب عريضة بمطالبهم فى عزل عثمان رفقى وزير الجهادية والبحرية، وتشكيل مجلس نواب، وتعديل القوانين العسكرية فى العدل والمساواة، وزيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألفاً، وقدمت العريضة فى يناير ١٨٨١ إلى رياض باشا رئيس الوزارة، وبعد جدل حاد وعدهم بالنظر فى المطالب، لكنه أعطى الأوامر فى الوقت نفسه باعتقال كل من وقع العريضة وهم عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى، ولكن البكباشى (المقدم) محمد عبيد الذى كان يرباط فى قشلاق عابدين مؤلفاً الحرس الخديوى، استنفر جنوده واقتحم ديوان قصر النيل فى أول شباط ١٨٨١، ففر الضباط الشراكسة ومعهم عثمان رفقى، وأطلق سراح الضباط لثلاثة، ثم ساروا على رأس مظاهرة عسكرية إلى ميدان عابدين وأجيب مطالبهم، ونقل عرابى إلى القاهرة وكيلاً لوزارة الحربية، ورفع عدد الجيش، وافتتح مجلس النواب بانتخابات ديمقراطية وقدم الدستور الجديد للمجلس، لكن الإصلاح والاستقرار أزعجا إنكلترا وفرنسا فطلبوا من شريف باشا رئيس الوزارة بعد استقالة وزارة مصطفى رياض باشا ألا يخول مجلس النواب حق تقرير الميزانية، ووافق شريف باشا على تأجيل النظر بالميزانية، لكن المجلس رفض ذلك، وحصل انقسام، وتدخل الخديوى، واستقالت الوزارة، وشكلت وزارة جديدة فى فبراير ١٨٨٢ برئاسة محمود سامى البارودى، وكلف عرابى وزارة الحربية والبحرية، وتعد هذه الوزارة انتصاراً للحزب العسكرى الوطنى، لأن عرابى أصبح الحاكم المطلق فى شئون الجيش .

حيثما أبعده المجلس العسكرى - وبموافقة عرابى - كثيراً من الضباط الشراكسة والأتراك، انزعج الخديوى من ذلك، فقررت الوزارة دعوة مجلس النواب إلى النظر فى الخلاف، وانطلقت الشائعات بأن البارودى يرغب فى عزل الخديون وتنصيب نفسه، فاستعان الخديوى بقنصلى إنكلترا وفرنسا. وفى أيار وصل الأسطولان الإنكليزى والفرنسى إلى مياه الإسكندرية بحجة حماية الرعايا الأجانب، ووجهوا مذكرة إلى الخديوى توفيق بإقالة وزارة البارودى، وإبعاد عرابى وبعض رفاقه لضرب الحركة الوطنية. استقال البارودى احتجاجاً على قبول الخديوى استلام المذكرة. لكن الخديوى أبقى عرابى مسؤولاً عن وزارة الحربية تحت ضغط عدد من النواب وكبار الشخصيات والضباط ليطمئن الناس بالأمن ولحماية البلد، وأخبر السلطان العثمانى بالحال الحرجة فأرسل وفداً برئاسة مصطفى درويش إلى مصر.

رفض عرابى الإندار الإنكليزى بإيقاف تحصين الإسكندرية وعندما اتضح هدف إنكلتر فى احتلال مصر، سحبت فرنسا أسطولها، ودعت إلى عقد مؤتمر دولى فى الأستانة للنظر فى أحوال مصر، لكن من دون جدوى.

قصف الإنكليز الإسكندرية، ثم قاموا باحتلالها، ولكن بعد مقاومة بطولية انسحبت القوات المصرية، وصمدت فى كفر الدوار «جنوب الإسكندرية» وصدت القوات الإنكليزية فأعلن الخديوى توفيق الذى كان وبعض الموالين له فى الإسكندرية تحت حماية الأسطول الإنكليزى عزل عرابى ليضعف موقفه ومركزه، بيد أن عرابى تابع قيادته معلناً خيانة الخديوى.

اتجه الإنكليز إلى الإسماعيلية عبر قناة السويس، ثم براً نحو القاهرة، وجرت فى ١٨٨٣/٩/٣ معركة التل الكبير بين الإسماعيلية والقاهرة، غير المتكافئة وتراجع على

أثرها عرابى وقواته إلى القاهرة، حيث لاحقتهم القوات الإنكليزية ودخلتها في ١٤/٩/١٨٨٢.

اعتقل زعماء الثورة وعلى رأسهم عرابى، ومن زملائه عبد العال حلمى ومحمود سامى البارودى وعلى فهمى الديب وغيرهم، وحوكموا أمام محكمة عسكرية مصرية فى ديسمبر ١٨٨٢ بتهمة عصيان الخديوى وحكم عليهم بالإعدام، ثم استبدل بالنفى المؤبد، وصدر أمر فى ديسمبر ١٨٨٢ بمصادرة أملاكهم وأموالهم وحرمانهم من حق الامتلاك فى مصر، وجردوا من رتبهم وألقابهم وعلامات الشرف، التى كانوا حائزين عليها فى ٢٨/١٢/١٨٨١ نفى الجميع إلى جزيرة سيلان فى الهند وفى ٢٥/٥/١٩٠١ صدر عفو الخديوى عباس الثانى (١٨٩٣ - ١٩١٤م) عن عرابى، وعاد إلى مصر وبقي فيها حتى وفاته.

* * * *

سعد زغلول

سعد بن إبراهيم زغلول زعيم الثورة الوطنية في مصر عام ١٩١٩م. ولد في قرية «إبيانة» محافظة كفر الشيخ، شمالي الدلتا عام ١٨٥٧م وهو أحد ثمانية أخوة، توفي أبوه وهو في الخامسة. حفظ القرآن الكريم ومبادئ الحساب في كتاب القرية، دخل الأزهر سنة ١٨٧٣م فمكث فيه نحو أربع سنوات، واتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى فلازمه مدة، ثم اتصل بالشيخ محمد عبده وعمل معه في تحرير جريدة «الوقائع» الرسمية آنذاك وفي سنة ١٨٨٢م عين في نظارة «وزارة» الداخلية وعمل فيها بصفة معاون، ثم ناظرًا لقلم القضايا بمديرية الجيزة، كان من أشد المعارضين للسياسة البريطانية في مصر، فشارك منذ بداية أمره في أحداث الثورة العرابية، وقبض عليه وحوكم بتهمة مناهضة الحكومة والمشاركة في جمعية سرية تعرف باسم «جمعية الانتقام» وزج به في السجن عدة أشهر، ثم أخلى سبيله بعد ثبوت براءته. اشتغل بالمحاماة فكان مثلاً أعلى للمشتغلين بها، وواته الظروف فالتحق بالقضاء وقتها ولم يأنف أن يعود إلى التلمذة من جديد، وجهد نفسه في تعلم الفرنسية ليتوجه إلى باريس وينال من جامعتها إجازة الحقوق، فصار وكيلًا ثم مستشارًا بمحكمة الاستئناف المصرية. ومع مطلع القرن العشرين نبه ذكره من خلال خطبه الشهيرة، وتزوج من صفية ابنة رئيس الوزراء مصطفى فهمى باشا، وفي سنة ١٩٠٦ استغل حادثة دنشواى ليندد مع غيره من أحرار مصر بالسياسة البريطانية وأساليها الخادعة والهادفة إلى تثبيت وجودها الإستعماري في مصر. وحين تأليف الحكومة برئاسة بطرس غالى عهد

إليه يمنصب ناظر المعارف العمومية ، فأمر بإنشاء الجامعة المصرية ومدرسة القضا الشرعى ، واستن تعليمات جديدة اشتملت على ترقية المصريين لمراتب أعلى كانوا محرومين منها، وفى سنة ١٩١٠م عين وزيراً للحقانية (العدل) فى وزارة محمى سعيد، وتفاقت خلافاته مع البريطانيين ومعهم الخديون عباس حلمى، فاستقال مر منصبه سنة ١٩١٢. وفى العام التالى أعلن عن تأليف الجمعية التشريعية فانتخب عضواً فيها، ثم وكيلاً منتخباً من قبل أعضائها، وكان له فيها من المواقف الوطنية مانبه الأمة إلى حقها فى الحرية والحياة الكريمة .

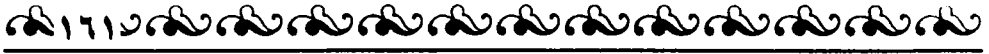
تبنت الجمعية دعوته إلى الديمقراطية لمواجهة الحكم الفردى المستبد والحد من طغيان سلطة الخديوى غير أن أعمال الجمعية تعطلت بسبب أحداث الحرب العالمية الأولى وتطبيق الأحكام العرفية فى مصر، بعد أن أعلنت بريطانيا فرض حمايتها عليها .

بدأت المرحلة النضالية فى حياة سعد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، حينما وجد أن مصر لم تنل ثمرة جهادها فى ضوء مبادئ ويلسون، وانطلق قلمه فى الكتابة ولسانه فى الخطابة، ليشير حمية الأمة للمطالبة باستقلال مصر، وحق المصريين فى تقرير المصير وجلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيها .

لاقت هذه الأهداف تأييداً مطلقاً من جانب الجماهير ، مما جعل سعداً يدعو إلى تأليف وفد لمقابلة المقيم البريطانى فى مصر السير وينغنت Sir Waunegent وتشكل الوفد برئاسة ، بعد أن انضم إليه عدد من الوطنيين - وغالبيتهم من أعضاء الجمعية التشريعية - وطلبوا من المقيم البريطانى السماح لهم بالذهاب إلى مؤتمر الصلح فى باريس ، لشرح وجهة النظر المصرية وحق المصريين الطبيعى فى الاستقلال ونيل

الحرية، بيد أن المقيم البريطاني رفض مطلبهم، وأوعز إلى قائد القوات البريطانية في مصر الجنرال ويلسون Wilson بإلقاء القبض عليهم وإرسالهم إلى جزيرة مالطا. وكان ذلك الوفد نواة الحزب الذي عرف بهذا الاسم «الوفد».

كان خبير اعتقال سعد وزملائه الشرارة التي أوقدت نار الثورة عام ١٩١٩، فقد هب المصريون بجميع طبقاتهم وطوائفهم مطالبين بالإفراج عن المعتقلين، وانتقلت الثورة من القاهرة لتشمل جميع مدن مصر، ونتج من المصادمات الدامية مع جيش الإحتلال مقتل وجرح عدد كبير من الأهالي الذين انتظم عدد كبير منهم في مجموعات قامت بحرق لمحطات وتخریب سكك الحديد وقطع أسلاك الهاتف، مما دفع الحكومة البريطانية إلى عزل الجنرال ويلسون وتعيين الجنرال السلبي E. D. Allenby الذي قام ببعض الإجراءات الصارمة، وأمر في الوقت نفسه، بعودة سعد ورفاقه من المنفى، وسمح لهم تحت الضغط الشعبي، بالسفر إلى باريس في أثناء انعقاد مؤتمر الصلح، وفي المؤتمر كان سعد متشدداً في مطالبه رافضاً قرار المؤتمر الذي أقر الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر، وعاد بوفده إلى مصر لقيادة الثورة، الأمر الذي ألبأ البريطانيين إلى إصدار تصريح ٢٢ فبراير ١٩٢٢ بعد أن عجزوا عن استماتته وحزبه، وجرى التمهيد بعدها لاعتقاله مرة ثانية وفيه مع خمسة من زملائه إلى جزيرة سيشل في المحيط الهندي، ثم إلى جبل طارق، وظل في منفاه حتى عام ١٩٢٣م، حين أفرج عنه وعاد إلى مصر، في الوقت الذي صدر فيه دستور عام ١٩٢٣م الذي قيد سلطات الملك أحمد فؤاد وحده من تجاوزاته، وبموجب هذا الدستور، شارك سعد في الانتخابات البرلمانية واكتسب حزية «الوفد» الأكثرية الساحقة، الأمر الذي أهله لتشكيل الحكومة المصرية، وبسبب مواقف الملك الرامية إلى



تعطيل الدستور أو إلغائه، والضغط البريطاني التي تعرضت لها الحكومة فى أعقاب اغتيال السردار «لى ستاك باشا» استقال من منصبه سنة ١٩٢٤م وحل مجلس النواب من جديد، وفى العام التالى ائتلف سعد مع قادة حزب الأحرار الدستوريين، وهم ممن انشقوا عن حزب الوفد، ضد الملك وأعوانه فأعيد انتخابه مجدداً رئيساً لمجلس النواب الائتلافى، واستمر فى منصبه حتى وافته المنية، ومنذ ذلك التاريخ تحول اسمه إلى رمز من رموز النهضة القومية فى مصر، وأقيم له ضريح على الطراز الفرعونى يضم رفاته ورفات زوجته، وتحول منزله الذى كان يعرف باسم «بيت الأمة» إلى متحف قومى.



سوى ون تى

إنه الإمبراطور الصينى سوى ون تى الذى نجح فى توحيد الصين بعد أن تمزقت عدة قرون. أما الصين التى وحدها فقد ظلت كذلك مئات السنين حتى أصبحت أقوى دولة فى آسيا كلها. وكان من نتيجة ذلك أن سكان الصين الذين يعادلون خمس سكان العالم، لم يتعرضوا كثيراً لويلات الحروب. كما تعرض سكان أوروبا والشرق الأوسط. وقد ولد هذا الإمبراطور فى سنة ٥٤١ من أسرة غنية وتولى قيادة الجيوش وهو فى الرابعة عشرة من عمره. وكان على درجة عالية من الكفاءة ولذلك ترقى بسرعة فى المناصب العسكرية. وفى سنة ٥٧٣ تزوجت أخته ولى العهد. وبعد خمس سنوات توفى الإمبراطور. وأصبح ولى العهد إمبراطور غير أن هذا الإمبراطور كان متخلفاً فى قواه العقلية مما أدى إلى صراعات عديدة فى البلاط وحول العرش. واستطاع سون ون تى أن يفوز فى هذا الصراع وأن يكون الإمبراطور الجديد، وكان وقتها فى الأربعين من عمره. ولم يشعر هذا الإمبراطور الجديد بالسعادة لأنه كان فقط إمبراطوراً على شمال الصين. ولذلك حشد قواته لكى يغزو بقية الصين ويخضعها له. وجاء الفوز سريعاً فى سنة ٥٨٨ وسرعان ما نجح. وبذلك أصبح إمبراطوراً لعموم الصين. وبسرعة أقام عاصمة للصين الموحدة، وشق قناة كبرى تربط بين أنهار الصين. ولم تكتمل هذه القناة إلا فى عصر ابنه الذى خلفه على العرش. ومن أهم آثار هذا الملك أنه جعل اختيار موظفى الحكومة بالامتحان. وقد أدى ذلك إلى اختيار أفضل العناصر فى الصين كلها كما أنه ابتدع نظاماً يحرم على الحاكم أن

يكون من أبناء نفس الإقليم، تفاعلياً لمحاباة أقاربه ومحاسبيه وحتى لا تكون لحاكم الإقليم أية عصبية تمكنه من ظلم الناس أو الانفرد بالسلطة والانفصال عن الحكومة المركزية. وكان هذا الإمبراطور شديد الحرص ولذلك تفادى الأبهة، وفي نفس الوقت خفف الأعباء الضريبية على الشعب.

كما كانت سياسته الخارجية ناجحة تماماً. وعلى الرغم من أنه كان إمبراطوراً قوياً فقد كان يخشى الناس ويسئ الظن بهم. وقد كان لزوجته دور كبير في مساندته. فقد كانت سيدة قوية متسلطة. ثم توفي في الثالثة والستين من عمره. ويقال إن ابنه هو الذي دس له السم، وكان هذا الابن من أحب الناس إلى أبيه! أما ما هي أهمية هذا الإمبراطور؟ فهذه الأهمية تظهر لنا بوضوح إذا نحن قارنا بينه وبين إمبراطور أوروبا عظيم هو شارلمان. هناك تشابه كبير بين الرجلين. فشارلمان بعد ثلاثة قرون من سقوط روما استطاع أن يوحد أوروبا الغربية. وكذلك فعل هذا الإمبراطور الصيني الذي وحد الصين بعد سقوط إمبراطورية هان، ولكن شارلمان أشهر الإباطرة في الغرب. ويعد سوى ون أتى أقواهم أثراً وأبعدهم نفوذاً. فقد استطاع أن يوحد الصين كلها بينما لم يفلح شارلمان أن يوحد أوروبا الغربية وإنجلترا وأسبانيا وإيطاليا.

ثم إن وحدة الصين عاشت طويلاً، بينما وحدة أوروبا لم تدم طويلاً بعد وفاة شارلمان. كما أن النهضة الثقافية قد عاشت طويلاً في الصين، بينما النهضة في أوروبا لم تعش طويلاً بعد شارلمان.

فهذا الإمبراطور الصيني كان له أعمق الأثر مدنياً وعسكرياً وحضارياً على الصين ولغات السنين.

عبد الحميد الثانى

آخر السلاطين العثمانيين الأقوياء والذى هاجمته وسائل الإعلام والسياسة الغربية، والبريطانية بالذات سُمى بـ (السلطان الأحمر) بسبب مذابح الأرمن. جاء إلى الحكم والدولة العثمانية فى أسوأ أحوالها والفساد ضارب فى أجهزتها والمطامع الاستعمارية تحيط بها. ورغم الدعاية الغربية ضده فى حياته وبعد مماته، فإنه يحسب له أنه خسر عرشه ثمناً (لفلسطين) التى رفض التنازل عنها والسماح بالهجرة اليهودية إليها بعد أن عرض عليه آنذاك (١٥٠) مليون ليرة إنجليزية ذهباً، رغم ضائفة تركيا المالية.

وقد تم تنصيبه فى حفل أسطورى حضره سفراء الدول الكبرى روسيا وإنجلترا وفرنسا، ولم يكن لأمريكا سفير بعد فكان ممثلها يقف إلى جانب ممثلى الدول الصغيرة. وفى الحفل، قلده زعيم الدراويش المولوية السيف الملكى، وهى العادة المتوارثة التى ألغاه أتاتورك فيما بعد. وأهم ما فى حكم عبد الحميد الثانى تصديه للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وهو ما لا تذكره المصادر الغربية: فقد أصدر قوانين للبلاد عام ١٨٨٢ لا تسمح لليهود بدخول فلسطين إلا للبحر، وفى عام ١٨٨٧ جعل القدس، سنجق مستقلاً عن ولاية دمشق، ومتصلاً بالباب العالى مباشرة حتى يمكنه السيطرة عليه ومنه بيع فلسطين، وحين اعترض سفراء الدول الكبرى، أوقف هجرة اليهود الروس الذين كانوا يتوافدون إلى فلسطين هرباً من اضطهاد القياصرة لهم، ثم منع اليهود الحاملين لجنسيات رومانية وبلغارية من دخول القدس عام ١٨٩٨ وولى على القدس «رءوف

باشا» الذى كان يطارد اليهود الذين كانوا يستحيلون على القانون الصادر عام ١٨٩٩ ،
والذى يقضى بتحديد إقامة الحج لليهود بثلاثة شهور فقط ، واستبدل جواز سفرهم
الدائم بجواز (أحمر) مؤقت ودفع (٥٠) ليرة تركية كتأمين لضمان مغادراتهم ، واحتج
سفير أمريكا الجديد وسفير إنجلترا بقوة !

واضطر عبد الحميد لمقابلة الصهيونى (تيودور هيرتسل) فى ١٧ مايو عام ١٩٠١ ،
بعد محاولات فاشلة وإيفاد وسطاء لإقناعه بفتح باب الهجرة بعد إعلان الحركة
الصهيونية رسمياً عام ١٨٩٧ .

واقترح هيرتسل تعويض السلطان مادياً بالليرات الذهبية الـ (١٥٠) مليوناً! ورد
السلطان بأنه لا يستطيع (بيع) فلسطين لأنه لا يمتلكها!

وقال إنه إذا قسمت الإمبراطورية سيحصلون على ما يريدون ولكن على (جثثنا)!!
وأجبر بعدها السلطان على التخلي عن العرش عام ١٩٠٨ . . ونفى إلى سالونيك
باليونان!! وتدفق اليهود على فلسطين بعد قيام الجمهورية التركية ونجاح حركة (تركيا
الفتاة) التى كانت تحاربه ، وساندتها الماسونية والصهيونية!!

عاش السلطان بين عامى ١٨٤٢ و ١٩١٨م!

* * * *

عبد القادر الجزائري

شريف ومناضل وعالم وفقه جزائري. من أحفاد الأدراسة، وعلى رأسهم إدريس الأصغر الذي شيد مدينة فاس بالمغرب والذين استمر حكمهم قرنين من الزمان، وكانوا يملكون مزرعة القيطنه في وادي الحمام، وهي مسقط رأس (الأمير) عبد القادر الجزائري!

وهناك تمت مبايعة والده محي الدين، الذي رفضها وسلمها لابنه في عام ١٨٣٢، فأسس دولة إسلامية، بها مؤسسات وجيش نظامي وكان يسيطر على ثلث القطر الجزائري حتى عام ١٨٤٣ ولقب باسم (أمير المؤمنين ناصر الدين) لأنه رفض لقب (ملك)!. .

والأمير عبد القادر ثائر، عرض عليه الفرنسيون المستعمرون لقب (نائب ملك فرنسا) ورفضه، فقد كان (سلطاناً) بمبايعة شعبية من جميع القبائل الكثيرة، حتى التي تمردت عليه سابقاً.

قاتل الأمير عبد القادر لمدة (١٧) عاماً منذ توليه الحكم حتى (١٨٤٧) وأوقف القتال بهدنة. بمعاهدتي «دى هيشيل» و «تافنه» وقرر الهجرة، حين اضطر لفتح جبهة جديدة مع جيرانه، فرفض سفك دماء العرب، وغدرت به فرنسا أثناء طريقه إلى عكا أو الإسكندرية بعد تعهداتها بسلامته، وتم اختطافه للتفاوض معه وإغرائه بتملك أراضي وقصور في فرنسا، ورفض.. وطلب الهجرة إلى دمشق التي كانت جزءاً من السلطنة العثمانية آنذاك فعاش فيها حراً مع عائلته، بعد أن قدم له نابليون



الثالث صك الإفراج عنه عام ١٨٥٣، معتذراً عن غدر الحكومة السابقة، على ألا يعود إلى الجزائر، مع الوعد بالأ يتم التنكيل بأعوانه وباقي قبيلته!

واستقبل في دمشق كالأبطال عام ١٨٥٥، وتابع جهاده بالكتابة، وحضر افتتاح قناة السويس بدعوة من الخديوي عام ١٨٦٩.

ودافع عن المسيحيين في دمشق حتى مات فيها عام ١٨٨٣ عن (٧٥) عاماً.

* * * *

عبد الكريم قاسم

عبد الكريم قاسم (١٩١٤ - ١٩٦٣م) رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع في العراق من ١٤/٧/١٩٥٨ إلى ٩/٢/١٩٦٣ حيث أصبح أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي كان عضواً في تنظيم الضباط الوطنيين «أو الأمراء» وقد رشح عام ١٩٥٧ رئيساً للجنة العليا للتنظيم الذي أسسه العميد رفعت الحاج سري الدين عام ١٩٤٩. ساهم مع قادة التنظيم بالتخطيط لحركة ١٤/٧/١٩٥٨ التي قام بتنفيذها زميله في التنظيم عبد السلام محمد عارف والتي أنهت الحكم الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية. هو عسكري عراقي عرف بوطنيته وحبه للطبقات الفقيرة التي كان ينتمى لها ومن أكثر الشخصيات التي حكمت العراق إثارة للجدل حيث عرف بعدم فسحه المجال للآخرين بالإسهام معه بالحكم واتهم من قبل خصومه السياسيين بالتفرد بالحكم حيث كان يسميه المقربون منه في وسائل الإعلام الزعيم الوحيد لم يكن في حكومة قاسم أى ممثل أو وزير مسيحي إن كان من الكلدان أو السريان أو الآشوريين أو الأرمن لكن تعلق هذا الرجل بالهوية العراقية ودفع مكانتها الجليلة على ما سواها من الانتماءات كانت تشعر الأقليات بأن حقوقها مصانة لا خوف عليها ولهذا كانت الصيغة العمومية للشعب هي الإخلاص والذود عن الحكم الجمهورى، فى الحقيقة تعزز دور الجيش بعد القضاء على الملكية فتزايد دوره فى مجريات الحياة فكان من وظائفه الرئيسية أيضاً مهمة تدبير الانقلاب وقمع الانتفاضات والتمردات القومية والدينية والاجتماعية مثبتاً قوته وتفوقه الساحق، وفى مسلسل الوصول إلى

القصر الجمهورى سلك البعثيون ومؤازرة الضباط ذوى الميول القومية وقوى قومية أخرى شتى الطرق لقد كانت محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم واحدة منها .

أكتوبر ١٩٥٩م انهال على سيارة «قاسم» فى منطقة رأس القرية وابل من نار الرشاشات أثناء مررها فى شارع الرشيد فى طريقها من وزارة الدفاع إلى حفل الاستقبال فى دار البعثة الدبلوماسية لألمانيا الشرقية فى الباب الشرقى قتل السائق وإصيب عبد الكريم قاسم فى كتفه الأيسر اشترك فى هذه المحاولة ستة أشخاص وهم أياذ سعيد ثابت وخالد على الصالح وأحمد طه العزوز وسليم عيسى الزبيق وعبد الحميد مرعى وسمير عزيز النجم وعبد الوهاب الغريرى أما الأعضاء المساندين لهم هم كل من صدام حسين التكريتى وعبد الكريم الشىخلى وحاتم العزاوى وقد أصيب الأولان بجروح واستطاعا الهروب إلى سوريا. حينما فشلت هذه المحاولة بالتخلص من قاسم بدأوا وبنسج خيوط محاولة انقلابية أوسع وأشمل.

كان الاتفاق على صباح يوم الجمعة ١٤ رمضان الموافق ٨ فبراير يوم تنفيذ الانقلاب باعتبار أن الجمعة هو يوم وجود الضباط فى الأجازات وهو يوم الاستراحة وتكون الشوارع خالية أو قليلة المرور.

فى حدود الساعة الثامنة من هذا اليوم وصل عبد السلام عارف إلى كتيبة الدبابات فى أبو غريب وانضم إلى العقيد أحمد حسن البكر واستقل كلاهما دبابة وضعها تحت تصرفهما أمر الكتيبة خالد مكى الهاشمى فعادت بهما إلى بغداد وتوجها إلى دار الإذاعة وكان ضباط من حرس الإذاعة مشاركين بالمؤامرة فسيطروا على الإذاعة وأبنيتها وأجهزتها الإذاعية. فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً اغتيل قائد القوة الجوية جلال الأوقاتى حسب الخطة وهذه اللحظة اعتبرت ساعة الصفر وفى هذه الأثناء قصفت

مدرجات معسكر الرشيد لمنع الطيارين الموالين لعبد الكريم قاسم من الطيران فى الساعة ٩, ٤٠ ق أذيع (بيان رقم ١) الصادر من المجلس الوطنى لقيادة الثورة بكلمات مفادها: قضى على «الطاغية» و «الخائن المجرم» عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع، وكان هذا ادعاء مخالفاً للحقيقة إذ أن عبد الكريم قاسم فى هذه الدقيقة كان فى بيته وخرج يشق طريقه وسط الحشود عبر شارع الرشيد وكانت الحشود التى كانت تطالبه بالسلاح وتنشد بإيقاع واحد «لازعيم إلا كريم» ونجح فى الوصول إلى وزارة الدفاع فى العاشرة والنصف صباحاً ورفض الزعيم حتى اللحظة الأخيرة من تسليم السلاح للمدافعين عنه من الجماهير المحتشدة.

فى ١١, ٣٠ كانت دبابات الانقلابيين تطوق وزارة الدفاع المتحصنة وكانت هذه الدبابات بدأت تحصد بحشود المدافعين التى دعاها الحزب الشيوعى للدفاع عن قيادة عبد الكريم قاسم. وفى ٣ بعد الظهر بدأت معركة قاسم من مقره فى وزارة الدفاع وفى هذه الأثناء أسقطت إحدى الطائرات المغيرة على تحصينات عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع وفى الساعة ٥, ٣٠ أعلن العقيد نصرت فى إعادة استباقى أن المقاومة توقفت لكن المعركة كانت مستمرة إلى اليوم التالى حيث تدهورت الأمور واتصل عبد الكريم قاسم بعبد السلام عارف فى مبنى الإذاعة عن طريق الهاتف. قاسم : عبد السلام انتصرتم وانتهى دورى وأنا أريد أن أرحل خارج العراق حقناً للدماء. أعطونى كلمة شرف.

عبد السلام: والله ياكريم ليس بيدى بل بيد الإخوان مجلس قيادة الثورة وهو الذى يقرر فلم يبق زعيم أوحد. قال قاسم: تذكر أنى حفظت لك حياتك وأنا قدمتك وغفرت لك كل ما قمت به تجاهى وتجاه البلد. . عبد السلام: هذا خارج الموضوع استسلم وسنحاكمك.

قاسم: ما هي شروطكم؟

تخرج من قاعة الشعب وترفع يديك وتسلم سلاحك وتزعر ربتك وشارات القيادة. وفي الساعة ١٢,٣٠ من بعد الظهر سلم عبد الكريم قاسم نفسه وكذلك فعل الضباط الذين اختاروا البقاء معه فأصعد قاسم وطه الشيخ أحمد إلى دبابة لوحدهما وأصعد قاسم الجنابي وفاضل المهداوي وكنعان خليل حداد إلى مدرعة واتجه الجميع إلى دار الإذاعة عند الساعة ١,٣٠ من بعد ظهر السبت ٩ فبراير اقتيد هو والمهداوي وطه وكنعان إلى استوديو التلفزيون وبلغوا بقرار المجلس الوطني لقيادة الثورة بإعدامهم رمياً بالرصاص واعتبرت المناقشة بينهم بمثابة محاكمة وعند تنفيذ الإعدام رفضوا وضع عصابة على أعينهم في منتصف الليلة التي قضى على حياة قاسم نقلت جثته إلى منطقة معامل الآجر الواقعة بين بغداد وبعقوبة وحفرت حفرة ووضع فيها بيزته العسكرية وأخفيت معالم الحفرة إخفاءً تاماً إلا أن أحد العمال شاهد ما جرى فاستعان برفاق ليحملوا الجثة وبدفنها في موضع ما بين المجمعات السكنية العمالية في المنطقة. ولم يبق الأمر سراً فبلغ سلطات الأمن التي قامت بإلقاء القبض على المشاركين وأحالتهم إلى المحاكم وقضت عليهم بأحكام ثقيلة ثم استخرجت الجثة ووضعت في غرارة أثقلت بكتل من الحديد الصلب وألقيت من فوق جسر ديالى في نقطه اتصال بغداد - سلمان باك.

ورغم هذا فهناك جدل وتضارب حول الإرث التاريخي لقاسم فالبعض يعتبره «نزياً وحريصاً على خدمة الشعب العراقي لم يكن يضع لشخصه وأقربائه أي اعتبار أو محسوبية أمام المسؤولية الوطنية» واتخاذ سياسة التسامح والعفو عن المتآمرين الذين تآمروا على الثورة «سياسة عفا الله عما سلف».

وأصدر الكثير من قرارات بإعفاء المحكوم عليهم بالإعدام ولم يوقع على أحكام إعدام بينما يعتبره البعض الآخر زعيماً عمل جاهداً للاستئثار بالسلطة وسعيه إلى تحجيم جميع الأحزاب الوطنية منها والقومية والأخرى التقدمية وإصداره لأحكام إعدام جائزة بحق زملائه من أعضاء تنظيم الضباط الوطنيين (أو الأحرار) كناظم الطبقة الجلى ورفعت الحاج سري وغيرهم كما يتهمه خصومه السياسيين بأنه أبعد العراق عن محيطه العربي من خلال قطع علاقاته الدبلوماسية مع أكثر من دولة عربية وانتهى به المطاف لسحب عضوية العراق من الجامعة العربية وكذلك يتهمه خصومه بأنه ابتعد عن الانتماء الإسلامي للعراق الإسلامي بالتقرب من الشيوعيين .

وارتكب المجازر في الموصل وكركوك وأعدم الكثير من خصومه السياسيين والعسكريين وقرب أفراد أسرته من الحكم وأسند لبعضهم المناصب ومنح البعض الآخر الصلاحيات كابن خالته المقدم فاضل المهداوى ذو الارتباطات الماركسية وأخيه الأكبر حامد قاسم الذى كان يلقب بالبرنس حامد وهو المشرف عن توزيع أراضى الإصلاح الزراعى للفلاحين والذى جمع أموالاً طائلة من هذه العملية إلا أن هناك نوع من الإجماع على شعبية قاسم بين تجمعات الطبقة المتوسطة والمدن والمناطق التى تقطنها الطبقات الفقيرة .

عز الدين بن عبد السلام

تمكن التتار من إسقاط الخلافة الإسلامية في بغداد عام ٦٥٦ هـ، وواصلوا غزوهم إلى الشام ومصر حاملين معهم الخراب والدمار، فهاجر إلى مصر والشام أعداد غفيرة من العلماء، وأصبحت هذه البلاد مركزاً للعلم حيث انتشرت فيها المساجد والمدارس، ووفد إليها طلاب العلم، من كل مكان ليدرسوا علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والتاريخ، إلى جانب الفلسفة والفلك والهندسة والرياضيات.. وغيرها.

وسط هذا الجو الذي يشجع على التعلم والدراسة، ولد بدمشق عام ٥٧٧ هـ.

(عز الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد السلام) ففتح عينيه على الحياة ليجد أسرته تعاني من الفقر وضيق العيش، ونشأ عز الدين على حب العلم، فسمع الحديث الشريف من العالم الجليل (فخر الدين بن عساكر) الذي اشتهر بعلمه وزهده، وتعلم على يد قاضي قضاة (دمشق) الشيخ (جمال الدين بن الحارثاني) وغيرهما من الأساتذة الكبار، حتى أصبح عالماً له مكانته المرموقة بين أساتذته.

وكان منصب الخطابة في الجامع الأموي (بدمشق) منصباً عظيماً لا يتولاه إلا كبار العلماء، فتولاه (عز الدين بن عبد السلام) فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصدع بكلمة الحق، ولم يكن يخشى في الله لومة لائم. فحارب كل بدعة، وأمات كل ضلالة، وكان يقول: (طوبى لمن تولى شيئاً من أمور المسلمين، فأعان على إماتة البدع وإحياء السنن).

وفى عام ٦٣٥ هـ ولاء السلطان الكامل الأيوبي قضاء دمشق، لكنه لم يستمر فيه طويلاً، بل تركه فى العام نفسه عندما تولى الحكم (الصالح إسماعيل) الذى كان على خلاف مع الشيخ عز الدين، لأن الملك الصالح تحالف مع الصليبيين، وأعطاهم بيت المقدس وطبرية وعسقلان، وسمح لهم بدخول دمشق، وترك لهم حرية الحركة فيها، وشراء السلاح منها، وفوق ذلك وعد الصليبيين بجزء من مصر إذا هم نصره على أخيه نجم الدين أيوب سلطان مصر، فلم يرض الشيخ عز الدين بهذا الوضع المهين، فهاجم السلطان فى خطبه من فوق منبر المسجد الأموى هجرماً عنيفاً وقطع الدعاء له فى خطب الجمعة، وأفتى بتحريم بيع السلاح للصليبيين أو التعاون معهم، ودعا المسلمين إلى الجهاد.

غضب السلطان الصالح إسماعيل، وأمر بعزل (عز الدين) من إمامة المسجد الأموى، ومنعه من الفتوى والاتصال بالناس، ولم يكتف بذلك، بل منعه من الخروج من بيته، فقرر عز الدين الهجرة من دمشق إلى مصر فلما خرج منها عام ٦٣٨ هـ ثار المسلمون فى دمشق لخروجه، فبعث إليه السلطان أحد وزرائه، فلحق به فى نابلس، وطلب منه العودة إلى دمشق، فرفض، فقال له الوزير: بينك وبين أن تعود إلى منصبك وإلى ما كنت عليه وزيادة أت تنكسر للسلطان، وتعتذر إليه وتقبل يده لا غير.

فقال عز الدين: والله يا مسكين، ما أرى أن يقبل السلطان يدي، فضلاً عن أن أقبل يده، يا قوم أنتم فى واد وأنا فى وادٍ. والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به، فقال له الوزير: قد أمرنى السلطان بذلك، فما أن تقبله، وإلا اعتقلتك فقال: افعلوا ما بدا لكم!!

واعتقله جنود السلطان فى نابلس، وظل فى محبسه، حتى جاءت جنود مصر وخلصته، وجاء الشيخ عز الدين إلى القاهرة عام ٦٣٩ هـ فرحب به (نجم الدين أيوب) سلطان مصر، وولاه منصب قاضى القضاة وخطيب مسجد عمرو بن العاص، واشتهر الشيخ بالعدالة فى القضاء والجرأة فى الحق، حتى أحبه الناس والتفوا حوله.

وقد حدثت له حادثة أثناء توليه القضاء تدل على شجاعته وعدله: فقد أفتى العز بن عبد السلام أن أمراء الممالىك حكام مصر فى ذلك الوقت مازالوا عبيدًا رقيقًا. وأنه يجب بيع هؤلاء الأمراء لصالح بيت مال المسلمين وذلك لتحريرهم من عبوديتهم وعتقهم بالطريق الشرعى، حتى يجوز لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار، فكانت هذه الفتوى ضربة قاضية لهم، حطمت كبرياءهم، وعظمت مصالحهم بل إنهم أصبحوا مصدرًا لسخرية الناس بعد أن قوى نفوذهم وزاد طغيانهم، وكثرت مظالمهم.

غضب الأمراء الممالىك غضبًا شديدًا، وقدموا شكوى إلى السلطان، وطالبوه بأن يقنع العز بن عبد السلام، بالعدول عن رأيه فتحدث معه السلطان فى ذلك، وطلب منه أن يتركهم وشأنهم فغضب عز الدين واستقال من منصب قاضى القضاة، وعزم على مغادرة مصر، فحمل أمتعته على حمار، وحمل أهله على حمار آخر، وسار خلفهم على قدميه خارجًا من القاهرة، وعندما علم الناس خرجوا وراءه فخاف السلطان من الثورة، وقال له أعوانه: متى خرج عز الدين من مصر ضاع ملكك!!

فركب السلطان بنفسه ولحق بالشيخ وطيب خاطره، لكنه لم يقبل أن يعود معه إلى القاهرة إلا بعد أن وافق السلطان على بيع الأمراء الممالىك فى مزاد علنى.

رجع الشيخ وأمر بأن ينادى على الأمراء فى المزاد، وكان من بين الذين سيباعون فى المزاد نائب السلطنة، فضغب واشتد غيظه، ورفض أن يساع كما تباع الماشية،

وصاح فى كبرياء: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفى.

ركب نائب السلطان فرسه وأخذ معه جماعة من الأمراء وذهبوا إلى بيت الشيخ يريدون قتله، وطرقوا الباب، فخرج ابن الشيخ فلما رآهم فزع ورجع إلى أبيه خائفًا يخبره بما رأى، ابتسم الشيخ فى وجهه، وقال له: يا ولدى أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله، ثم خرج إلى أمراء المماليك، فنظر إليهم نظرة عزة وأباء، وأطال النظر إلى نائب السلطان الذى كان شاهراً سيفه: فارتعدت مفاصل نائب السلطان وسقط السيف من يده، ثم بكى وسأل الشيخ أن يعفو عنه ويدعو له، وتم للشيخ ما أراد وباع الأمراء فى المزاد واحداً واحداً وغالى فى ثمنهم ثم صرفه فى وجوه الخير.

وكانت لسلطان العلماء (العز بن عبد السلام) مواقف إيمانية فى ميدان الجهاد ضد التتار أعداء الإسلام والمسلمين، وكان له دور فعال فى هذا الأمر، ولم يرض أن تتحمل جماهير الشعب وحدها نفقات الجهاد، وهو يعلم أن السلطان ورجاله لديهم أموال كثيرة فقال: إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألا يبقى فى بيت المال شىء، وأن يؤخذ كل ما لدى السلطان والأمراء من أموال وذهب وجواهر وحلى، ويبقى لكل الجند سلاحه، وما يركبه ليحارب عليه ويتساووا هم والعامّة، وأما أخذ أموال الناس مع بقاء ما فى أيدي الجند من الأموال، فلا.

وقد اشترك الشيخ (عز الدين) بنفسه فى الجهاد المسلح ضد العدو، وكان دائماً يحرض السلطان (قطز) على حرب التتار حتى كتب الله له النصر فى (عين جالوت) عام ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م وكان العز بن عبد السلام شجاعاً مقداماً، فقد ذهب ذات

مرة إلى السلطان فى يوم عيد إلى القلعة، فشاهد الأمراء والخدم والحشم يقبلون الأرض أمام السلطان، وشاهد الجند صفوفًا أمامه، ورأى الأبهة والعظمة تحيط به من كل جانب، فتقدم الشيخ إلى السلطان. وناداه باسمه مجردًا، وقال: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذ قال لك: ألم أبؤى لك مصر، ثم تبيع الخمر؟

فقال السلطان نجم الدين أيوب: هل جرى هذا؟

قال الشيخ: نعم تباع الخمر فى الحانات وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة، وأخذ الشيخ يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون.

فقال السلطان: يا سيدى هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبى.

فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة.

فأصدر السلطان أوامره بإغلاق تلك الحانات، ومنع تلك المفاسد، وشاع الخبر بين جمهور المسلمين وأهل القاهرة، فسأل أحد تلاميذ الشيخ عن السبب الذى جعله ينصح السلطان أمام خدمه وعساكره فى مثل هذا اليوم الكريم

فقال الشيخ: يا بنى، رأيت السلطان فى تلك العظمة، فأردت أن أذكره لثلاث تكبير

عليه نفسه فتؤذيه... قال التلميذ: أما خفته؟

قال عز الدين: والله يا بنى، استحضرت هيبة الله تعالى فلم أخف منه.

وكان العز بن عبد السلام رغم فقره كريمًا كثير الصدقات، فيحكى أنه لما كان بدمشق وحدثت ضائقة، وعانى الناس من قلة المال، وانخفضت أسعار البساتين فأعطته زوجته مصاغها، وقالت: اشتر لنا بقيمته بستانا نصيف فيه، فأخذ المصاغ وباعه وتصدق بثمنه، فسألته زوجته: هل اشتريت لنا بستانًا؟

قال: نعم، بستاناً فى الجنة، إنى وجدت الناس فى شدة فتصدقت بشمنه ، فقالت:
جزاك الله خيراً.

وعاش الشيخ عز الدين ٨٣ عاماً يدعو إلى الله ويجاهد فى سبيله، يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر إلى أن توفى عام ٦٦٠ هـ. فخرج الرجال والنساء والشباب
والأطفال يودعون سلطان العلماء، وصلى عليه سلطان مصر والشام فى ذلك الوقت
الظاهر (بيبرس).

وقد أشاد العلماء والمؤرخون حتى أطلق عليه تلميذه شيخ الإسلام. تقى الدين بن
دقيق العيد لقب (سلطان العلماء).

رحم الله العز بن عبد السلام رمز العزة والإباء.

* * * *

عمر المختار

عمر بن مختار بن عمر ، أشهر مجاهدى طرابلس الغرب فى حربهم مع المستعمرين الإيطاليين، من قبيلة المنفة (من قبائل بادية برقة) ولد عام ١٨٦٢م. توفى والده فى طريقه إلى الحج، وعادت والدته عائشة لتعتنى بولديها عمر ومحمد اللذين يقيمان ويدرسان فى زنور، فعاش عمر يتيمًا.

ذهب عمر إلى زاوية الجغبوب لمتابعة دراسته فى العلوم الدينية واللغوية، فمكث فيها ثمانية أعوام، وقد أحبه شيوخ السنوسية وزعمائها لصفاته الخلقية السامية إذ ظهرت عليه علامات الشدة والصراحة، وتبين للقادة السنوسيين نجابته وقوة مراسه، فاصطحبه السيد محمد المهدي السنوسى معه عند انتقاله من واحة الجغبوب إلى الكفرة عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م.

وفى عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م عينه السيد المهدي شيخًا لزاوية القصور بالجبل الأخضر قريبًا من المرج. وكان يقطن فى هذه الزاوية وحولها قبيلة العبيد، وهم أناس عرفوا بشدة المراس وقوة الشكيمة. وقد اختاره السيد المهدي لهذه الزاوية حتى يسوس شؤونهم باللين تارة وبالعنف تارة أخرى، وحقق المختار ما عقده السيد المهدي على إدارته الحازمة من آمال.

كانت طرابلس الغرب إحدى ولايات السلطنة العثمانية، وتقع غرب مصر وتفصلها عن ولايات تونس والجزائر.

ولما كانت السلطنة العثمانية تقاوم العداء الأجنبي الأوروبي وتتصدى لمشروعاته التوسعية في بلاد المسلمين شجعت الحركات الإصلاحية التي قامت في كل منطقة والتي كان منها الحركة السنوسية في شمال إفريقيا التي استقرت في طرابلس الغرب بصورة رئيسية .

وكانت إيطاليا تطمح ليكون لها حصة في اقتسام أراضي السلطنة العثمانية ولذلك قطعت علاقتها بالدولة العثمانية فجأة، وأعلنت الحرب عليها عام ١٣٢٩هـ / أواخر سبتمبر ١٩١١م، ثم أطلق أسطولهم قذائفه على موانئ طرابلس وبرقة في ٣ / ١٠ / ١٩١١م وأعلنت إيطاليا في ٦ / ١١ / ١٩١١م وضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الإيطالية واستقدموا الجنود من مستعمرة أريتريا ومن الحبشة ثم احتلوا المدن الأخرى الرئيسية وبدأت المقاومة التي استمرت مدة ثلاثين عاماً وقد شارك فيها السنوسيون ومتطوعون من العالم الإسلامي لإنقاذ قطر عربي من دولة الخلافة الإسلامية .

وكان عمر المختار في مقدمة الذين خفوا إلى مشاركة الجيش العثماني والالتحام مع العدو في برقة حتى جاء القائد العثماني أنور إلى بنغازي ليقود حركة المقاومة العثمانية الرسمية والشعبية ضد الاحتلال الإيطالي والتي شارك فيها متطوعون مسلمون من مختلف البلاد الإسلامية وخاصة بلاد الشام ومصر .

وعندما توسع الإيطاليون في الداخل كان عمر المختار يتنقل من منطقة إلى أخرى وفي عام ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣م قاد المختار المجاهدين إلى معسكرات جبل العبيد، وفي عام ١٣٤١ خـ / ١٩٢٢م أسهم في تأليف جبهة متحدة من البرقاويين والطرابلسيين من أجل القتال ضد إيطاليا ولما قرر السيد إدريس مبارحة برقة واللجوء إلى مصر عهد

بقيادة المجاهدين العليا إلى السيد عمر المختار فجعل مقره في الجبل الأخضر إلى وقت استشهاده بعد عشرة أعوام تقريباً.

مدت إيطاليا الأسلاك الشائكة على طول الحدود مع مصر من البحر حتى واحة الجغبوب جنوباً مع إقامة مراكز مسلحة للمراقبة، فأدى ذلك إلى انقطاع الإمدادات عن عمر المختار في الجبل الأخضر. ومع ذلك استمر المجاهدون في جهادهم ضد الاحتلال الإيطالي، وفي يوم ٢٦ ربيع الثاني ١٣٥٠ هـ / ١١ / ٩ / ١٩٣١ م، وعلى إثر معركة غير متكافئة وبصورة مفاجئة وقع عمر المختار أسيراً بعد أن أصيب حصانه ووقع فوقه وجرحت يده ولم يتمكن رفاقه من مساعدته، فتكاثر عليه جنود الأعداء وأسروه، ونقل الأسير إلى مدينة بنغازي، وأقيمت له محاكمة عسكرية شكلية وسريعة في محكمة خاصة سميت (محكمة طيارة أي سريعة) وذلك بعد أربعة أيام من الأسر. وكان المترجم يهودياً اسمه لمبروزو وهو من الحاضرين في الجلسة، وأصدرت المحكمة حكمها بالإعدام ولم يراعوا كبر سنه وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

وكان المختار قد أكد لأسريه أن وقوعه في الأسر لا يضعف شيئاً من حدة المقاومة وستتقل القيادة إلى غيره. ولما حاول القائد الإيطالي غراتسياني إقناع عمر المختار. يتوقع نداء للمجاهدين للكف عن القتال رفض ذلك لأنه لا يرضى ضميره، ولأن المجاهدين لن يصدقوا صدور مثل هذا النداء عنه كما قال.

وكان الإيطاليون قد جهزوا المشنقة قبل بدء المحاكمة، وفور انتهاء المحاكمة الشكلية نفذ الإيطاليون الإعدام شنقاً في عمر المختار الشيخ المجاهد في اليوم الثاني وهو (الأربعاء ١ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ / ١٦ / ٩ / ١٩٣١ م) في ميدان سلوق في

برقة، وأمام الآلاف من الناس الذين أجبروا على الحضور وشاهدوه وهو يردد كلمة الشهادة. ودفن في مقبرة سيدى أعبيد بالصابرى. وكان ما فعله الإيطاليون دليلاً على وحشيتهم وإثباتاً للشهادة في سبيل الله التي حصل عليها عمر المختار الشيخ المؤمن المجاهد.

نزل الإيطاليون في طرابلس سنة ١٣٢٩ خ / ١٩١١م وغادروها مهزومين عام ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣م. وكانوا يعلنون أنهم يريدون إعادة الإمبراطورية الرومانية. وفي أثناء ذلك ارتكبوا الفظائع المختلفة من قتل وتعذيب وهتك أعراض النساء وبقر بطون الحوامل وسجن ونفى ومصادرة أراضي وأملاك وهدم البيوت وحرق الأحياء السكنية، كما حاربوا المسلمين في عقائدهم فهدموا المساجد وأهانوا الإسلام ومنعوا الأهالي من إقامة شعائرتهم. ودخل جنودهم المساجد وهم سكارى ومنعوا أداء فريضة الحج وأهانوا المصاحف وداس عليها بعضهم أمام الأهالي وقال: «إنكم معشر المسلمين لا يمكن أن تصيروا بشراً ما دام هذا الكتاب بين أيديكم» وألزموا خطباء الجمعة بالدعاء لملك إيطاليا، وعملوا على القضاء على اللغة العربية فأغلقت الكتاتيب، ونشروا دور الدعارة وجعلوا الأضرحة والمساجد اصطبلات لدوابهم، وشجعوا بعثات التبشير الإيطالية لإرغام النساء على التنصر والزواج من الطليان ومحاولة تنصير الأطفال في المدارس وأمور كثيرة. وأنشؤوا كثيراً من الكنائس مع عدم وجود مسيحي واحد، وقد استمرت هذه الفظائع منذ بداية الاحتلال وزادت لمقاومة ثورة الشعب بقيادة عمر المختار والسنوسيين.

بعد نجاح الإيطاليين في إعدام الشيخ المجاهد عمر المختار قائد المجاهدين في عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١م، اطمأنت الإمبراطورية الإيطالية إلى سلطانها ودانت لها المناطق

الليبية حتى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٢ م. وكان الناس يعانون فيها اليأس والقنوط، فأمير البلاد فى مهجره بمصر، وأهل الحل والعقد بعيدون ومتفزيون، وهلك نصف الشعب أو أكثر، والباقون مستضعفون وبدأ قائد إيطالى آخر بتزع الأراضى وتسليمها إلى الطليان وتحويل سكان ليبيا إلى خدم وعبيد لهم.

فى أيلول ١٣٥٩ هـ ١٩٣٩ م بدأت الحرب العالمية الثانية، وبعد أن انهارت فرنسا أعلنت إيطاليا الحرب على إنكلترا وفرنسا فى ١٠/٦/١٩٤٠ م بقيادة زعيمها موسوليني إلى جانب ألمانيا، وكانت الهزيمة إذ إنه فى نهاية يوم ٧/٢/١٩٤٢ م أخلت جيوش رومل المنهزمة بلاد طرابلس بأجمعها. وعادت البلاد إلى قيادة السنوسيين وصار اسم عمر الختار الشهيد عالياً ورمزاً للجهاد ضد العدوان الأجنبى وأحقاده.

* * * *

فوزى القاوقجي

ثائر وطنى ومناضل عسكري أمضى حياته فى مقاومة الاستعمار البريطانى والفرنسى فى الوطن العربى، وحارب ضد المشروع الصهيونى فى فلسطين.

هو ضابط سورى ولد فى طرابلس (لبنان اليوم) عام ١٨٩٠ قبل أن تفصل الحدود بين سوريا ولبنان وبلاد الشام، درس فى المدرسة الحربية فى الأستانة العاصمة العثمانية وهى إستانبول اليوم وتخرج ضابطاً فى سلاح الخيالة العثمانى عام ١٩١٢.

عرف بقدرته على التفاهم مع القبائل العربية، وكان بفروسيته ودهائه يرد للقبيلة ما نهته القبيلة الأخرى فى غاراتها عليها، وكانت الغارات أمراً شائعاً ومشروعاً، شارك فى المعارك ضد البريطانيين فى الحرب العالمية الأولى، وانتقل إلى فلسطين عام ١٩١٦ أثناء الحرب، واستمر فى ولائه للعثمانيين برغم كرهه لتسلطهم على العرب، لأنهم كما قال: «أفضل للعرب على أية حال من المشاريع الاستعمارية البريطانية والفرنسية» التى تزعم مساعدة قادة الثورة العربية الكبرى والشريف حسين ضد العثمانيين، بينما (تضمّر مشاريع الاستعمار والاحتلال) كما جاء فى مذكراته.

تعرف على أطماع بريطانيا حين عمل فى ديوان الشورى الحربى فى عهد الملك فيصل بالعراق، وعلى أطماع فرنسا فى سوريا ولبنان حين عمل أمراً لسرية الخيالة فى حماة بسوريا، ولكسب ثقة الفرنسيين ومعرفة مؤامراتهم عمل معاوناً للمستشار الفرنسى، بينما كان يعد سراً للثورة ضدهم، والتى أطلقها عام ١٩٢٥ وعرفت بالثورة السورية الكبرى، وبدأها فى الغوطة بدمشق واضطر للانسحاب فغادرها إلى الأردن

ثم إلى القدس فتركيا ثم إلى القاهرة التي تركها بعد خلافات حادة بين الزعماء، وارتحل إلى السعودية حيث كون هناك جيشاً سعودياً نظامياً بناء على طلب الأمير السعودي فيصل بن عبد العزيز، والتحق القاوقجي بخدمة الملك عبد العزيز، وعاد إلى العراق عام ١٩٣٢، لكن أحداث فلسطين كانت قد بدأت تغلى في مواجهة اليهود والإنجليز ووصل إلى فلسطين سرّاً مع كتيبة من المتطوعين العرب عام ١٩٣٦، عام الثورة الفلسطينية وخاض معها عدة معارك وانسحب بعد الهزيمة، وعاد بالكتيبة العراقية إلى العراق، لكن حكومة (بكر صديق) نفته إلى كركوك استجابة لبريطانيا وللحكومة التركية التي احتجت على مواقفه الثائرة ضد ضم لواء الإسكندرونة السوري لتركيا، وبعد مقتل صدقي عاد القاوقجي للعراق لمساندة ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١، وأصيب في المعارك ونقل سرّاً إلى مستشفى بدير الزور في سوريا، وحين نقل إلى برلين كانت الحرب العالمية الثانية في عز اشتعالها، فحاول الألمان مساومته على الحرب في صفوفهم مع تركيا ضد الإنجليز والحلفاء، فطلب بالمقابل الاعتراف بحق العرب في الاستقلال، لكنهم راوغوه فرفض عرضهم، ومات ابنه واتهم المخابرات الألمانية بقتله، بعد هزيمة ألمانيا اعتقل من قبل السوفييت الذين دخلوا برلين وغادوها إلى باريس بعد الإفراج عنه ثم إلى مسقط رأسه في طرابلس، وقوبل بترحاب شعبي ورسمي عارم.

لكن مشادة دبرها الفرنسيون بين عائلتين سياسيتين في لبنان لكى يقتل أثناءها، ولكن لم يحدث، وفي عام ١٩٤٧ كلفته الجامعة العربية بتولى قيادة جيش الإنقاذ للدفاع عن فلسطين في ظروف شديدة الصعوبة، وخاض معارك شرسة مع القوات الصهيونية التي كانت تساعدها القوات البريطانية، وكان أهمها معركة المالكية، وأقام مقر قيادته في سفوح جبال نابلس وجنين.

وحين أحس بتفارق العرب واختلافهم حول هذه القضية المصيرية أدرك أن كل ما يفعله غير مجدٍ، فقدم استقالته لأمين الجامعة العربية (د. عبد الرحمن عزام) بعد أن أخفق في إيقاف سقوط المدن الفلسطينية وحده، وقال في تقريره للجامعة: (إن مستوى تدريب المتطوعين أدنى من المتوسط، وقدرتهم القتالية ضعيفة ونوعية السلاح رديئة).

انتقل إلى دمشق بعد توقيع الهدنة، وعاش في عزلة نفسية مريرة وظروف مادية قاسية، حتى توفي عام ١٩٧٧ وعمره ٨٧ سنة دون أن يهتم به أحد. لكنه الآن وبعد هذه السنين يوجد القاوقجي على مئات من المواقع على الإنترنت وبخاصة المواقع الألمانية والإنجليزية.

كتب فوزى القاوقجي مذكراته التي كانت تشتعل وطنية ومرارة على ضياع فلسطين واعتبر استعمار شرق الأردن ضياعاً سيفكك الأجزاء العربية عن بعضها البعض، وسيصعب بذلك تأمين وحدة بين العرب سواء سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية!!

فقير إيبى

مناضل باشتونى دوخ الإمبراطورية البريطانية العظمى فى منطقة القبائل شمال غرب باكستان وشرق أفغانستان المعروفة باسم وزيرستان، واسمه الحقيقى (ميرزا على خان)، وكان أتباعه ينادونه بـ (حاجى صاحب) تكريماً له، وهو وصف يطلق على من حج البيت الحرام، لا يعرف زمن مولده على وجه الدقة، ويرجح أنه بين عامى ١٨٩٢ و ١٨٩٧ فى البنجال فى قبيلة شانكاى خايل شمال وزيرستان كما تقول بعض المصادر.

كان أبوه رجلاً متديناً يسمى (أرصالاخان). التحق ميرزا على خان بالمدارس الدينية الواقعة على الجانب الآخر من مناطق السيطرة البريطانية فى مكان بالقرب من جلال آباد فى أفغانستان اليوم، أصبح (مريداً) - وهى رتبة فى التعليم الدينى الصوفى- لنقيب العلماء (شاهارباغ) وكان آنذاك أشهر وأكبر زعيم دينى فى أفغانستان وأكثرهم نفوذاً.

فى عام ١٩٢٣ حج ميرزا الذى أصبح اسمه (الفقير) وهى رتبة أعلى، ولما عاد استقر فى قرية إيبى وعرف باسمها (فقير إيبى)، ورابط بالقرب من الجيش البريطانى فى طريق يربط بين بانو وبين راجمك وذاع صيته كولى له كرامات، لم يلفت انتباه البريطانيين حتى كان مارس من عام ١٩٢٣ الذى سجل تحولاً فى حياته بسبب فتاة عرفت باسم (بيبي إسلام) واسمها الحقيقى رام كورى، وعمرها ١٥ سنة وهى هندوسية زفت إلى مدرس باشتونى مسلم، واتهم الحاكم المحلى والسلطات البريطانية

المدرس المسلم بخطفها وإغوائها، حدثت مواجهات عنيفة حتى كان اليوم التالي حيث حملت الفتاة أمام مجلس (الجرجا) من كلا الطرفين المتخاصمين وأقرت بنفسها أنها هي التي لجأت إلى المدرس للزواج منه برغبتها .

لكن المدرس لم يستطع إثبات شرعية زواجها فسجن عامين، أثار الحادث غضب المسلمين لتدخل البريطانيين فيه خاصة من قبيلة إيبي التي يربط فيها الشيخ الفقير، فصمم على تشكيل متطوعين لمقاومة البريطانيين وإخراجهم .

بدأ نصب الكمائن لهم وقطع الطرق عليهم، فأرسل البريطانيون قواتهم المسلحة تسليحًا حديثًا وبالتقنية العالية من مدافع وطائرات وأسلحة نارية، وقيل إنه تجمع حوالى ٤٠ ألفًا من جنودهم، بينما كان هو يقاتل بأقل من ألف رجل وبأسلحة بدائية وبنادق تقليدية ومدفع قديم، وكانوا يهدمون البيوت على أصحابها، وكان بيته منها، كما يقتلون ويعتقلون، ولم يتمكنوا من هزيمته، فكان صراعًا جبارًا بحق ، حاول الألمان والإيطاليون استقطابه معهم ضد البريطانيين فى الحرب العالمية الثانية، لكن دخول الاتحاد السوفييتى الحرب حال دون تغلغل الألمان فى منطقة القبائل، وفى نوفمبر من عام ١٩٥٤ استسلم القائد ميهار لحاكم بانومما جعل وزيرستان تقع فى قبضة الحاكم وأعلنت تابعة لباكستان، ظل يقاوم حتى بعد تشكيل دولة باكستان وانسحاب بريطانيا، فقد رفض تبعية وزيرستان لباكستان .

مات عام ١٩٦٠ مريضاً بالربو حتى لم يكن يستطيع الحركة فى أواخر أيامه، لكنه ظل رمزاً حتى فى الكتب البريطانية والموسوعات، وحين توفى كتبت مجلة التايم الأمريكية فى ٢٠ أبريل من عام ١٩٦٠ تصفه بأنه (كان خصمًا شريفًا)، وأنه كان (رجل مبادئ وكريمًا وله عقلية شديدة التنظيم).

لا لا فاطمة نسومر

مناضلة جزائرية بربرية، أطلق عليها الفرنسيون لقب (جان دارك جُرْجُره) نسبة إلى الجبال التي تحارب فيها، ألحقت بالفرنسيين هزائم عديدة هي «فاطمة بنت سيد أحمد» ولدت عام ١٨٣٠م في منطقة القبائل الجبلية شرق الجزائر (لا لا تعنى السيدة). كان والدها «سيدي محمد بن عيسى» شيخ الطريقة الرحمانية الصوفية، وكان لها أربعة أخوة. زوّجها أبوها وعمرها ١٦ سنة من رجل لم ترصّ به، وقيل أنها ادعت الجنون ليله زفافها مما اضطره لإعادتها إلى بيت أبيها، ويروى أنها لم تطلق منه حتى مماتها.

أعتكفت بعدها للعبادة وتعلم الدين، وتولت شؤون الزاوية الرحمانية بعد وفاة أبيها، لكنها فضلت الرحيل إلى قرية نسومر حيث يقيم أخوها الأكبر سيدي الطاهر الذي كان عارفاً بالعلوم الدينية والدينية، فتعلمت على يديه وانتسبت باسمها للقرية، ذاع صيتها في منطقة القبائل لكنها لم تنقطع عن متابعة أخبار المحتل الفرنسي وتوغله في بلاد الجزائر، حتى وصل لمنطقة القبائل واحتل العاصمة البربرية «تيزي أوزو» عام ١٨٤٥م واتخذها قاعدة له لينطلق إلى باقي القرى، فانضمت «لا لا فاطمة» للمقاومة، وشاركت الشريف بو بغلة (محمد بن عبد الله) للدفاع عن جبال جرجرة، وتصدت للفرنسيين وقطعت عليهم طرق الإمدادات التي تعرفها جيداً لكن قواتهما كانت أضعف من قوات الفرنسيين وأقل تجهيزاً وعدداً.

انضم إليها قادة (العروش) وهم زعماء القبائل بعد أن بلغهم حاجات لمشاركتهم، كما وقف معها شيوخ الزوايا الذين حبذوا المريدين والمتطوعين من كل مكان، فقادت

المقاومة فى الجبال الوعرة واتجهوا ناحية (واضية) وواجهوا الفرنسيين الذين كانوا بقيادة ماك ماهون ومعهم الأغا الجزائرى (الحاكم هناك) وهزمتهم (لا لا فاطمة) بعد أن قتلت بيدها الأغا الجودى وأنقذت شريكها فى المعركة (بو بغلة) بعد إصابته، وكان عدد القتلى بين الفرنسيين ٨٠٠ جندياً بينهم ٢٥ ضابطاً، عاود الفرنسيون القتال والهجوم وأقاموا المعسكرات وتوغلوا فواجهتهم (لا لا فاطمة) من جديد، وانتصرت فى مواقع عديدة مما اضطرهم لطلب النجدة أكثر من مرة، ولم تستطع (لا لا فاطمة) الاستمرار أمام الجيش الفرنسى المجهز بالإمدادات السريعة الحديثة، فاضطرت إلى الانسحاب للحفاظ على المقاتلين معها من الإبادة على يد الفرنسيين، جمعت قواتها البالغ عددها ٧ آلاف مقاتل، وعملت على قطع الطرق فى الجبال لضرب مؤخرات الجيش الفرنسى لكنها لم تستطع الصمود طويلاً فانسحبت نهائياً بعد قبول الهدنة وبدء المفاوضات لكن الفرنسيين اعتقلوا الوفد الجزائرى المفاوض وأسروها ومن معها من النساء، ونفيت إلى زاوية بنى سليمان حيث مكثت سبع سنوات أصيبت أثناءها بشلل وتوفيت عن ٣٣ عاماً فقط!

وقد خلدها الجزائر بإطلاق اسمها على باخرة عملاقة لنقل الغاز كما كانت بطله عدد من الأعمال الفنية والأدبية.

عز الدين القسام

اسمه يطلق اليوم على (الذراع العسكرى) لمنظمة (حماس) الإسلامية فى فلسطين وقد تشكلت (كتائب القسام) للعمليات العسكرية داخل (حماس) . . (وعز الدين القسام) هو الذى أكسب (الثورة الفلسطينية) فى ثلاثينيات القرن العشرين ضا الانتداب البريطانى وضد الاستيطان اليهودى (بعداً إسلامياً) . . ومن هنا جاء اتبا منظمة (حماس) الآن لمنهجه فى ربط (الثورة المسلحة بالبعد الدينى) .

ولد (عز الدين القسام) فى القرن التاسع عشر فى عام ١٨٨٢م فى سوريا على الساحل الغربى فى مدينة جبلة، واستشهد عام ١٩٣٥ فى غابة (يعبد) فى منطقة (جنين) الفلسطينية التى تدور فيها اليوم إحدى أعنف العمليات العسكرية الإسرائيلية .

عرف عز الدين القسام بأنه الشيخ المعمم، فقد أتى مصر فى طفولته ودرس فى الأزهر الشريف بالقاهرة، وعاد إلى بلدته السورية (جبلة) عام ١٩٠٤، وأصبح إماماً لمسجدها وعمره ٢٠ عاماً، وفى ١٩١٩ أعلن الثورة على المستعمر الفرنسى لسوريا بمشاركة (عمر البيطار)، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام، لكنه هرب إلى فلسطين واستقر فى قرية قرب (حيفا) على الساحل عام ١٩٢٢، وانضم إلى (جمعية الشباب المسلمين)، وأصبح رئيسها عام ١٩٢٨، وحين أصبح إماماً لمسجد الاستقلال فى حيفا أطلق من هناك دعوته للجهاد، فكانت بداية الثورات الفلسطينية المسلحة. وأعلن القسام الثورة على الانتداب البريطانى لفلسطين وعلى المستوطنين اليهود الذين كانوا يتوافدون مهاجرين من أوروبا، واستشهد فى أول مواجهة عسكرية مع القوات

البريطانية في ١٩ نوفمبر من عام ١٩٣٥، وتوزع من نجا من المعركة في الجبال، وشكلوا نواة الثورة الفلسطينية الكبرى التي اندلعت عام ١٩٣٦، وأعلن الفلسطينيون الإضراب الذي دام ٦ شهور وتلتها الثورات الفلسطينية.

عرف القسام بعمامته وسلاحه، وشكلت تجربته في الكفاح (السياسي - الديني) بداية العمل الثوري الحقيقي في فلسطين بعد سوريا، وساعدته قدرته الفائقة على الخطابة وثقافته الدينية ومشاعره الوطنية المتأججة، واستغل وظيفته كموظف في المحكمة الشرعية في حيفا ليتجول في قرى شمال فلسطين ويتصل بالفلاحين، ويحرضهم على الثورة وكان يدرّب أنصاره على حمل السلاح.

وحين اتصل بالإيطاليين لدعمه بالسلاح والمعونات ضد الإنجليز تركه بعض معاونيه لاتهامه بالتعاون مع بلد أوروبي مستعمر يحتل ليبيا وأعدم عمر المختار من قبل، ورغم ذلك تمكن القسام من تجنيد المئات، وساهم في إنشاء المدارس والجمعيات وسط الفلاحين لإيمانه بأن شعباً متعلماً لا يقبل الهزيمة، وكان هذا مصدر الخلاف مع بعض معانيه الذين كانوا يرون أنه يجب البدء أولاً بالعمل العسكري المسلح ثم يأتي التعليم، بينما كان يرى أن الاستعداد لعمل عسكري يستلزم بداية الانضباط والتثقيف والتعليم والتدريب، وحين قرر الامتثال لرغبة معاونيه والانخراط في مواجهات عسكرية استشهد هو وكثير ممن معه، لكن اسمه ظل (رمزاً).

الشيخ أحمد ياسين

ولد أحمد ياسين في يونيو عام ١٩٣٦ في قرية جوررة عسقلان - قضاء المجدل شمالي قطاع غزة.

نزع مع عائلته إلى قطاع غزة بعد حرب ١٩٤٨ أصابه الشلل في جميع أطرافه أثناء ممارسته للرياضة في عامه السادس عشر، استطاع الشيخ أحمد ياسين أن ينهى دراسته الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٨ / ٥ / ٧، ثم الحصول على فرصة عمل في التدريس كمعلم للتربية الإسلامية رغم الاعتراض عليه في البداية بسبب حالته الصحية.

حين بلوغه العشرين بدأ أحمد ياسين نشاطه السياسي بالمشاركة في المظاهرات التي اندلعت في غزة احتجاجاً على العدوان الثلاثي الذي استهدف مصر عام ١٩٥٦، حينها أظهر قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة، حيث استطاع أن ينشط مع رفاقه الدعوة إلى رفض الإشراف الدولي على غزة، مؤكداً على ضرورة عودة الإقليم إلى الإدارة المصرية.

اعتقل عام ١٩٨٣ بتهمة حيازة أسلحة وتشكيل تنظيم عسكري والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وقد حاكموا الشيخ أمام محكمة عسكرية صهيونية أصدرت عليه حكماً بالسجن لمدة ١٣ عاماً.

وأفرج عنه عام ١٩٨٥ في إطار عملية تبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال والجهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة - بعد أن أمضى أشهراً في السجن،

فى عام ١٩٨٧ اتفق أحمد ياسين مع مجموعة من قادة العمل الإسلامى فى قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامى بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم «حركة المقاومة الإسلامية» المعروفة اختصاراً باسم «حماس»، بدأ دوره فى حماس بالانتفاضة الفلسطينية الأولى التى اندلعت آنذاك والتى اشتهرت بانتفاضة المساجد ، ومنذ ذلك الحين وأحمد ياسين يعتبر الزعيم الروحى لحركة حماس، ولعل هزيمة ١٩٤٨ من أهم الأحداث التى رسخت فى ذهن ياسين والتى جعلته فى قناعة تامة بضرورة إنشاء مقاومة فلسطينية فى وجه الاحتلال الإسرائيلى، فيرى بضرورة تسليح الشعب الفلسطينى والاعتماد على السواعد الوطنية، وكذلك البعد العربى والإسلامى فى تحرير فلسطين، إذ لا يرى ياسين أى جدوى فى الاعتماد على المجتمع الدولى فى تحرير الأرض الفلسطينية، وكما يروى: «لقد نزعت الجيوش العربية التى جاءت تحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغى وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش، فارتبط مصيرنا بها، ولما هزمت هزمتنا، وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الأمنين، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجريات الأحداث».

وحركة حماس هى امتداد لحركة الإخوان المسلمين العالمية التى مقرها القاهرة/ مصر، وكان مؤسسها حسن البنا الذى تم اغتياله على يد الحكومة المصرية فى ١٣ فبراير ١٩٤٩ م.

فى مايو ١٩٨٩ قامت سلطات الاحتلال باعتقال الشيخ أحمد ياسين مع المئات من أبناء حركة حماس فى محاولة لوقف المقاومة المسلحة التى أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه واغتيال العملاء.

في أكتوبر ١٩٩١ أصدرت محكمة عسكرية صهيونية حكماً بالسجن مدى الحياة مضافاً إليه خمسة عشر عاماً، بعد أن وجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن ٩ بنود منها التحريض على اختطاف وقتل جنود صهيانية، وتأسيس حركة «حماس» وجهازها العسكري والأمني.

ويعانى الشيخ أحمد ياسين من مجموعة من الأمراض، فبالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام، فإنه يعانى من أمراض عدة منها «فقدان البصر فى العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد فى قدرة الإبصار للعين اليسرى، التهاب مزمن بالأذن، حساسية فى الرئتين، أمراض والتهابات باطنية ومعوية»، وقد أدى اعتقال الشيخ أحمد ياسين إلى تدهور حالته الصحية مما استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة.

وفى ديسمبر ١٩٩٣ قامت مجموعة فدائييه من مقاتلى كتائب الشهيد عز الدين القسام بخطف جندى صهيونى وعرضت المجموعة الإفراج عن الجندى مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من المعتقلين فى السجون الصهيونية بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان إلا أن الحكومة الصهيونية رفضت العرض وداهمت مكان احتجاز الجندى، مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهد أبطال المجموعة الفدائية فى منزل فى قرية بيرنبالا قرب القدس.

وتم الإفراج عنه مقايضة لعملاء الموساد الذين تم القبض عليهم بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال رئيس المكتب السياسى لحماس خالد مشعل فى عاصمة الأردن عمان. فى يونيو ٢٠٠٣م أعلنت المصادر الإسرائيلية أن ياسين لا يتمتع بحصانة، وأنه عرضة

لاى عمل عسكري إسرائيلى، وفى سبتمبر ٢٠٠٣م تعرض لمحاولة اغتيال إسرائيلية عندما قامت المقاتلات الإسرائيلية بإلقاء قنبلة زنة ربع طن على أحد المباني فى قطاع غزة، وكان أحمد ياسين متواجداً فى شقة داخل المبنى المستهدف مع مرافقه إسماعيل هنية، فأصيب ياسين بجروح طفيفة جراء القصف، وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد الغارة الجوية أن أحمد ياسين كان الهدف الرئيسى من العملية الجوية.

وأخيراً تم اغتياله من قبل الاحتلال الصهيونى وهو يبلغ الخامسة والستين من عمره بعد مغادرته مسجد المجمع الإسلامى الكائن فى حى الصبرة فى قطاع غزة وأدائه صلاة الفجر فى يوم الأول من شهر صفر من عام ١٤٢٥ هجرية، الموافق ٢٢ مارس من عام ٢٠٠٤ ميلادية بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق آرئيل شارون، إذ قامت مروحيات الأباتشى الإسرائيلية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلى بإطلاق ٣ صواريخ تجاه المقعد وهو فى طريقه إلى سيارته مدفوعاً على كرسيه المتحرك من قبل مساعديه، فاغتيل فى لحظتها وجرح اثنان من أبنائه فى العملية، واغتيل معه ٧ من مرافقيه.

إبراهيم هنانو

زعيم سورى، وأحد قادة الثورة السورية ضد المستعمر الفرنسى، رفض مساعدة الزعيم الروسى لينين، وقرر أن البلاد العربية والإسلامية لا بد أن تقود ثوراتها بنفسها، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام.

هو إبراهيم بن سليمان أغا بن محمد هنانو، ولد فى بلدة (كفر تخاريم) فى محافظة إدلب غربى حلب ببلاد الشام قبل تقسيمها بمعاهدة سايكس بيكو. نشأ فى أسرة كردية غنية لأب كان من أثرياء حلب ولأم من الأعيان. درس الحقوق فى الجامعة السلطانية فى الأستانة عاصمة العثمانيين على غير رغبة والده، عين فى مناصب إدارية عديدة فى تركيا وسوريا .

وبدأ إرهابات الثورة حيث تولى رئاسة ديوان والى حلب رشيد طليع الذى شجعه على الثورة بالتنسيق مع الأمير فيصل، وانتخب ممثلاً لمدينة حلب فى المؤتمر السورى الأول فى دمشق لدورة عام ١٩١٩ .

ترأس هنانو اجتماعاً ثورياً مع نهاية العام فى منزل قائم مقام مدينة إدلب السورية، والذى ضم وجهاء البلد والوطنيين، وتم اختياره لتشكيل ميليشيات قوات عربية فى الشمال لمقاومة الفرنسيين الذين احتلوا أنطاكية التى كانت تحت يد أخيه (عزة هنانو)، أول صدام مسلح كان يوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) من نفس العام الذى قامت فيه أيضاً الثورة فى مصر ضد الإنجليز .

رفض (هنانو) معاهدة الانتداب التي وقعها الأمير فيصل مع فرنسا عام ١٩٢٠، فانقسم السوريون بين مؤيد لها ومعارض، مما جعل وضع هنانو صعباً، واضطر لطلب العون من تركيا التي أمدته بالسلاح والذخيرة، فخاض ضد الفرنسيين معارك بلغ عددها ٢٧ معركة، وأسر فيها جنوداً فرنسيين وحين لاحقته القوات الفرنسية في دمشق وحلب اضطر إلى نقل قاعدته إلى الشمال، وأعلن (دولة حلب المستقلة)، مما اضطر الفرنسيين إلى إجراء مفاوضات معه رفض شروطها، صعب موقفه أكثر بتوقف إمدادات الأتراك بعد أن وقع كمال أتاتورك مع فرنسا التي طالبت بقبول الانتداب الفرنسي على سوريا وحل الجيش والاعتراف بالعملة الورقية الفرنسية، وتغيير حكومة حلب، وقبل الأمير فيصل الإنذار، بينما رفضه هنانو والثوار، وبينهم يوسف العظمة الذي قتل فيما بعد في معركة ميسلون، حكم على هنانو غيابياً، وقال النائب العام الفرنسي: (لو أن لهنانو سبعة رؤوس لقطعناها كلها)!

لكن القاضي الفرنسي برأه واعتبره (ثائراً سياسياً وليس مجرمًا) بدليل التفاوض معه من قبل، تولى «إبراهيم هنانو» زعامة الحركة الوطنية وعين رئيساً للجنة الدستور في الجمعية التأسيسية لوضع الدستور السوري الذي حاول الفرنسيون إعاقة صدوره بشدة، مما أشعل المظاهرات في كل البلاد، وكانت الثورة في جنوب سوريا قد اشتعلت بقيادة سلطان باشا الأطرش.

انتخب «هنانو» زعيماً للكتلة الوطنية، واضطر للانسحاب إلى الجنوب بعد مقتل عدد كبير من قواته في كمين، وأكمل طريقه إلى الأردن فالقدس، حيث اعتقله الإنجليز وسلموه للفرنسيين.



تعرض لمحاولة اغتيال فى سبتمبر من عام ١٩٣٣ بعد مقاطعته لحكومة حقى العظم
التي حاولت توقيع معاهدة مع فرنسا انسحب بعدها إلى قريته (ستى عاتكة) للإشراف
على مزرعته، وتوفى فى نوفمبر تشرين الثانى ١٩٣٥، وأعلن الأذان يومها فى كل
جوامع القطر ودقت أجراس الكنائس، وعم الحزن أنحاء الوطن العربى، وكانت أغنية
شعبية يغنيها الأطفال تقول:

طيارة طارت بالليل فيها عسكر فيها خيال
فيها إبراهيم هنانو راكب على ظهر حصانو

* * * *

جمال الدين الأفغانى

من رواد ومفكرى اليقظة الإسلامية الحديثة، اختلفت المصادر على أصوله ونسبه ومذهبه الدينى، لكن هناك مصادر وثيقة بينها ما سجله ابن أخته لطف الله أسد آبادى بالفارسية عنه وترجم للعربية، وكذلك معاصره الحاج (حسين آغا) الشاعر النجفى، ونقله مؤرخون ودارسون عرب.

هو (محمد جمال الدين الحسينى بن السيد صندر بن على بن مير رضى الدين محمد الحسينى وصولاً إلى الإمام على كرم الله وجهه)، ولد بالتحديد فى حى سيدان (أى السادة الأشراف) فى أسد آباد بالقرب من همذان بإيران، وأنجب أبوه أربعة أولاد بينهم جمال الدين، وأخوه (مسيح الله)، يوجد شاهد على قبره بهذا الاسم! وأوصاهم الأب أن يدفن فى مدينة (قم) المقدسة فى إيران بما يوحى بانتمائه الشيعى!

درس جمال الدين فى قريته ثم فى طهران وقزوین، وانتقل مع أبيه إلى السعبات المقدسة بالعراق، ودرس فى النجف لمدة أربعة أعوام علوم اللغة العربية والدينية والفلك، وانتقل بعدها إلى الهند التى شكلت وجدانه وأثرت فيه سياسياً وفكرياً إلى حد كبير بعد التعمق فى دراسة (الحكمة والفلسفة) مقارنة بما سماه (التفكير بالأمور السطحية النصية فى النجف)، كانت تجربته الأفغانية محطة مهمة فى حياته، فقد بدأ ظهوره إلى العلن بعد انتقاله إليها عام ١٨٦٦، وعاش فى قندهار، ومن هنا تبدو سيرة حياته أوضح، عايش الأفغانى فترة الحروب الأهلية هناك بين أبناء (دوست)

محمد خان ومنها انتقل بعد ثلاثة أعوام تقريباً إلى أستانبول بتركيا، وعرف به (الأفغانى)، واشتهر بهذا اللقب رغم أنه سمي نفسه هناك (الإستانبولى) عام ١٨٧٠، وتعلم التركية وحاضر فى الفقه والفلسفة، واتهم بالهرطقة، فارتحل إلى القاهرة عام ١٨٧١، واتصل به سعد زغلول باشا، وبقي فيها حتى أخرجه منها قرار الخديوى توفيق عام ١٨٧٩ بترحيله خشية أفكاره الجمهورية !

وانتقل إلى (حيدر آباد) ومنها إلى (كالكوتا) بالهند، ثم إلى باريس حيث اشتهرت مساجلاته الفكرية مع (أرنست رينان) المؤرخ والفيلسوف الفرنسى، وعرفته فرنسا التى أسس فيها جمعية سرية هى (العروة الوثقى) عام ١٨٨٤ لإيقاظ الأمة الإسلامية، وكان يشترط على أعضائها أداء القسم المشهور بالله تعالى (العالم الجزئى والكلى والجللى والخنفى القائم على كل نفس) إلى : (وبالله مالك روحى ومالى القابض على ناصيتى لأبذلن ما بوسعى لإحياء الأخوة الإسلامية)..

وأصدر صحيفة (العروة الوثقى)، وكان يحرر معظمها الشيخ (محمد عبده)، ويتولى الترجمة عن الصحف الغربية تلميذه (ميرزا محمد باقر) وتوقفت الصحيفة بعد حظر دخولها إلى معظم الأقطار الإسلامية والعربية بخاصة مصر على يد وزارة (نوبار باشا).

لعب الأفغانى دوراً فى الحياة السياسية، فاستخدمه الإنجليز فى مفاوضاتهم مع السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى الذى أفرد له قاعة خاصة فى القصر مع ثلاثة آخرين لكتابة رسائل إلى شيعة العراق وإيران للالتفاف حول السلطان لدرء الخطر الأكبر الآتى من (الكفار) واليهود، لكن السلطان (عبد الحميد الثانى) يكتب بعد ذلك فى مذكراته ورسائله أن (جمال الدين هذا كان رجل الإنجليز) ! بينما يذكر جمال

الدين نفسه أن اللورد البريطاني (سالسبرى) عرض عليه زعامة السودان، وأن يكون ملكًا عليه، فرد عليه بأن (العرض يعبر عن جهل سياسى، فالسودان ليس ملك الإنجليز حتى تملك أحدها عليه). استعانت به روسيا أيضًا بين عامى (١٨٨٧ - ١٨٨٩) ضد الإنجليز، لكن طرد من قبل قيصر روسيا، ويذكر أنصار الأفغانى أن الطرد كان بسبب مواجهة حدثت بينه وبين القيصر حيث اتهمه الأفغانى بالاستبداد وبنياته الاستعمارية ضد إيران، وحاول ممارسة لعبة السياسة كمستشار للشاه الإيرانى (ناصر الدين شاه)، لكنه أبعده أيضًا خشية منه عام ١٨٩٢، فارتحل الأفغانى إلى لندن ليصدر صحيفة يهاجم فيها الشاه ويدعو إلى مقاومته ومقاطعة التبغ البريطانى، فتلقى دعوة من السلطان العثمانى حيث قتل وهو فى منزل للضيافة فى الأستانة، وظل مكان قبره سرًا حتى عام ١٩٤٤ حيث نقلت رفاته إلى أفغانستان باعتباره أفغانياً وبنى له ضريح فى (كابول) لكن مصادر تقول أنه دفن فى تركيا فى (مقبرة المشايخ) (شيخلر مزار) فى تلة (نشانطاش) على مقربة من البيت الذى أسكنه فيه السلطان .

يبدو أن الأفغانى أخفى (مذهبه الشيعى) متعمداً إلى حد أن قليلين كانوا متأكدين من تشيعه حتى الإمام محمد عبده قال عنه: إنه كان (حنيفياً) بمعنى (حنيفياً جعفرياً) وأضاف أنه أيضاً (حنفى المذهب) فى غموض يفهم منه أنه كان مستقيم المذهب .

لكنه استدرك بأن الأفغانى (كان يؤدى الفرائض فى مذهبه)، بينما يذهب الشيخ (مصطفى عبد الرازق) إلى أن (الأفغانى) كان فى الغالب إيرانياً شيعياً والباحثة الوحيدة التى ترد أصول الأفغانى إلى أفغانستان هى الأمريكية (نيكى كيدى) التى ترجع أصوله إلى أسرة عريقة فى كابول، وإن كان معاصره الحاج حسين آغا تأكد من وجود عائلة الأفغانى فى أسد آباد فى إيران بنفسه، وأياً ما كان فإن الأفغانى كان يتكيف حسب البلاد التى يزورها، ويقال أنه كان يرتدى رى الأفغان حين دخل

استانبول بالجبة والعمامة الشهيرة، وحين سافر أوروبا لبس الطربوش، وفي الحجاز كان يلبس العقال والشماع، وفي إيران خلع زيه الأفغانى الذى عرف به فى تركيا ومصر، ولبس كسيد من علماء الشيعة، فوضع العمامة السوداء خلف الأذن والعباءة الرقيقة على كتفيه، ولقب بالحسينى نسبة إلى سيدنا الحسين. وصف بأنه كان أقرب إلى القصر منه إلى الطول، أسمر اللون فى صفة، مهيباً جذاب الملامح مشرق الوجه منبسط الأسارير، له بريق فى عينيه، نظراته ثابتة فى مخاطبيه، رجب الصدر، سليم القلب، شجاع لا يخاف أحداً فخور بنسبه الشريف، مثقف ثقافة عصره.

قال عنه المؤرخ (جرجى زيدان): كان خطيباً لم يقم فى الشرق مثله. للأفغانى مقالات وكتب أهمها (الرد على الدهرية) نقله محمد عبده من الفارسية إلى العربية، وكان الأفغانى يتقن اللغتين معاً بالإضافة إلى الترمية وبعض اللغات الأوروبية، وقد صدرت عنه مراجع وكتب كثيرة باللغة العربية والفارسية والإنجليزية والفرنسية.

سلطان الأطرش

أشهر رجال الثورة السورية على الحكم العثماني ثم الفرنسي، انحدر من أسرة مناضلة ، والده أعدم على يد السلطة العثمانية في عام ١٩١١ مع عدد من زعماء الدروز، (سلطان الأطرش) من جبل الدروز جنوب سوريا، اكتسب صلابته وقوته من البيئة هناك، ولد في قرية في حوض الجبل عام ١٨٨٦م. (سلطان باشا الأطرش) عاش في زمن كان الاستعمار الغربي- الإنجليزي والفرنسي - يطمع في منطقة ما كانوا يسمونها بالهلال الخصيب، وحين أعلن الشريف حسين أمير مكة الثورة العربية الكبرى انضم (سلطان) وقبيلته (بنو معروف) إلى صفوف الثورة، وكان (سلطان) أول من رفع علم الثورة على قلعة (صلخب) بجبل الدروز، واستطاع مع قواته هزيمة القوات التركية وأسر قائدها، وحين سقطت الدولة العثمانية في هزيمتها في الحرب العالمية الأولى أمام الاستعمار الفرنسي الذي كانت من نصيبه أرض الشام كان (جبل الدروز) قد أصبح (دولة) منفصلة عن باقي البلاد.

حسب التقسيم الطائفي الذي ابتدعه فرنسا، على شرط قبول الانتداب الفرنسي، ورفضه السوريون (سلطان الأطرش) بدأ نضاله ضد الفرنسيين حين أعدموا أحد قادة المقاومة، وكان ينزل ضيفاً عليه، فكانت عملياته العسكرية التي هزم في إحداها وتم ترحيل أسرته إلى الأردن، لكن استمرار عمليات الاستنزاف أجبر الفرنسيين على إعادته إلى وطنه، سلطان الأطرش أعلن الثورة الوطنية السورية ضد الانتداب الفرنسي رسمياً في ٢٢ أغسطس من عام ١٩٢٥ ، وساعده سعد زغلول في مصر. وظل في قرينته حتى مات عام ١٩٨٢ عن ٩٦ عاماً.

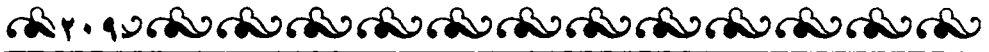
سليمان الحلبي

سليمان الحلبي هو شاب سوري ولد بمدينة حلب، وكان أبوه الحاج محمد أمين يعمل بالتجارة، التحق سليمان الحلبي بالأزهر ودرس به عدة سنوات، ثم رحل عن القاهرة، ولما علم بقيام الفرنسيين بغزو مصر، وأن كليبر قد اقتحم الأزهر بالخيول وعبث بالكتب الدينية، ثارت في نفسه الغيرة الإسلامية، وقدر اغتيال الجنرال كليبر الذي عمل قائداً للحملة الفرنسية بعد رحيل نابليون عن مصر إلى فرنسا، وأعد سليمان الحلبي عدته وسافر إلى القاهرة التي يعرف دروبها وشوارعها جيداً من قبل، ونزل برواق الشوام في الأزهر وانتظم في سلك التعليم بالأزهر، ثم شكل خلية طلابية من أربعة من الطلبة هم محمد الغزى وأحمد الوالى وعبد الله الغزى وعبد القادر الغزى، ومن خلال هذه الخلية الطلابية قام سليمان الحلبي ورفقه بمراقبة الجنرال كليبر جيداً ومعرفة تحركاته ومواعيده، وتم إعداد الخطة لاغتيال كليبر، وفي يوم ١٤ يونيو ١٨٠٠ قام سليمان الحلبي بالتنكر في زي متسول، وطعن كليبر بخنجره عدة طعنات في حديقة دار القيادة العامة الفرنسية بالأزكية، مما أدى إلى مصرع كليبر. وتمت محاكمة سليمان الحلبي ورفاقه الأربعة، وصدرت الأحكام بإعدام سليمان الحلبي «على الخازوق» بعد حرق يده، وترك جثته تأكلها الطير، وإعدام رفاقه الأربعة بقطع رؤوسهم وإحراق جثتهم بعد الإعلام، وقد تم تنفيذ الحكم في سليمان الحلبي وثلاثة من رفاقه، أما الرابع فكان قد هرب وهو عبد القادر الغزى.

المصادر والمراجع

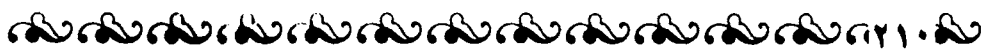
- ١ - أسيمة جانو: موسوعة الألف عام - شخصيات صنعت التاريخ- دار المعارف، ٢٠٠٦.
- ٢ - أسيمة جانو: موسوعة الألف عام - شخصيات صنعت التاريخ- الجزء الثاني - دار المعارف - ٢٠١٠.
- ٣ - إبراهيم عبد النبي: موسوعة أعلام القرن العشرين - أشهر القادة - دار الحسام - ١٩٩٧م.
- ٤ - أحمد حلمى إبراهيم: عظماء فى سيرة التاريخ - مطابع مؤسسة روز اليوسف - ١٩٧٦م.
- ٦ - أنيس منصور : الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ - الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ١٩٨٦م.
- ٧ - خالد عبد اللاه: أشهر التصنيفات السياسية فى التاريخ - دار مشارق - القاهرة ٢٠٠٩م.
- ٧ - صالح جودت: ملوك وصعاليك - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ٢٠٠٦م.
- ٨ - السيد عبد الرؤوف: أسماء أضاءت التاريخ - كتاب الجمهورية عدد أغسطس - ٢٠٠٦.

- ٩ - عمر أبو النصر: ثوار - صدر عن مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والصحافة - بيروت - ١٩٦٨ .
- ١٠ - مجلة الهلال- الحرية - عدد خاص - دار الهلال - أول يوليو ١٩٦٧ .
- ١١ - مجلة الهلال - ثورات العالم - وثائق تاريخية وصور نادرة - عدد خاص - دار الهلال - أول أغسطس ١٩٦٨ .
- مواقع عربية وأجنبية على شبكة الإنترنت الدولية .

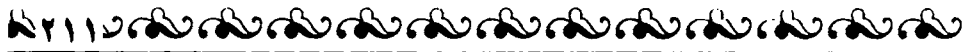


الفهرس

الصفحات	الموضوعات
٣	المقدمة
٥	إبراهام لنكولن
٩	إرنشوتشى غيفار
١٢	أدولف هتلر
٢٠	سبارتاكوس
٢٥	جورج واشنطن
٢٨	جواهرلال نهرو
٣٥	برتائس لومومبا
٣٨	بسمارك
٤٣	الدلاى لاما
٤٦	جان دارك
٤٨	جميلة يوحريد
٥١	جيوسبى غاربيالد
٥٣	تيتو
٥٥	سوكارنو
٥٧	سيمون بوليفار
٥٩	شارل ديغول



۶۱	فیدل
۶۶	قورش العظیم
۶۸	کارل مارکس
۷۱	مرومویل
۷۵	کونفوشیوس
۷۸	کیرہاردی
۸۰	لینین
۸۶	مارتن لوثر
۹۰	مارکوس غارفی
۹۱	ماکیا قیللی
۹۴	مالکولم إکس
۱۰۳	ماوتسی تونغ
۱۱۰	محمد الفاتح
۱۱۴	صلاح الدین الأیوبی
۱۲۱	محمد أنور السادات
۱۲۴	محمد بن علی السنوسی
۱۲۷	مینا
۱۲۹	نلسون مانديلا
۱۳۳	هوشر منه
۱۳۷	بی نظیر بوتو
۱۴۹	غاندی



١٥٤	أحمد عرابى باشا
١٥٨	سعد زغلول
١٦٢	سوى وت تى
١٦٤	عبد الحمد الثانى
١٦٦	عبد القادر الجزائرى
١٦٨	عبد الكريم قاسم
١٧٣	عز الدين بن عبد السلام
١٧٩	عمر المختار
١٨٤	فوزى القاوقجى
١٨٧	فقير إيبى
١٨٩	لا لا فاطمة نسومر
١٩١	عز الدين القسام
١٩٣	الشيخ أحمد ياسين
١٩٧	إبراهيم هنانو
٢٠٠	جمال الدين الأفغانى
٢٠٤	سلطان الأطرش
٢٠٥	سليمان الحلبي
٢٠٦	المصادر والمراجع
٢٠٩	الفهرس

